سلسلة مفاتيح العلوم — الكتاب الثاني

بلوغ المأمول
بشرح
سلم الوصول

تأليف
الشيخ أحمد ولد الكوري الشنقيطي

مقدمة:



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [(النساء/1)] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[(آل عمران/102)] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب 70-71].

"الحمد لله الذي نصب الكائنات على ربوبيته ووحدانيته حججا، وحجب العقول والأبصار أن تجد إلى تكييفه منهجا، وأوجب الفوز بالنجاة لمن شهد له بالوحدانية شهادة لم يبغ لها عوجا، وجعل لمن لاذ به واتقاه من كل ضائقة مخرجا، وأعقب من ضيق الشدائد وضنك الأوابد لمن توكل عليه فرجا،"[1]

أما بعد :

فهذا الكتاب الثاني من سلسلتي " مفاتيح العلوم " التي أشرح فيها مختصرا في كل مجال من مجالات العلوم الشرعية شرحا متوسطا بحيث يصبح كافيا لطالب العلم غيرالمتخصص في ذلك المجال، وتمكن دراسته في مدة أسبوعين إلى شهرين بحسب اختلاف العلوم وحال الطالب.

وقد سلكت فيه المنهجية التالية:

---

(1) انظر طريق الهجرتين لابن القيم ص 19.

- أولا التمهيد: أبدأ كل باب بتمهيد أذكر فيه:

* مواضيع الباب،

* أبياته وقد شكلتها، كما رقمتها بترقيم تسلسلي لكل النظم وترقيم آخر لكل باب على حدة،

- ثانيا الشرح: وفي الشرح أحاول تفكيك البيت وشرح كلماته، فإن لم يتضح المقصود قلت: والمعنى كذا... ثم أذكره.

وأربط بين الأبواب والفصول والمسائل حسب الاستطاعة، ولا أهتم بالإعراب إلا إذا تعلق به فهم المعنى تعلقا واضحا، وأترجم للأعلام المذكورين في المتن.

وحاولت تكميل ما قصر فيه الناظم.

وأختم كل فصل أو باب بخلاصة تضم كل مسائله، وتجمع كل جزئياته، ثم آتي بعدها بأسئلة شاملة لكل جوانب الباب.

وقد بدأت بعد المقدماتس بترجمة مختصرة للناظم رحمه الله.

الشيخ أحمد بن الكوري الشنقيطي

مقدمات

المقدمة الأولى : تعريف العقيدة

لغة: العقيدة فعيلة بمعنى مفعولة "اسم مفعول"، ومادة "ع ق د" في اللغة تدور على معان أهمها(1):

1- الثبوت على الشيء، والالتزام به، ومنه حديث عُرْوَةُ البَارِقِيُّ t : أَنَّ النَّبِيَّ r قَالَ: « الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ: الأَجْرُ وَالمَغْنَمُ » (2). أي ملازم لها. ومنه العقيدة لأنها لازمة لكل الناس، ولأنها في أعلى درجات الثبوت.

2- التأكد والاستيثاق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة **89**] ومنه العقيدة لأنها في أعلى درجات الثبوت والتأكد، ولأنه لابد من ثبوتها في القلب بيقين لاشك فيه. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (**15**)﴾ [الحجرات].

3- العهد والحلف: ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة 1] ومنه العقيدة لأن الله أخذ علينا العهد بها قبل أن نولد

4- الجمع يقال اعتقدت مالا أي جمعته، وعَقَد الرمل ما تراكم واجتمع، ومنه العنقود. ومنه العقيدة لإجماع كل النبوات عليها، ولجمعها في القلب، ولأنه لابد من الإيمان بها مجتمعة.

5- العلامة: ومنه الناقة العاقد لأنها ترفع ذنبها علامة على أنها قد حملت، والعاقد حريم البئر وما حولها، ومنه العقيدة لأنها علامة الإسلام.

(1) انظر الصحاح للجوهري432/1 و لسان العرب296/3-300 و مقاييس اللغة ص 679 والقاموس ص 272 و المصباح المنير للفيومي ص 250.

(2) صحيح البخاري (2852) حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ، عَنْ عَامِرٍ، حَدَّثَنَا عُرْوَةُ البَارِقِيُّ ومسلم {98 - (1873)} حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا به.

6- الشد والربط: ومنه عقد الحبل أو الخيط قال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4)﴾ [الفلق]. ومنه العقيدة لأنه يشد عليها القلب ويربط.

واصطلاحا:

قال الجرجاني: " العقائد ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل"[1].

وقال الفيومي:" اعتقدت كذا عقدت عليه القلب والضمير، حتى قيل: العقيدة ما يدين الإنسان به"[2].

وفي المعجم الوسيط: " العقيدة الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، وفي الدين ما يقصد به الاعتقاد دون العمل كعقيدة وجود الله وبعثة الرسل"[3].

و قيل: " ما عُقد عليه القلب والضمير، أو ما تدين به الإنسان واعتقده"[4].

ويمكن أن تعرف بأنها: "العلم بالأحكام الشرعية العلمية المكتسبة من الأدلة اليقينية مع الرد على شبهات المخالفين" .

المقدمة الثانية: أسماء العقيدة

1ـ الإيمان:

- من ذلك:

- كتاب الإيمان : لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: 224هـ).

- كتاب الإيمان: لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: 235هـ).

- الإيمان للعدني : المؤلف: أبو عبد الله محمد بن يحيى ابن أبي عمر العدني (ت: 243هـ).

---

(1) معجم التعريفات للجرجاني ص 128.

(2) المصباح المنير للفيومي ص 250.

(3) المعجم الوسيط 614/2 ط دار الفكر.

(4) المنجد في اللغة والأعلام ص 519 : دار الشرق ط 28.

- كتاب الإيمان في بداية صحيح البخاري(ت: 256هـ)، كما استهل به مسلم (ت: 261 هـ) صحيحه.

- الإيمان: لابن منده أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (ت : 395هـ).

- شعب الإيمان: لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)

- الإيمان: لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)

2ـ التوحيد:

من ذلك: كتاب التوحيد في الجامع الصحيح للبخاري (ت: 256هـ).

- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل : لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: 311هـ).

- التوحيد : لمحمد بن محمد بن محمود أبي منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ).

- الحجة في بيان المحجة وشرح التوحيد ومذهب أهل السنة للحافظ قوَّام السنة الأصبهاني (535 هـ) .

- كتاب اعتقاد التوحيد لأبي عبدالله محمد بن خفيف(ت: 371هـ).

- التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل لابن منده أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (المتوفى: 395هـ).

- الأربعون في دلائل التوحيد : لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي (المتوفى: 481هـ).

- التمهيد لقواعد التوحيد لأبي المعين النسفي (508 هـ).

- التوحيد لله عز وجل: لعبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، تقي الدين (المتوفى: 600هـ).

- كتاب (التوحيد) للإمام محمد بن عبدالوهاب (ت: 1115هـ).

لأن العقيدة تدور على توحيد الله في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، فالتوحيد هو أشرف مباحث علم العقيدة وهو غايتها، فسمي به هذا العلم عند السلف تغليباً.

3ـ السنة:

من ذلك:

- السنة : لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ).
- شرح السنة : لإسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني (المتوفى: 264هـ).
- السنة : لأبي بكر أحمد بن محمد الأثرم (ت: 273هـ)، تلميذ الإمام أحمد.
- السنة : لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: 275هـ).
- السنة : لأبي بكر أحمد بن عمرو بن النبيل الشيباني (ت 277).
- السنة : أبي بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: 287هـ).
- كتاب السنة، لأبي عبد الرحمن عبدالله بن أحمد بن حنبل الشيباني (ت: 290هـ).
- السنة : أبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (المتوفى: 294هـ).
- صريح السنة : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ).
- السنة : لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (المتوفى: 311هـ).
- شرح السنة : لأبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري (المتوفى:

329هـ).

- أصول السنة : أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: 399هـ).

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: 418هـ)

والسنة الطريقة، فأطلق السلف على العقيدة "السُّنة" لاتباعهم طريقة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه في ذلك. وهذا الإطلاقات الثلاثة هي السائدة في القرون الثلاثة الفاضلة.

4ـ الشريعة:

- الشريعة : لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: 360هـ).

- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة : لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: 387هـ)

5ـ أصول الدين:

- الإبانة عن أصول الديانة: لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (ت 324هـ)

- كتاب أصول الدين : لجمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الحنفي (المتوفى: 593هـ).

- معالم أصول الدين: أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ).

6ـ الفقه الأكبر:

من ذلك: كتاب (الفقه الأكبر) المنسوب لأبي حنيفة (ت: 150هـ) وهو يرادف أصول الدين، مقابل الفقه الأصغر وهو الأحكام الاجتهادية.

هذه هي أشهر إطلاقات أهل السنة على علم العقيدة، وقد يشركهم غيرهم في إطلاقها بالتبع، كبعض الأشاعرة وأهل الحديث منهم بخاصة.

المقدمة الثالثة: أهمية العقيدة

1 - العقيدة هي أول الواجبات: قال - جل وعلا -: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد:19] . وعن ابن عباس t أن النبي r لما بعث معاذا إلى اليمن قال: «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»[1].

2 – العقيدة أساس الدين : لا بد لكل بناءٍ ماديًّ كان أو معنويًّ من أساس يقوم عليه، والدين الإسلامي بناء متكامل يشمل جميع حياة المسلم منذ ولادته وحتى مماته ثم ما يصير إليه بعد موته، وهذا البناء الضخم يقوم على أساس متين هو العقيدة الإسلامية التي تتخذ من وحدانية الخالق منطلقًا لها كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 162 - 163]

فالإسلام يعتنى بالعقيدة ويوليها أكبر اهتمام سواء من حيث ثبوتها بالنصوص ووضوحها أو من حيث ترتيب آثارها في نفوس معتقديها؛ لذا نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم مكث عشر سنين بمكة ينزل عليه القرآن وكان في غالبه ينصب على البناء العقدي حتى إذا ما تمكنت العقيدة في نفوس أصحابه رضوان الله عليهم

(1) البخاري (1395) واللفظ له ومسلم (19).

نزلت التشريعات الأخرى.

3 - العقيدة الصحيحة هي شرط صحة جميع الأعمال: فلا تصح الأعمال إلا معها، ولا تقبل الأقوال إلا بها؛ ومن فسدت عقيدته؛ فسد عمله. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف:110) .

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِين﴾ (الزمر:65) .

4- العقيدة الصحيحة هي طريق النجاة للفرد المسلم، وصلاح الأمة، وتوحيد كلمتها ، ومن ثَمَّ التمكين لها في الأرض، والنصر على أعدائها. قال عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور:55) .

5 – العقيدة ضرورة: إن العقيدة أيًّا كانت هذه العقيدة تعد ضرورة من ضروريات الإنسان التي لا غنى له عنها ذلك أن الإنسان بحسب فطرته يميل إلى اللجوء إلى قوة عليا يعتقد فيها القوة الخارقة والسيطرة الكاملة عليه وعلى المخلوقات من حوله، وهذا الاعتقاد يحقق له الميل الفطري للتدين ويشبع نزعته تلك، فإذا كان الأمر كذلك فإن أولى ما يحقق ذلك هو الاعتقاد الصحيح الذي يوافق تلك الفطرة ويحترم عقل الإنسان ومكانته في الكون، وهذا ما جاءت به العقيدة الإسلامية، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82].

6 – العقيدة العنصر الرئيسي: لما كان الدين الإسلامي بناءً متكاملًا اعتقادًا وعبادةً وسلوكًا، لزم أن يكون هذا البناء متناسقًا ومنسجمًا، لذا نجد أن العنصر الأساسي فيه هو العقيدة الإسلامية التي يقوم عليها، وهي عقيدة التوحيد الخالص

لله تعالى، مما يكسبها مركزًا مهمًّا لفهم الدين الإسلامي فهمًا صحيحًا. فالعقائد الإسلامية والعبادات والمعاملات والسلوك كلها تتجه لوجهة واحدة هي إخلاص الدين لله تعالى وهذا الاتجاه المتحد له أهمية قصوى في فهم الدين الإسلامي قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: 125]

6 – العقيدة الإسلامية سبب للحرية الحقيقة: إن إفراد الله تعالى بالتوجه إليه في جميع الأمور يحقق للإنسان الحرية الحقيقية التي يسعى إليها فلا يكون إلا عبدًا لله تعالى وحده لا شريك له فتصغر بذلك في عينه جميع المعبودات من دون الله، وتصغر عنده العبودية للمادة والانقياد للشهوات؛ فإن العقيدة ما إن تتمكن من قلب المسلم حتى تطرد عنه الخوف مما سوى الله تعالى قال ربعي t :" الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام"[(1)].

المقدمة الرابعة: خصائص العقيدة الإسلامية

أولا: الوضوح

فالعقيدة الإسلامية عقيدة واضحة لا غموض فيها ولا تعقيد، فهي تتلخص في أن لهذه المخلوقات إلهًا واحدًا مستحقًّا للعبادة هو الله تعالى الذي خلق هذا الكون البديع المنسق وقدر كل شيء فيه تقديرًا، وأن هذا الإله ليس له شريك ولا شبيه ولا صاحبة ولا ولد. فهذا الوضوح يناسب العقل السليم لأن العقل دائما يريد الترابط والوحدة عند التنوع والكثرة، ويريد أن يرجع الأشياء المختلفة إلى سبب واحد.

وكما أن العقيدة الإسلامية واضحة فهي كذلك لا تدعو إلى الاتِّباع الأعمى بل على العكس فإنها تدعو إلى التبصر والتعقل لأن العقيدة لا تخالف العقل الصحيح الفطري قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108] .

(1) تاريخ الطبري 520/3 والبداية والنهاية لابن كثير 46/7 والكامل لابن الأثير 297/2 .

ثانيا: الفطرية

إن العقيدة الإسلامية ليست غريبة عن الفطرة السليمة ولا مناقضة لها، بل هي على وفاق تام وانسجام كامل معها.

وليس هذا بالأمر الغريب إذ أن خالق الإنسان العليم بحاله هو الذي شرع له من الدين ما يناسب فطرته التي خلقه عليها، كما قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم: 30] وقوله: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14] والواقع شاهد على موافقة الفطرة للعقيدة الإسلامية القائمة على الإخلاص لله وحده، فما أن يصاب الإنسان بضر تعجز أمامه القوى المادية إلا ويلجأ إلى الله تعالى في تذلل وخضوع، ويستوي في ذلك الكافر والمؤمن، بل حتى الطفل الصغير فإنه لو ترك على حاله دون أن يؤثر عليه والداه أو البيئة من حوله لنشأ معتقدًا بالله تعالى ربًّا وإلهًا لا يعبد سواه لذلك عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r : «مامن مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء» ثم يقول أبوهريرة t : «فطرة الله التي فطر ـ إلى قوله: القيم» متفق عليه وزاد مسلم: «يشركانه» وله أيضا: «مامن مولود إلا على هذه الملة حتى يبين عنه لسانه»[1].

ثالثا: عقيدة ثابتة ودائمة:

لما كانت العقيدة الإسلامية تقوم على الدليل والبرهان لزم أن تكون عقيدة ثابتة ودائمة قال الله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس: 64] وسبب هذا هو ثبوت مصادرها ودوامها لأن الله تعالى تكفل بحفظها ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9] فهي عقيدة ثابتة ومحددة لا تقبل الزيادة ولا النقصان، ولا التحريف ولا التبديل.

---

(1) البخاري (1358) ومسلم (2657).

وقد هدد القرآن الكريم العلماء خاصة من أن تميل بهم الأهواء والأطماع أو الإغراءات المادية فيزيدوا أو ينقصوا شيئًا من الدين قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: 79] .

رابعا : عقيدة وسط لا إفراط فيها ولا تفريط

إن العقيدة الإسلامية وسط بين الذين ينكرون كل ما وراء الطبيعة مما لم تصل إليه حواسهم وبين الذين يثبتون للعالم أكثر من إله والذين يحلون روح الإله في الملوك والحكام، بل وفي بعض الحيوانات والنباتات والجمادات، فقد رفضت العقيدة الإسلامية الإنكار الملحد كما رفضت التعدد الجاهل والإشراك الغافل وأثبتت للعالم إلهًا واحدًا لا شريك له كما أنها وسط في الصفات الواجبة لله تعالى فلم تسلك سبيل الغلو في التجريد فتجعل صفات الإله صورًا ذهنيةً مجردةً عن معنى قائم بذات لا توحي بخوف ولا رجاء، كما فعلت الفلسفة اليونانية، ولم تسلك كذلك سبيل التشبيه والتمثيل والتجسيم كما فعلت بعض العقائد حيث جعلت الإله كأنه أحد المخلوقين يلحقه ما يلحقهم من نقص وعيوب فالعقيدة الإسلامية تنزه الله تعالى إجمالًا عن مشابهة المخلوقين قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11] وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 4] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: 65] ومع هذا تصفه بصفات إيجابية فعالة تبعث الخوف والرجاء في نفوس العباد كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: 255]

ثم إنها وسط بين التسليم الساذج والتقليد الأعمى في العقائد وبين الغلو والتوغل بالعقل لإدراك كل شيء حتى الألوهية فهي تنهى عن التقليد الأعمى، حيث عاب الله على القائلين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 23] وتنهى عن التوغل بالعقل لإدراك كيفية صفات الرب عز وجل فقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: 110] وقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36] وتدعوهم إلى التوسط والأخذ بالمدركات كوسائط قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 20 - 21].

ترجمة الناظم

هو الشيخ العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي نسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة بطن من مذحج، وهوأحد أعلام منطقة تهامة بالمملكة العربية السعودية

ولد 24 رمضان سنة 1342 هـ بقرية السلام التابعة لمدينة المضايا ثم انتقل مع والده إلى قرية الجاضع وهو صغير .

نشأ في كنف والديه نشأة صالحة طيبة على كل مكارم الأخلاق، وكان قبل البلوغ يرعى الغنم لوالديه لشدة بروره لهما، وقد ظهرت عليه علامات الذكاء والنبوغ وسرعة الحفظ والفهم في الصغر فقد حفظ القرآن الكريم في الثانية عشر من عمره.

بدأ تعليمه بمدرسة القرآن الكريم بالجاضع وعلى شقيقه الأكبر محمد ثم كون نفسه بكثرة المطالعة إذ لم يجد العالم المناسب.

وفي مطلع سنة 1358 هـ قدم من نجد الشيخ الداعية عبد الله بن محمد بن حمد القرعاوي إلى منطقة تهامة التي كثر فيها الجهل والبدع .

وفي سنة 1359 هـ قدم محمد شقيق حافظ على الشيخ القرعاوي برسالة يطلبان فيها كتبا في التوحيد يعتذران عن المجيء إلى الشيخ لاشتغالهما بوالديهما ويطلبان منه زيارة قريتهما لتعليم الناس فيها وقد لبى الشيخ هذا الطلب فزار قريتهم لمدة أيام ألقى فيها العديد من الدروس العلمية حيث بهر بذكاء ونجابة حافظ حكمي وعند ما أراد الشيخ العودة إلى مدينة سامطة طلب من والدي حافظ أن يرسلاه معه ليدرس عليه على أن يعطيهما من يرعى لهما الغنم بدلا عنه ولكنهما رفضا ذلك.

وفي سنة 1360هـ توفيت والدته فأذن له الوالد هو وأخوه بالذهاب إلى الشيخ القرعاوي للتعلم لمدة يومين أو ثلاثة أسبوعيا، ليتوفى الوالد في نفس السنة ومن تم تفرغ حافظ للدراسة والتحصيل حيث لازم الشيخ القرعاوي يدرس عليه ويطالع حتى صار من أفضل طلبة العلم .

وعندما بلغ الشيخ حافظ التاسعة عشر من العمر طلب منه شيخه أن يكتب مؤلفا في العقيدة فنظم كتابه سلم الوصول إلى علم الأصول وكان يدرس مع شيخه فلما تأهل أقامه مدرسا للمستجدين من الطلاب وكان يشارك شيخه في رحلاته الدعوية.

وفي سنة 1363هـ عينه شيخه مديرا لمدرسة سامطة السلفية مع الإشراف على المدارس المجاورة.

وفي سنة 1373 هـ افتتحت وزارة الأوقاف ثانوية بجيزان فعين الشيخ حافظ أول مدير لها.

تم عين مديرا لأول معهد علمي بمدينة سامطة عام 1374هـ فقام بعمله خير قيام حتى توفي عام 1377هـ بعد تأديته لمناسك الحج عن نحو خمس وثلاثين سنة.

وقد خلف العديد من المؤلفات التي تدل على تبحره في شتى العلوم منها: في التوحيد و مصطلح الحديث والفقه وأصوله والفرائض والتاريخ والسيرة النبوية والنصائح والوصايا والآداب وغير ذلك فرحمه الله رحمة واسعة.

خطبة الكتاب

فيه المسائل التالية:

1- البسملة.
2- حمد الله وشكره والثناء عليه.
3- استغفاره لله واستعانته به واستمداده له.
4- إعلانه لشهادة الحق.
5- ثناؤه على الرسول r وصلاته وسلامه عليه.
6- بيان سبب تأليف هذا الكتاب.

النص:

وهو اثنا عشر بيتا:

بسم الله الرحمن الرحيم

1/1 أَبْـدَأُ بِاسْـمِ اللَّـهِ مُسْـتَعِينَا ... رَاضٍ بِـهِ مُـدَبِّرًا مُعِينَـا

2/2 وَالْحَمْـدُ لِلَّـهِ كَمَـا هَـدَانَا ... إِلَى سَـبِيلِ الْحَـقِّ وَاجْتَبَانَـا

3/3 أَحْمَـدُهُ سُـبْحَانَهُ وَأَشْـكُرُهْ ... وَمِـنْ مَسَـاوِي عَمَلِـي أَسْـتَغْفِرُهْ

4/4 وَأَسْـتَعِينُهُ عَلَـى نَيْـلِ الرِّضَـا ... وَأَسْـتَمِدُّ لُطْفَـهُ فِيمَـا قَضَـى

5/5 وَبَعْـدُ إِنِّـي بِـالْيَقِينِ أَشْـهَدُ ... شَـهَادَةَ الْـإِخْلَاصِ أَنْ لاَ يُعْبَـدُ

6/6 بِـالْحَقِّ مَـأْلُوهٌ سِـوَى الـرَّحْمَنِ ... مَنْ جَلَّ عَنْ عَيْبٍ وَعَـنْ نُقْصَانِ

7 /7 وَأَنَّ خَيْـرَ خَلْقِـهِ مُحَمَّـدَا ... مَـنْ جَاءَنَـا بِالْبَيِّنَـاتِ وَالْهُـدَى

8/8 رَسُـولُهُ إِلَـى جَمِيـعِ الْخَلْـقِ ... بِـالنُّورِ وَالْهُـدَى وَدِيـنِ الْحَـقِّ

9/9 صَـلَّى عَلَيْـهِ رَبُّنَـا وَمَجَّـدَا ... وَالْآلِ وَالصَّـحْبِ دَوَامًـا سَـرْمَدَا

10/10 وَبَعْـدُ هَـذَا الـنَّظم فِـي الأُصُـولِ ... لِمَـنْ أَرَادَ مَـنْهَجَ الرَّسُـولِ

11/11 سَـأَلَنِي إِيَّـاهُ مَـنْ لاَ بُـدَّ لِـي ... مِـنْ امْتِثَـالِ سُـؤْلِهِ الْمُمْتَثَـلِ

12/12 فَقُلْتُ مَعْ عَجْـزِي وَمَـعْ إِشْـفَاقِي ... مُعْتَمِـدًا عَلَـى الْقَـدِيرِ الْبَـاقِي

الشرح:

البسملة :

بدأ المصنف بالبسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) اقتداء بكتاب الله عز وجل وتأسيا بالسلف الصالح، وأماحديث أبي هريرة t أنه r قال : «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع» فلا يصح [1].

والبسملة آية من القرآن الكريم حيث كتبت عند من تواترت في قراءته على الراجح وهم عاصم والكسائي وابن كثير وقالون عن نافع[2].

قوله (**بسم**) الباء للاستعانة وهي الداخلة على آلة الفعل نحو: كتبت بالقلم لأن الفعل لا يتأتى على الوجه الأكمل إلا بها[3].

وقيل للمصاحبة نحو: ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا﴾ [هود: 48] و: ﴿ وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ﴾ [المائدة: 61] ورجحه الزمخشري لأن المعتزلة يرون أن الإنسان مستقل بعمله فلا يحتاج إلى الاستعانة،

ومتعلق الجار والمجرور فعل متأخر مناسب للمقام وإنما قدرناه فعلا خلافا للبصريين لأن الأصل في العمل الفعل وقدرناه متأخرا تيمنا بالبدء باسم الله ولكي يفيد الحصر.

والاسم: همزته للوصل وأصله "سمو" مثل قفل، فوزنه فُعْل. وهو من السمو وهو الارتفاع والعلو عند البصريين، قال الجوهري: "مشتق من سموت لأنه تنويه ورفعة

---

(1) الجامع لأخلاق الراوي (1210) وأدب الإملاء للسمعاني ص: 51 وعزاه ابن حجر في التلخيص 151/3 للأربعين البلدانية للرهاوي ومن طريقه السبكي في طبقات الشافعية 6/1. والحديث حسنه ابن الصلاح والنووي والسيوطي مع أن مداره على أحمد بن محمد بن عمران قال الذهبي قال الخطيب كان يضعف في الحديث، وقال الأزهري: ليس بشيء. كما في الميزان 173/1.. وانظر الإرواء 29/1 ح(1).

(2) النشر في القراءات العشر 271/1 والنجوم الطوالع ص: 22 ونشر البنود 250/1.

(3) انظر مغني اللبيب لابن هشام ص: 105.

واسم تقديره أفع والذاهب منه الواو لأن جمعه أسماء وتصغيره سمي[1] ونحوه لابن فارس[2].

وقيل هو من السمة وهي العلامة لأنه علامة تميز صاحبه، وهو قول الكوفيين وبه قال صاحب القاموس[3].

وفيه لغات: اسم بالكسر والضم، سمه بتثليث السين وسماه بتثليثها أيضا[4].

(الله) لفظ الجلالة علم عليه تعالى لا يسمى به غيره.

قال الجوهري: "وأصله إله على فعال بمعنى مفعول لأنه مألوه أي معبود كقولنا إمام: فعال بمعنى مفعول لأنه مؤتم به، فلما أدخلت عليه الألف واللام حذفت الهمزة تخفيفا لكثرته في الكلام"[5].

وقيل مأخوذ من أله يأله إذا تحير لأن العقول تأله في عظمته، وأصل أله وله يوله ولها[6].

وقيل مأخوذ من أله يأله إلى كذا إذا لجأ إليه لأنه سبحانه صمد يلجأ كل مخلوق إليه. وقال الخليل والشافعي والخطابي وإمام الحرمين وغيرهم هوغيرمشتق[7].

والصواب أنه مشتق من أله بمعنى عبد وهذا قول سيبويه والكسائي والفراء ورجحه الطبري والجوهري وابن القيم والفيومي[8].

(الرحمن الرحيم) صفتان دالتان على عظمة رحمته تعالى وكمالها والرحمة تقتضي الرفق والعطف والحنان وهي كسائر الصفات معلومة المعنى مجهولة الكيفية.

---

(1) الصحاح للجوهري 1733/2.

(2) معجم مقاييس اللغة ص: 490.

(3) القاموس ص: 1167.

(4) القاموس ص: 1167.

(5) الصحاح للجوهري 1624/2.

(6) النهاية لابن الأثير 62/1 واللسان 469/13.

(7) لسان 469/13.

(8) تفسير الطبري 82/1 ومدارج السالكين 18/1 والصحاح للجوهري 1624/2 والمصباح المنير ص: 18.

واختلف في الفرق بينها: فقيل: لا فرق، وقيل الرحمن للرحمة العامة لأن فعلان تدل على الكثرة والامتلاء، والرحيم يدل على الرحمة الخاصة بالمؤمنين ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 43].

وقيل الرحمن يدل على الصفة أي ذو الرحمة الواسعة والرحيم يدل على الفعل أي إيصال الرحمة إلى المرحوم ورجحه ابن القيم[1].

ومعنى البسملة الاستعانة بالله تعالى والاعتماد عليه والالتجاء إليه دون من سواه.

استعانته بالله:

ثم قال المصنف رحمه الله:

أبـدأ باسـم الله مسـتعينا راض بـه مـدبرا معينـا

قوله (**أبدأ**) أي أشرع في هذا النظم مستعينا ومتبركا (**باسم الله**) سبحانه وتعالى (**مستعينا**) أي طالبا العون والمساعدة منه وحده قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة 5]، وفي حديث ابن عباس t أنه r قال: «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»[2].

(**راض به**) الرضا ضد السخط والضمير يعود على الله جل ثناؤه.

(**مدبرا**) أي مسيرا لشؤون الكون كله قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة 5]. (**معينا**) ظهيرا مساعدا على الأمور الدينية والدنيوية.

حمده وشكره لله:

ثم ثنى بعد التسمية بحمد الله والثناء عليه فقال:

والحمـد لله كمـا هـدانا إلى سـبيل الحـق واجتبانـا

أحمـده سـبحانه وأشـكره ومـن مسـاوي عملـي أسـتغفره

---

(1) مدارج السالكين90/1.

(2) أحمد (2669) ورجاله رجال مسلم سوى قيس بن الحجاج الكلاعي روى عنه جمع وقال أبوحاتم صالح وذكره ابن حبان في الثقات قال في التقريب ص392 "صدوق" وهو من رجال الترمذي وابن ماجه ورواه الترمذي (2516) والحاكم 541/3 وأبو يعلى (2556) وانظر تحقيق المسند ط: الرسالة.

(و) أثنى بـ**(الحمد)** وهو الثناء والمدح لغة واصطلاحا هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري نعمة كان أو غيرها على جهة التبجيل، يقال: حمدت الرجل على إنعامه وحمدته على شجاعته، وأما الشكر فعلى النعمة فقط ويكون بالقلب واللسان والجوارح قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

فبين الحمد والشكر عموم وخصوص وجهي يجتمعان في الثناء باللسان على النعمة وينفرد الحمد بالثناء باللسان على ما ليس نعمة من الجميل الاختياري.

وينفرد الشكر بالثناء بالقلب والجوارح على خصوص النعمة، فالحمد أعم متعلقا وأخص آلة والشكر أعم آلة وأخص متعلقا وأما الفرق بين المدح والحمد فقال ابن القيم[(1)]:

"إن الحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وتعظيمه فلا بد فيه من اقتران الإرادة بالخير بخلاف المدح فإنه إخبار مجرد"[(2)].

(لله) أي خاص به وخالص و"الـ" في "الحمد" للاستغراق ليشمل كل أفراد الحمد المحققة والمقدرة ويحتمل أنها للجنس فيكون المعنى: "أن الحمد الكامل ثابت لله وهذا يقتضي ثبوت كل ما يحمد عليه من صفات كماله ونعوت جلاله إذ من عدم بعض صفات الكمال فليس بمحمود على الإطلاق، ولكن غايته أنه محمود من وجه دون وجه ولا يكون محمودا من كل وجه وبكل اعتبار بجميع أنواع الحمد إلا من حاز صفات الكمال جميعها فلو عدم منها صفة واحدة لنقص من حمده بسببها[(3)].

قوله **(كما)** الكاف هنا للتعليل بمعنى لأجل كقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ [البقرة 198]، **(هدانا)** أي نحمده ونثني عليه لأجل هدايته لنا بأن علمنا الحق ووفقنا لتطبيقه **(إلى سبيل)** أي طريق مستقيم واضح **(الحق)** الصواب وهو

---

(1) بدائع الفوائد 93/2.

(2) تهذيب الأسماء واللغات 66/3 - 67 وشرح الهراس للواسطية ص: 82 - 83 والمصباح المنير 92 - 93.

(3) انظر مدارج السالكين 64/1.

دين الإسلام قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّـهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران 19]، وقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران 85]، ويمكن أن يقصد بالحق الله تعالى أي هدانا إلى سبيل الله والمعنى واحد.

قوله **(واجتبانا)** اختارنا واصطفانا قال تعالى: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج 78].

قوله **(أحمده سبحانه)** لما كان الحمد الخبري أبلغ لدلالته على الثبوت والاستمرار قدمه ثم ثنى هنا بالحمد الإنشائي أي أُنْشِأ له حمدا متجددا على توالي نعمه وتواتر فضله حمدا يليق بجلاله وعظمته **(سبحانه)** أي أبرئه من كل سوء وأنزهه عما لا يليق به من الأسماء والصفات والنقائص وهو منصوب على المصدرية لفعل محذوف تقديره: سبحت الله والهاء مفعول له وقد أضيف إليه[1].

وإنما بدأ بالحمد لقوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [النمل 59]، ونحو ذلك من الآيات، وأما حديث أبي هريرة t مرفوعا: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله أو الحمد فهو أقطع»[2]. فهو ضعيف.

قوله **(وأشكره)** والشكر هو الثناء على المشكور بإنعامه على الشاكر، ويقال شكرته وشكرت له قال الجوهري وغيره: وباللام أفصح وبه جاء القرآن[3]، قال تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة 152].

قوله **(ومن مساوي)** جمع مساءة وهي الخطيئة والمعصية والزلة والمخالفة **(عملي)** كله سواء كان بالقلب أو اللسان أو الجوارح، **(أستغفره)** أي أطلب منه مغفرة تلك الأعمال السيئة وتكفيرها ومحوها والصفح والمسامحة

(1) انظر القاموس ص: (202) وتهذيب الأسماء واللغات 134/3.

(2) أبو داود (4840) والنسائي في عمل اليوم والليلة (494) وابن ماجه (1894) وابن حبان (1) وأحمد 359/2 وإن حسنه النووي في الأذكار (339) فإنه ضعيف. انظر السلسلة الضعيفة (902) والإرواء (1-2) وتخريج الأرنؤوط لجامع الأصول (3980).

(3) ولفظ الجوهري: الشكر الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف... انظر الصحاح للجوهري 573/1 وتهذيب الأسماء واللغات 157/3.

والستر[1]، لأن السين والتاء تفيد الطلب.

استعانته بالله:

ثم قال المصنف رحمه الله:

وأستعينه على نيل الرضا وأستمد لطفه فيما قضى

قوله **(وأستعينه)** أطلب عونه ومساعدته ومظاهرته، **(على نيل)** أي حصول **(الرضا)** أي ما يرضي الله من الأعمال. **(وأستمد)** أي أسأله مدده وعطاءه وزيادة **(لطفه)** رأفته ورفقه وبره، وأما قول إمام الحرمين في الإرشاد: اللطف عند أهل الحق خلق قدرة الطاعة، فإنه يعني بأهل الحق الأشاعرة فلا تغتر بكلامه هذا وإن كان النووي أقره عليه[2]. بل هو صفة لله معناها معلوم وكيفيتها مجهولة ككل الصفات الأخرى.

(فيما) "ما" هنا موصولة أي في الذي **(قضى)** أي حكم وقدر من المصائب وغيرها.

إقراره بشهادة الإخلاص:

ثم قال المصنف رحمه الله:

وبعد إني باليقين أشهد شهادة الإخلاص أن لا يعبد

بالحق مألوه سوى الرحمن من جل عن عيب وعن نقصان

قوله **(وبعد)** ظرف زمان مبهم مبني على الضم لقطعه عن الإضافة لفظا، وقال سيبويه إن معنى أما بعد: مهما يكن من شيء، وقيل إنها هي فصل الخطاب، ويؤتى بها للتنبيه على ما بعدها وفصله عما قبله.

وقد روى عن النبي r قولها في خطبته: سعد وابن مسعود وأبو سعيد وابن عمر وابن عمرو وعقبة بن عامر وأبو هريرة وسمرة وعدي بن حاتم وأبو حميد الساعدي والطفيل وجرير بن عبد الله وأبو سفيان وزيد بن أرقم وأبو بكرة وأنس وزيد بن

---

(1) انظر المصباح المنير ص: 267 والقاموس ص: 407.

(2) انظر تهذيب الأسماء واللغات 303/3 والقاموس ص: 767.

خالد وقرة بن دعموص والمسور بن مخرمة وجابر بن سمرة وعمرو بن تغلب وزر بن أنس السلمي والأسود بن سريع وأبو شريح الخزاعي وعمرو بن حزم وعبد الله بن عكيم وعقبة بن مالك وعائشة وأسماء ابنتا أبي بكر الصديق **y** [1].

قوله **(إني باليقين)** هو العلم القاطع المحقق الذي لا شك فيه ولا ريب **(أشهد)** أي أومن إيمانا جازما **(شهادة)** مصدر مؤكد **(الإخلاص)** وشهادة الإخلاص هي لا إله إلا الله وتسمى كلمة التقوى وكلمة الإخلاص وكلمة الإسلام وشهادة الحق...

ومعناها ما وضحه المصنف بقوله **(أن لا يعبد)** "أن" هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن والتقدير أنه والخبر "يعبد" بضم أوله مبني للمجهول أي عبادة والعبادة هي كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

قوله **(بالحق)** متعلق بيعبد **(مألوه)** معبود وهو نائب فاعل لفعل يعبد **(سوى)** أداة استثناء أي غير **(الرحمن)** سبحانه وتعالى، والمقصود أن لا معبود بحق إلا الله تعالى.

(من جل) أي تنزه في أسمائه وصفاته **(عن عيب)** أي وصمة **(وعن نقصان)** أيا كان بل له الكمال المطلق.

والمعنى أنه يشهد أن لا معبود بحق إلا الله المنزه عن كل عيب أو نقص وهذه هي شهادة الإخلاص .

صلاته وسلامه على النبي r :

ثم أثنى المصنف على رسول الله بما هو أهله فقال:

وأن خير خلقه محمدا	من جاءنا بالبينات والهدى
رسوله إلى جميع الخلق	بالنور والهدى ودين الحق
صلى عليه ربنا ومجدا	والآل والصحب دواما سرمدا

قوله **(و)** أشهد **(أن خير)** أي أفضل وأشرف **(خلقه)** الهاء يعود على الله الرحمن

(1) القاموس ص: 244 وتهذيب الأسماء واللغات 3/27-28 والمصباح ص: 37.

(محمدا) أي الذي كثرت خصاله المحمودة، قال الأعشى يمدح النعمان بن المنذر ـ ويقال إنه فضله بكلمته هذه على سائر من مدحه ـ :

إليك أبيت اللعن كان كلالها   إلى الماجد القرم الجواد المحمد[1]

قوله **(من)** موصولة بمعنى الذي **(جاءنا بالبينات)** أي العلامات الواضحة والآيات الساطعة على صدق نبوته. **(والهدى)** أي هداية الإرشاد والدلالة قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى 52]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء 9]، وقال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت 17]، وقد يأتي الهدى بمعنى التوفيق فيكون خاصا بمن يشاء الله هدايته، ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام 125]، ولهذا نفاه الله عن رسوله فقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص 56].

والمراد بالهدى هنا كل ما جاء به النبي r من الإيمان الصحيح والعلم النافع والعمل الصالح والشرع الكامل الشامل.

قوله **(رسوله)** والرسول لغة فعول بمعنى مفعول وهو من بعثته برسالة: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل 35]، ويجوز استعماله بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والمثنى والجموع وتجوز تثنيته وجمعه فتقول رسل بضمتين وبإسكان السين وأرسل ورسلاء ومرسلون. وعلى ذلك فالرسول إنما سمي بذلك لأنه مبعوث برسالة سماوية قد كلفه الله بحملها وتبليغها[2].

قوله **(إلى جميع الخلق)** أي كافة الثقلين جنا وإنسا قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ 28]. وفي حديث جابر t أنه r قال: «... وكان الرسول يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[3].

(1) معجم مقاييس اللغة ص: 281 وتهذيب الأسماء واللغات 67/3.

(2) القاموس ص: 905 وتهذيب الأسماء واللغات 114/3 والمصباح المنير ص: 138.

(3) البخاري (335) وصحيح مسلم (153).

قوله (**بالنور**) هو الضياء والمقصود به هنا القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء 174].

قوله (**والهدى**) هو ما جاء به رسول الله r من الشرائع والأحكام الإلهية، (**و**) هو (**دين الحق**) الذي لا يقبل الله سواه ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران 85].

قوله (**صلى عليه ربنا**) أصح ما قيل في صلاة الله على رسوله ما ذكره البخاري عن أبي العالية رُفَيْع بن مهران الرياحي قال: "صلاة الله على رسوله ثناؤه عليه عند ملائكته"[1].

وقيل هي الرحمة والصلاة من الملائكة الاستغفار ومن الناس التضرع والدعاء[2]. (**ومجدا**) أي عظمه ومدحه وأثنى عليه والألف للإطلاق.

قوله: (**والآل**) آل الشخص هم من يمتون إليه بصلة وثيقة من قرابة ونحوها، وآله r هم من تحرم عليهم الصدقة وهم بنو هاشم وبنو المطلب، ويطلق أيضا على أهل بيته وقرابته كما يطلق على كل أتباعه.

وأصل "**آل**" أهل أبدلت الهاء همزة فتوالت همزتان فقلبت الثانية منهما ألفا لذلك يصغر على أهيل هذا هو قول سيبويه والجمهور ورجحه الشاطبي .

وقيل أصله أول تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا وهذا قول الكسائي ورجحه ابن فارس و أبو شامة[3]. (**والصحب**) اسم جمع لصاحب وهو كل من لقي النبي r مسلما ومات على ذلك وهم أفضل القرون كلها قال السيوطي في ألفيته:

ثم الصحابي مسلما لاقى الرسول وإن بلا رواية عنه وطول[4]

قوله: (**دواما سرمدا**) أي دائما مستمرا أبديا لا ينقطع، ثم بين المصنف موضوع

(1) علقه البخاري بصيغة الجزم في التفسير :باب (10) : (إن الله و ملائكته يصلون على النبي) ووصله إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي r ص 82 وحسنه الألباني

(2) انظر جلاء الأفهام لابن القيم ص74:

(3) معجم المقاييس ص: 97 والمصباح ص: 23 والقاموس ص: 867.

(4) ألفية السيوطي ص 81 .

هذا النظم وسبب تأليفه فقال:

موضوع النظم وسبب تأليفه:

وبعد هذا النظم في الأصول	لمن أراد منهج الرسول
سألني إياه من لا بد لي	من امتثال سؤله الممتثل
فقلت مع عجزي ومع إشفاقي	معتمدا على القدير الباقي

(وبعد هذا النظم) و"ال" هنا عهدية أي هذا النظم الشعري الذي بين يديك موضوعه **(في الأصول)** أي أصول الدين وهي العقائد.

(لمن أراد) أي طلب **(منهج الرسول)** طريقه وصراطه المستقيم وهو ما عليه السلف الصالح، قوله **(سألني إياه)** أي النظم **(من)** أي الذي **(لا بد لي)** لا سبيل لي **(من امتثال)** تلبية وتطبيق **(سؤله)** مطلبه **(الممتثل)** الواجب الامتثال والتطبيق، والمقصود به شيخه عبد الله بن محمد بن حمد القرعاوي.

قوله **(فقلت مع)** اعترافي بـ**(عجزي)** العلمي والمعرفي **(ومع إشفاقي)** أي حذري ورقتي[1]، وهذا كله تواضع من المصنف وإلا فهو من أكابر العلماء وخيرة المؤلفين. **(معتمدا)** متوكلا **(على القدير الباقي)** سبحانه وتعالى.

(1) معجم المقاييس ص: 530 والقاموس ص: 808.

مقدمة:

تعرف العبد بما خلق له وبأول ما فرض الله تعالى عليه وبما أخذ الله عليه به الميثاق في ظهر أبيه آدم وبما هو صائر إليه:

أهم مسائل هذه المقدمة:

1- المقصد من خلق الإنسان
2- الميثاق الذي أخذ الله على الناس في ظهر أبيهم آدم
3- تأكيد هذا الميثاق بإرسال الرسل وإنزال الكتب
4- ثواب من وفى بذلك الميثاق
5 - عقاب الناقض لهذا الميثاق.

النص :

وعدد أبياته أحد عشر (11):

1/13 اعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلاَ ... لَمْ يَتْرُكِ الخَلْقَ سُدًى وَهَمَلاَ
2/14 بَلْ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْبُدُوهُ ... وَبالإِلَهِيَّةِ يُفْرِدُوهُ
3/15 أَخْرَجَ فِيمَا قَدْ مَضَى مِنْ ظَهْرِ ... آدَمَ ذُرِّيَّتَهُ كَالذَّرِّ
4/16 وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ ... لاَ رَبَّ مَعْبُودٌ بِحَقٍ غَيْرَهُ
5/17 وَبَعْدَ هَذَا رُسْلَهُ قَدْ أَرْسَلاَ ... لَهُمْ وَبِالْحَقِّ الْكِتَابَ أَنْزَلاَ
6/18 لِكَيْ بِذَا الْعَهْدِ يُذَكِّرُوهُمْ ... وَيُنْذِرُوهُمْ وَيُبَشِّرُوهُمْ
7/19 كَيْ لاَ يَكُونَ حُجَّةً لِلنَّاسِ بَلْ ... لِلَّهِ أَعْلَى حُجَّة عَزَّ وَجَلْ
8/20 فَمَنْ يُصَدِّقْهُمْ بِلاَ شِقَاقِ ... فَقَدْ وَفَى بِذَلِكَ الْمِيثَاقِ
9/21 وَذَاكَ نَاجٍ مِنْ عَذَابِ النَّارِ ... وَذَلِكَ الْوَارِثُ عُقْبَى الدَّارِ
10/22 وَمَنْ بِهِمْ وَبِالْكِتَابِ كَذَّبَا ... وَلاَزَمَ الإِعْرَاضَ عَنْهُ وَالْإِبَا
11/23 فَذَاكَ نَاقِضٌ كِلاَ الْعَهْدَيْنِ ... مُسْتَوْجِبٌ لِلْخِزْيِ فِي الدَّارَيْنِ

الشرح:

المقصد من خلق الإنسان:

بدأ ببيان المقصد من خلق الإنسان فقال:

اعلـــم بـــأن الله جـــل وعـــلا لم يتـــرك الخلـــق ســـدى وهمـــلا

بـــل خلـــق الخلـــق ليعبـــدوه وبالإلهيـــــــــة يفـــــــــردوه

قوله (**اعلم**) العلم: هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكا جازما، وينقسم إلى قسمين هما:

أ- الضروري: وهو ما يكون إدراك المعلوم فيه ضروريا بحيث يضطر إليه من غير نظر ولا استدلال كالعلم بأن النار محرقة.

ب- النظري: وهو ما يحتاج إلى نظر واستدلال كالعلم بوجوب النية في الوضوء[1]،

قوله (**بأن الله جل**) أي عظم فهو جليل (**وعلا**) علو قهر وعلو شأن وعلو فوقية فهو مستو على عرشه (**لم يترك الخلق**) جنا وإنسا (**سدى**) أي (**وهملا**) لا أمر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة 36]، قال ابن عباس سدى هملا، وقال السدي المهمل وقال مجاهد وعبد الرحمن بن زيد والشافعي يعني لا يؤمر ولا ينهى[2]. وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون 115]. (**بل**) حرف إضراب تدل على إبطال ما قبلها وإثبات ما بعدها[3]، (**خلق**) فطر الله تعالى (**الخلق**) المخلوقات كلها (**ليعبدوه**) أي يفردونه بكل العبادات (**وبالإلهية**) أي العبادة (**يفردونه**) أي يخصوه ولا يشركوا به شيئا.

---

(1) البحر المحيط 52/1-63

(2) تفسير ابن كثير453/4 وفتح القدير 342/5.

(3) القاموس ص: 872 والمصباح المنير ص: 42.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات 56]، وقال: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة 21].

ميثاق الفطرة:

ثم وضح المصنف الميثاق الذي أخذ على كل بني آدم في ظهر أبيهم فقال:

أخرج فيما قد مضى من ظهر	آدم ذريته كالذر
وأخذ العهد عليهم أنه	لا رب معبود بحق غيره

قوله: **(أخرج)** الله سبحانه وتعالى **(فيما قد مضى)** أي فيما سبق من الزمن وذلك بعد خلق آدم عليه السلام **(من ظهر آدم)** أبي البشر **(ذريته)** كل من سيوجد من بني آدم إلى قيام الساعة **(كالذر)** في صغرها والذر صغار النمل[1] **(وأخذ العهد)** أي الميثاق **(عليهم)** وهو **(أنه لا رب)** الرب هو الخلق الرازق المالك المدبر لكل الكون **(معبود بحق)** مستحق للعبادة **(غيره)** أي سواه وهذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف 172-173].

وعن أنس t قال: قال رسول الله r : «يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديا به؟ قال: فيقول: نعم، قال: فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تشرك بي شيئا»[2].

وعن ابن عباس t عن النبي r قال: «إن الله تعالى أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلا قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا

(1) القاموس ص: 357.

(2) البخاري (3334) ومسلم (2805).

كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف 172-173]» [1]. ومعنى قبلا : مواجهة.

وينبغي التنبيه على أن الميثاق والإشهاد عليه من أمور الغيب التي لا تدرك كيفيتها عقولنا القاصرة ويجب علينا الإيمان بها كسائر المغيبات والغيب لا يكيف.

ونتيجة لهذا الميثاق الذي أخذ الله على كل الناس فإن الإنسان يولد على الفطرة، على دين الإسلام قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم 30].

وعن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r : «كل مولود يولد على الفطرة ـ وفي رواية على هذه الملة ـ فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء» [2].

وعن عياض بن حمار t قال: قال رسول الله r : «يقول الله تعالى: إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم» [3].

ميثاق الرسالة :

ثم بين المصنف أن الله كمل هذا الميثاق بإرسال الرسل وإنزال الكتب فمن أطاعهم فقد فاز ومن خالفهم خاب وخسر فقال:

---

(1) أحمد (2455) رجاله رجال الشيخين غير كلثوم بن جبر البصري قال أحمد وابن معين ثقة وقال النسائي ليس بالقوي وذكره ابن حبان في الثقات، كما في التهذيب 472/3 . وأخرجه الطبري (15338) والنسائي (11191) وقال: «كلثوم هذا ليس بالقوي وحديثه ليس بمحفوظ» وصححه الحاكم والذهبي (75) و(4000) والألباني في الصحيحة (1623) وأحمد شاكر وشعيب الأرنؤوط وانظر تحقيق المسند ط: الرسالة. والحديث رواه ابن أبي حاتم وغيره موقوفا وصوب ابن كثير وقفه، في تفسيره 1174/2 وانظرعمدة التفسير63/2 .

(2) البخاري (1358) ومسلم (2658).

(3) صحيح مسلم (2865).

وبعــد هــذا رســله قــد أرســلا	لهــم وبــالحق الكتــاب أنــزلا
لكــي بــذا العهــد يــذكروهم	وينــــذروهم ويبشــــروهم
كــي لا يكــون حجــة للنــاس بــل	لله أعلــى حجــة عــز وجــل
فمــن يصــدقهم بــلا شــقاق	فقــد وفى بــذلك الميثــاق
وذاك نــاج مــن عــذاب النــار	وذلــك الــوارث عقــبى الــدار
ومــن بهــم وبالكتــاب كــذبا	ولازم الإعــراض عنــه والإبــا
فــذاك نــاقض كــلا العهــدين	مســتوجب للخــزي في الــدارين

قوله: (**وبعد هذا**) الميثاق الذي أخذ الله على الناس في ظهر أبيهم آدم عليه السلام والفطرة التي ولدوا عليها (**رسله**) سبحانه وتعالى(**قد أرسلا**) أي بعثهم، والألف للإطلاق (**لهم**) أي إلى الناس كلهم (**و بـ**) دين (**الحق**) وهو الإسلام، وكذلك (**الكتاب**) المنزل من عند الله، و"أل" للجنس فيشمل جميع الكتب السماوية، (**أنزلا**) أي هذه الكتب، والألف للإطلاق.

والمقصود من إرسال هؤلاء الرسل وإنزال هذه الكتب (**لكي بذا العهد**) الذي أخذ عليهم في ظهر أبيهم آدم (**يذكروهم**) أي يعظوهم إقامة لحجة الله البالغة عليهم (**وينذروهم**) يخوفوهم عقوبة الله إن عصوا ونقضوا عهد الله (**ويبشروهم**) بالمعيشة الطيبة في الدنيا وجنات النعيم المقيم في الآخرة إن وفوا بعهد الله وميثاقه.

(**كي**) لأجل أن (**لا يكون حجة**) على الله عز وجل (**للناس**) يعتذرون بها غدا بين يدي الله (**بل لله**) على عباده (**أعلى حجة**) أي أبلغها وأوضحها (**عز**) أي اشتدت قوته وغلبته وقهره (**وجل**) أي عظم شأنه ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [الأنعام 149] وقال جل ذكره: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء 165].

وهذا يدل على أن الحجة إنما تقوم ببعثة الرسل وأن ما قبل ذلك من الميثاق إنما هو مقدمة وتمهيد لها.

قال العلامة الشنقيطي: "والآيات القرآنية مصرحة بكثرة على عدم الاكتفاء بما

نصب من الأدلة وما ركز من الفطرة بل إن الله تعالى لايعذب أحدا حتى يقيم عليه الحجة بإنذار الرسل فمن ذلك قوله تعالى [وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا] (الإسراء15) فإنه قال فيها [حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا] ولم يقل حتى نخلق عقولا وننصب أدلة ونركز فطرة[1]".

قوله (**فمن يصدقهم**) أي الرسل (**بلا شقاق**) أي بلا خلاف ولا معاداة[2]، (**فقد وفى**) لله تعالى (**بذلك الميثاق**) الأول وما بعده من المواثيق (**و ذاك**) جزاؤه أنه (**ناج**) خالص سالم (**من عذاب النار**) لأن النار إنما هي للعاصين قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء 14]. (**وذلك**) المؤمن الوافي بعهد الله هو (**الوارث عقبى الدار**) وهي الجنة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد 19 - 22].

قوله (**ومن بهم**) أي الرسل (**وبالكتاب**) أي الكتب المنزلة من عند الله (**كذبا**) فكفر بالله ورسله وكتبه (**ولازم**) أي داوم حتى مات على (**الإعراض عنه**) أي الصد عنه (**والإبا**) أي الامتناع والرفض لأمر الله ورسوله. (**فذاك**) النوع من الناس (**ناقض كلا العهدين**) العهد الأول وعهد الرسل بعد ذلك (**مستوجب**) مستحق (**للخزي**) العذاب والنكال (**في الدارين**) أي الدنيا والآخرة. قال: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد 25]. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر 70 - 72]. وقال:

(1) أضواء البيان 201/2

(2) القاموس ص: 809.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه 124].

الخلاصة:

1- أن المقصد من خلق الإنسان هو عبادة الله وحده: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات 56].

2- أن الله أخرج بني آدم من ظهره وأخذ عليهم العهد أن يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئا فأقروا له فلذلك يولد كل إنسان على الفطرة أي الإسلام.

3- أنه تعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب يدعون إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة.

4- من صدق بالرسل وامتثل أمرهم وعمل بما في الكتب نجا من عذاب الله وفاز بالنعيم الدائم في الجنة.

5- من نقض الميثاق وكذب الرسل والكتب فذلك من حصب جهنم وله قبل ذلك المعيشة الضنك في الدنيا.

أسئلة تطبيقية:

1- ما هي فائدة خلق الإنسان وخلق هذا الكون كله؟

2- اشرح الميثاق الذي أخذه الله على كل إنسان قبل خلقه؟

3- لماذا يولد الإنسان على الإسلام؟

4- لماذا أرسل الله الرسل وأنزل الكتب؟

5- ما جزاء من وفى بالعهد فآمن بالرسل والكتب؟

6- ما عقوبة من نقض عهد الله فكفر بالرسل والكتب؟

فصل
في كون التوحيد ينقسم: إلى نوعين وبيان النوع الأول: وهو توحيد المعرفة والإثبات

ويشتمل على المسائل التالية:

1- أول واجب على العبد.

2- أنواع التوحيد.

3- بيان توحيد المعرفة والإثبات، ويشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

4- انفراد الله بالخلق والرزق والتدبير.

5- أنه تعالى الأول والآخر والواحد الصمد المهيمن.

6- إثبات علو الله تعالى ومعيته.

7- أنه الحي القيوم.

8- مخالفته تعالى للحوادث.

9- عجزنا عن معرفة كيفية الصفات.

10- البقاء والإرادة والحكم والمشيئة.

11- إحاطة بصره وسمعه وعلمه بكل شيء.

12- غناه المطلق سبحانه وتعالى.

13- كلامه تعالى وأن القرآن كلامه جل وعلا وليس مخلوقا.

14- صفة النزول وصفة المجيء.

15- صفة الرؤية.

16- منهج أهل السنة هو إمرار كل الصفات من غير تمثيل أو تعطيل.

17- ضلال من خالف ذلك لأنه معارض للكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح.

النص:

1/24	أَوَّلُ واجِـــبٍ عَلَـــى العَبِيـــدِ	مَعْرِفَـــةُ الـــرَّحْمَنِ بِالتَّوْحِيـــدِ
2/25	إذْ هُوَ مِنْ كُـلِّ الأوامِـرَ [1]اعْظَـمُ	وَهُـــوَ نَوْعَـــانِ أَيَـــا مَـــنْ يَفْهَـــمُ
3/26	إثْبـاتُ ذاتِ الـرَّبِّ جَـلَّ وَعَـلاَ	أَسْمائِهِ الْحُسْنَى صِفاتِهِ العُلَى
4/27	وَأَنَّـهُ الـرَّبُّ الْجَلِيـلُ الأَكْبَـرُ	الْخـالِقُ الْبـارِئُ والْمُصَـوِّرُ
5/28	بـارِي البَرايَـا مُنْشِـئُ الْخَلائِـقِ	مُبْـدِعُهُمْ بِـلاَ مِثـالٍ سـابِقِ
6/29	الأَوَّلُ الْمُبْـدِي بِـلاَ ابْتِـداءِ	والآخِـرُ البـاقِي بِـلاَ انْتِهـاءِ
7/30	الأَحَـدُ الْفَـرْدُ القَـدِيرُ الأَزَلِـي	الصَّـمَدُ البَـرُّ الْمُهَـيْمِنُ الْعَلِـي
8/31	عُلُـــوَّ قَهْـــرٍ وَعُلُـــوَّ شـــانِ	جَـلَّ عَـنِ الأَضْـدادِ والأَعْـوانِ
9/32	كَـــذَا لَـــهُ العُلُـــوُّ والفَوْقِيَّـــهْ	عَلَـــى عِبـــادِهِ بِـــلاَ كَيْفِيَّـــهْ
10/33	وَمَـــعَ ذَا مُطَّلِـــعٌ إلَـــيْهِمُ	بِعِلْمِـــهِ مُهَـــيْمِنٌ عَلَـــيْهِمُ[2]
11/34	وَذِكْـــرُهُ لِلقُـــرْبِ والْمَعِيَّـــهْ	لَـــمْ يَنْـــفِ لِلعُلُـــوِّ والفَوْقِيَّـــهْ
12/35	فَإنَّـــهُ العَلِـــيُّ فِـــي دُنُـــوِّهِ	وَهْـوَ القَرِيـبُ جَـلَّ فِـي عُلُـوِّهِ
13/36	حَـــيٌّ وَقَيُّـــومٌ فَـــلاَ يَنـــامُ	وَجَـــلَّ أَنْ يُشْـــبِهَهُ الأَنـــامُ
14/37	لاَ تَبْلُـغُ الأَوْهـامُ كُنْـهَ ذاتِـهِ	وَلاَ يُكَيِّـــفُ الْحِجَـــا صِـــفاتِهِ
15/38	بـــاقٍ فَـــلاَ يَفْنَـــى وَلاَ يَبِيـــدُ	وَلاَ يَكُـــونُ غَيْـــرُ مَـــا يُرِيـــدُ
16/39	مُنْفَـــرِدٌ بِـــالْخَلْقِ والإرادَهْ	وَحـــاكِمٌ جَـــلَّ بِمَـــا أَرادَهْ
17/40	فَمَـــنْ يَشَـــأْ وَفَّقَـــهُ بِفَضْـــلِهِ	وَمَـــنْ يَشَـــأْ أَضَـــلَّهُ بِعَدْلِـــهِ
18/41	فَمِـــنْهُمُ الشَّـــقِيُّ والسَّـــعِيدُ	وَذَا مُقَـــرَّبٌ وَذَا طَرِيـــدُ
19/42	لِحِكْمَـــةٍ بالِغَـــةٍ قَضـــاهَا	يَسْتَوْجِبُ الْحَمْدَ عَلَى اقْتِضاهَا
20/43	وَهْـوَ الـذِي يَـرَى دَبِيـبَ الـذَّرِّ	فِي الظُّلُماتِ فَوْقَ صُـمِّ الصَّـخْرِ

(1) بنقل حركة الهمزة إلى الراء لضرورة الوزن أو باسكان راء الأوامر، ولو قال "من كل الأمور أعظم"لكان أحسن.

(2) بإشباع ضمة الميم في "إليهم" و"عليهم" للوزن وهي لغة معروفة.

21/44 وَسَامِعٌ لِلْجَهْرِ والإخْفَاتِ ... بِسَمْعِهِ الواسِعِ لِلأَصْواتِ

22/45 وَعِلْمُهُ بِمَا بَدَا وَمَا خَفِي ... أَحاطَ عِلْمًا بالْجَلِيِّ وَالْخَفِيِّ

23/46 وَهْوَ الْغَنِي بِذاتِهِ سُبْحانَهُ ... جَلَّ ثَناؤُهُ تَعالَى شَأْنُهُ

24/47 وَكُلُّ شَيْءٍ رِزْقُهُ عَلَيْهِ ... وَكُلُّنَا مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ[1]

25/48 كَلَّمَ مُوسَى عَبْدَهُ تَكْلِيمَا ... وَلَمْ يَزَلْ بِخَلْقِهِ عَلِيمَا

26/49 كلامُهُ جَلَّ عَنِ الإحْصاءِ ... والْحَصْرِ والنَّفادِ والفَناءِ

27/50 لَوْ صارَ أَقْلامًا جَمِيعُ الشَّجَرِ ... والبَحْرُ تُلْقَى فِيهِ سَبْعَةٌ[2] أَبْحُرِ

28/51 والْخَلْقُ تَكْتُبُهُ بِكُلِّ آنِ ... فَنَتْ وَلَيْسَ القَوْلُ مِنْهُ فانِ[3]

29/52 والقَوْلُ فِي كِتابِهِ الْمُفَصَّلْ ... بِأَنَّهُ كَلامُهُ الْمُنَزَّلْ

30/53 عَلَى الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الوَرَى ... لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَلاَ بِمُفْتَرَى

31/54 يُحْفَظُ بِالقَلْبِ وَبِاللِّسانِ ... يُتْلَى كَمَا يُسْمَعُ بِالآذانِ

32/55 كَذَا بِالأَبْصارِ إِلَيْهِ يُنْظَرُ ... وَبِالأَيادِي خَطُّهُ يُسَطَّرُ

33/56 وَكُلُّ ذِي مَخْلُوقَةٍ حَقِيقَةِ ... دُونَ كَلامِ بارِئِ الْخَلِيقَةِ

34/57 جَلَّتْ صِفاتُ رَبِّنَا الرَّحْمنِ ... عَنْ وَصْفِهَا بِالْخَلْقِ والْحِدْثانِ

35/58 فالصَّوْتُ والأَلْحانُ صَوْتُ القارِي ... لَكِنَّمَا الْمَتْلُوُّ قَوْلُ البارِي

36/59 مَا قالَهُ لاَ يَقْبَلُ التَّبْدِيلاَ[4] ... كَلاَّ وَلاَ أَصْدَقَ مِنْهُ قِيلاَ

37/60 وَقَدْ رَوَى الثِّقاتُ عَنْ خَيْرِ المَلاَ ... بِأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَعَلاَ

38/61 فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ الأَخِيرِ يَنْزِلُ ... يَقُولُ هَلْ مِنْ تائِبٍ فَيُقْبَلُ

39/62 هَلْ مِنْ مُسِيءٍ طالِبٍ لِلْمَغْفِرَهْ ... يَجِدْ كَرِيمًا قابِلاً لِلمَعْذِرَهْ

---

(1) بإشباع كسرة الهاء في "عليه" و "إليه" للوزن.

(2) بإسكان التاء لضرورة الوزن، أو ضمها وجعل الهمزة همزة وصل .

(3) بحذف الياء للوزن لأن الأصل "فانيا" كقول الشاعر:

ولو أن واش باليمامة داره ... وداري أعلى حضرموت اهتدى ليا

(4) وفي نسخة "ما إن لما قد قاله تبديلا ".

40/63	يَمُــنُّ بِــالْخَيْراتِ والفَضَــائِلْ	وَيَسْتُرُ العَيْـبَ وَيُعْطِـي السَّـائِلْ
41/64	وَأَنَّــهُ يَجِــيءُ يَــوْمَ الفَصْــلِ	كَمَــا يَشَــاءُ لِلقَضَــاءِ العَــدْلِ
42/65	وَأَنَّـــهُ يُـــرَى بِـــلاَ إِنْكَـــارِ	فِـي جَنَّـةِ الفِـرْدَوْسِ بِالأَبْصَـارِ
43/66	كُـــلٌّ يَـــراهُ رُؤْيَـــةَ العيَـــانِ	كَمَـا أَتَـى فِـي مُحْكَـمِ القُـرْآنِ
44/67	وَفِـــي حَـــدِيثِ سَـــيِّدِ الأَنَـــامِ	مِــنْ غَيْــرِ مَـا شَـكٍّ وَلاَ إِبْهَـامِ
45/68	رُؤْيَـــةَ حَـــقٍّ لَـــيْسَ يَمْتَرُونَهَـــا	كَالشَّمْسِ صَحْوًا لاَ سَحابَ دُونَهَا
46/69	وَخُـــصَّ بِالرُّؤْيَـــةِ أَوْلِيَـــاؤُهُ	فَضِـــيلَةً وَحُجِبُـــوا أَعْـــدَاؤُهُ
47/70	وَكُـــلُّ مَـــا لَـــهُ مِـــنَ الصِّـــفاتِ	أَثْبَتَهَــا فِــي مُحْكَــمِ الآيَــاتِ
48/71	أَوْ صَـحَّ فِـي مَـا قالَـهُ الرَّسُـولُ	فَحَقُّـــهُ التَّسْـــلِيمُ والقَبُـــولُ
49/72	نُمِرُّهَـــا صَـــرِيحَةً كَمَـــا أَتَـــتْ	مَـعَ اعْتِقادِنَـا لِمَـا لَـهُ اقْتَضَـتْ
50/73	مِـنْ غَيْـرِ تَحْرِيـفٍ وَلاَ تَعْطِيـلِ	وَغَيْـــرِ تَكْيِيـــفٍ وَلاَ تَمْثِيـــلِ
51/74	بَـلْ قَوْلُنَـا قَـوْلُ أَئِمَّـةِ الْهُـدَى	طُوبَى لِمَنْ بِهَـدْيِهِمْ قَـدِ اهْتَـدَى
52/75	وَسَـمِّ ذَا النَّـوْعَ مِـنَ التَّوْحِيـدِ	تَوْحِيـــدَ إِثْبَـــاتٍ بِـــلاَ تَرْدِيـــدِ
53/76	قَـدْ أَفْصَـحَ الـوَحْيُ الْمُـبِينُ عَنْـهُ	فَـالْتَمِسِ الْهُـدَى الْمُـنِيرَ مِنْـهُ[1]
54/77	لاَ تَتَّبِـعْ أَقْـوالَ كُـلِّ مَـارِدِ	غَـــاوٍ مُضِـــلٍّ مَـــارِقٍ مُعانِـــدِ
55/78	فَلَـــيْسَ بَعْـــدَ رَدِّ ذَا التِّبْيَـــانِ	مِثْقَـــالُ ذَرَّةٍ مِـــنَ الإِيمَـــانِ

الشرح:

أول واجب على العبيد:

بدأ المصنف ببيان أول ما يجب على العبد فقال:

أول واجـــب علـــى العبيـــد   معرفـــة الـــرحمن بالتوحيـــد

(1) بإشباع ضمة الهاء في "عنه" و "منه" للوزن.

إذ هو من كل الأوامر اعظم ۝ وهو نوعان أيا من يفهم

قوله (**أول**) شيء (**واجب**) أي فرض (**على العبيد**) المكلفين هو (**معرفة الرحمن**) أي معرفتهم إياه (**بالتوحيد**) مصدر وحده وأحده جعله واحدا وأفرده، واصطلاحا: "إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به"[1].

(**إذ**) للتعليل كقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف 39]، وقوله: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف 11]. وقال الفرزدق:

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم ۝ إذ هم قريش وإذ ما مثلهم بشر[2]

قوله (**إذ هو**) أي لأجل أن التوحيد (**من كل**) أي جميع (**الأوامر**) جمع أمر وهو الطلب الجازم واصطلاحا: استدعاء الفعل بالقول على وجه الاستعلاء[3]. يعني أنه من كل الفرائض والواجبات (**أعظم**) أي أهم وأجل.

والدليل على وجوب البدء بالدعوة إلى التوحيد هو أنه r وجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام إنما بدؤوا بالدعوة إليه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل 36]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء 25].

وأمر رسول الله r الدعاة بذلك فعن ابن عباس t قال: لما بعث رسول الله r معاذا نحو أهل اليمن قال له: إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى... »الحديث[4]. وفي رواية للبخاري: «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»[5].

قوله (**وهو**) أي التوحيد (**نوعان**) أي قسمان (**أيا**) حرف لنداء البعيد لا

---

(1) انظر الصحاح للجوهري 460/1 ولسان العرب 446/3-453.

(2) انظر مغني اللبيب ص: 86-87.

(3) انظر المذكرة للشنقيطي ص: 212 وإرشاد الفحول ص: 166 ونشر البنود 400/1.

(4) البخاري (7372) واللفظ له ومسلم (19).

(5) البخاري (1395).

القريب وتبدل همزته هاء قال الشاعر:

أيـا جبلـي نعمـان بـالله خليـا نسـيم الصـبا يخلـص إلي نسـيمها[1]

(من) اسم موصول بمعنى الذي **(يفهم)** يعقل ويفقه.

قال ابن القيم: "وملاك السعادة والنجاة والفوز بتحقيـق التوحيـدين اللـذين عليهما مدار كتاب الله تعالى وبتحقيقهمـا بعـث الله سـبحانه وتعـالى رسـوله ﷺ، وإليهما دعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم من أولهـم إلى آخـرهم، أحـدهما: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي المتضمن إثبات صفات الكمال لله تعالى وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل وتنزيهه عن صفات الـنقص، والتوحيـد الثـاني: عبادتـه وحده لا شريك له وتجريد محبته والإخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه والرضا به ربا وإلها ووليا وأن لا يجعل له عدلا في شيء من الأشياء.

وقد جمع سبحانه وتعالى هذين النوعين من التوحيد في سورتي الإخلاص وهمـا سورة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون 1]، المتضمنة للتوحيد العملـي الاداري، وسورة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخـلاص 1]، المتضـمنة للتوحيـد العلمـي الخـبري فسورة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فيها بيان ما يجب لله تعالى من صفات الكمال وبيان ما يجب تنزيهه عنه من النقائص والأمثال وسورة: ﴿قُـلْ يَـا أَيُّهَـا الْكَـافِرُونَ﴾، فيهـا إيجاب عبادته وحده لا شريك له والتبري من عبادة كل ما سواه.

ولا يتم أحد التوحيدين إلا بالآخر ولهذا كان النبي ﷺ يقرأ بهاتين السورتين في سنة الفجر والمغرب والوتر اللتين هما فاتحة العمـل وخاتمتـه ليكـون مبـدأ النـهار توحيدا وخاتمته توحيدا"[2].

تعريف توحيد المعرفة والإثبات (التوحيد العلمي الخبري):

شرع المصنف في بيان النوع الأول من التوحيد فقال:

إثبـات ذات الـرب جـل وعـلا أسمائـه الحسـنى صـفاته العلـى

---

(1) القاموس المحيط ص: 1214 ومغني اللبيب ص: 24 ووهم الجوهري في قوله إنها للقريب والبعيد.

(2) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ص: 63-64.

وأنــه الــرب الجليــل الأكــبر الخــالق البــارئ والمصــور
بــاري البرايــا منشــئ الخلائــق مبــدعهم بــلا مثــال ســابق

قوله (**إثبات**) أي الإيمان الجازم بـ(**ذات**) اعلم أن ذات هي مؤنث ذو بمعنى صاحب كقوله تعالى: ﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾ [الأنفال 7]، وقال: ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ [الحج 2]، فكلمة ذات بمعنى صاحبة كذا تأنيث ذو هذا أصل معنى الكلمة، قاله ابن أبي العز[1]،

ووردت مضافة إلى الله بمعنى من أجل وبمعنى حق كحديث أبي هريرة t مرفوعا: «لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله عز وجل.. » الحديث[2]. وكذلك قول خبيب الأنصاري t :

ولســت أبــالي حــين أقتــل مســلما علــى أي جنــب كــان لله مصــرعي
وذلــك في ذات الإلــه وإن يشــأ يبــارك علــى أوصــال شــلو ممــزع[3]

أما إطلاق المتكلمين ذات الله عليه جل وعلا فلا يثبت فيه شيء شرعا ولا يعرف عن أحد من السلف، وأنكر بعضهم ثبوته لغة قال ابن برهان من النحاة: إطلاق المتكلمين الذات في حق الله تعالى من جهلهم لأن ذات تأنيث ذو وهو جلت عظمته لا يصح له إلحاق تاء التأنيث ولهذا امتنع أن يقال علامة وإن كان أعلم العالمين، قال: وقولهم: الصفات الذاتية جهل منهم أيضا لأن النسب إلى ذات ذووية لأن النسبة ترد الاسم إلى أصله.

وقال التاج الكندي في الرد على الخطيب ابن نباته في قوله: "كنه ذاته" : ذات بمعنى صاحبة تأنيث ذو وليس لها في اللغة مدلول غير ذلك[4].

قوله (**الرب**) هو المالك الخالق المدبر، قال الحارث بن حلزة:

وهــو الــرب والشــهيد علــى يــو م الحيــارين والــبلاء بــلاء

(1) انظر شرح الطحاوية ص: 126.

(2) البخاري (2217 و(3358) واللفظ له ومسلم (2371.

(3) البخاري 7402.

(4) انظر المصباح ص: 129 وتهذيب الأسماء واللغات 107/3 وفتح الباري 3307/3.

أي الملك، ويطلق على السيد المطاع قال لبيد:

وأهلكن يوما رب كندة وابنه ورب معد بين خبت وعرعر

وكما يقال للرجل المصلح للشيء قال الفرزدق:

كانوا كسالئة حمقاء إذ حقنت سلاءها في أديم غير مربوب

أي غير مصلح[1].

(جل) عظم **(وعلا)** علو شأن وقهر ومنزلة وعلو فوقية فهو الأعلى **(و)** إثبات **(أسمائه الحسنى)** التي هي أحسن الأسماء وأجلها أعظمها وهي كل ما أثبته لنفسه أوأثبته له عبده ورسوله محمد r ، قال I : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف 180].

وقال I : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء 110]. وعن أبي هريرة t أن رسول الله r قال: « إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة »[2].

وليست أسماء الله تعالى محصورة في هذا العدد لحديث ابن مسعود t أن رسول الله r قال: «ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيَّ حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحا»[3].

---

(1) الصحاح 154/1 وتفسير الطبري 91/1- 92.

(2) البخاري (2736) ومسلم (2677).

(3) أحمد (3712) وأبو يعلى (5297) و ابن حبان (972) والحاكم509/1 ورجاله رجال الصحيح إلا أبا سلمة الجهني، فإن كان هو موسى بن عبد الله الجهني فهو ثقة من رجال مسلم وإن كان غيره فمجهول ورجح التفريق بينهما البخاري والدارقطني والذهبي والعسقلاني والهيثمي. ورجح ابن معين اتحادهما وتبعه الألباني في الصحيحة (199) وذكر له شواهد، وصحح الحديث ابن حبان والحاكم وابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الباقي الأنصاري والألباني وانظر تحقيق المسند ط: الرسالة.

تنبيه:

1- ومن أسماء الله ما لا يطلق عليه إلا مقترنا بمقابله كالمعطي والمانع والقابض والباسط والمعز والمذل والخافض والرافع ونحوه.

2- وقد أطلق الله على نفسه أفعالا على سبيل الجزاء والعدل (المشاكلة)وهي فيما سيقت فيه مدح وكمال، لكن لا يوصف بها إلا في هذا السياق ولا يشتق له منها أسماء مثل قوله ا : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [النساء 141]. وقوله ا : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [آل عمران 54]. وقوله ا : ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة 67]

و إثبات (**صفاته العلى**) وهي كل الصفات التي وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله r من صفات الكمال ونعوت الجلال وصفات الأفعال، مما تضمنته أسماؤه بالاشتقاق، كالعلم والقدرة والسمع والبصر والحكمة والعزة والعلو وغيرها، أو مما أخبر به عن نفسه أو أخبر به رسوله r مما ليس مشتقا من الأسماء كحبه للمؤمنين وكراهيته انبعاث المنافقين وسخطه على الكافرين وغضبه عليهم، وإثبات وجهه ذي الجلال والإكرام، ويديه المبسوطتين، وغير ذلك مما هو ثابت بالكتاب والسنة الصحيحة.

ونمر هذه الصفات على ظاهرها من غير تشبيه ولا تمثيل بصفات المخلوقين ومن غير تحريف ولا تعطيل، فمعنى صفات الله معلوم وكيفها مجهول ونقل غير واحد إجماع أهل السنة على ذلك.

قال ابن عبد البر: "أهل السنة مجمعون على الإقرارِ بِالصفات الوارِدة كلها في القرآن والسنة والإيمان بِها وحملها على الحقيقة لا على المجازِ إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة وأما أهل البِدع والجهمية والمعتزِلة كلها والخوارِج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقر بِها مشبه وهم عند من أثبتها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بِما نطق بِه كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد للّه "[1].

(1) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد لابن عبد البر المالكي145/7 الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب عام النشر: 1387 هـ.

قال شمس الدين ابن القيم: "لا يستقر للعبد قدم في المعرفة بـل ولا في الإيمـان حتى يؤمن بصفات الرب جل وعلا ويعرفها معرفة تخرجـه عـن حـد الجهـل بربـه، فالإيمان بالصفات وتعرفها هو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان وثمرة شجره فمن جحد الصفات فقد هدم أساس الإسلام والإيمان وثمرة شجرة الإحسان فضلا عن أن يكون من أهل العرفان وقد جعل الله منكر صفاته مسيئ الظن به وتوعده بما لم يتوعد بـه غيره من أهل الشرك والكفر والكبائر فقال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْـهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّـا تَعْمَلُونَ (22) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِـنَ الْخَاسِـرِينَ (23) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾"[1].

(و) الإيمان (أنه الرب الجليل) العظيم المتصف بكل صفات الكمـال ونعـوت الجلال (الأكبر)من كل شيء فله غاية الكبرياء والعظمـة (**الخـالق البـارئ**) الـذي فطر كل شيء وأنشأه وأوجده قال تعالى : ﴿اللَّهُ خَـالِقُ كُـلِّ شَـيْءٍ﴾ [الرعـد 16] وقال ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقـان 2]. وقـال: ﴿هُـوَ اللَّـهُ الْخَـالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الحشر 24].

(**والمصـور**) الذي خلق كل مخلوق على الكيفية والهيئة الـتي يشـاء ويريـد قـال تعالى ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُـورَةٍ مَـا شَـاءَ رَكَّبَـكَ﴾ (**بـاري البرايـا**) أي خـالق الخلـق و هـو (**منشـئ الخلائـق**) أي خـالق الموجودات كلها (**مبـدعهم**) أي خالقهم لأول مرة (**بلا مثـال سابق**) ولانظير مشابه.

واعلم وفقنا الله وإياك أن الذي يرسخ الإيمان بربوبيته تعالى وأسمائـه وصـفاته هو أحد أمرين:

أ- تأمل آياته الكونية والتفكر في بديع صنعه في خلقه.

ب- تدبر الآيات القرآنية حيث تتحدث عن عظمة الله، وأسمائه وصفاته الدالة على قدرته وكبريائه وجلاله.

(1) مدارج السالكين 277/4 ط: دار طيبة.

أولا: الآيات الكونية:

فمرة ينبهنا الله إلى خلق السماء والأرض والليل والنهار وتسخير البحر وإنزال المطر وإنبات النبات، فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة 164].

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام 95-96].

وأحيانا ينبهنا إلى مشهد السحاب: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [النور 43].

ومرة يلفت انتباهنا إلى هذه الحيوانات التي سخر لنا: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل 5-8].

وتارة يبين مراحل تكوين الجنين: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[المؤمنون 12-14].

وقد يبين آياته في الكون وفي أنفسنا لعلنا نتعظ بذلك: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾[الروم 20-25].

وقد هدى الله الكائنات الحية إلى طريقة تكاثرها ومعيشتها: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه 50].

فمن ذلك مثلا النحل قال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل 68-69].

قال ابن القيم: "فتبارك الذي هداها أن تسلك سبل مراعيها على قوتها، وتأتيها ذللا لا تستعصي عليها ولا تضل عنها وأن تجتني أطيب ما في المرعى وألطفه وأن تعود إلى بيوتها الخالية، فتصب فيها شرابا مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون، فإذا فرغت من بناء البيوت خرجت خماصا تسبح سهلا وجبلا فأكلت من الحلاوات المرتفعة على رؤوس الأزهار وورق الأشجار، فترجع بطانا، وجعل سبحانه في أفواهها حرارة منضجة تنضج ما جنته فتعيده حلاوة ونضجا ثم تمجه في البيوت، حتى إذا امتلأت ختمتها وسدت رؤوسها بالشمع المصفى، فإذا امتلأت تلك البيوت عمدت إلى مكان آخر إن صادفته، فاتخذت فيه بيوتا وفعلت كما فعلت في البيوت الأولى، فإذا برد الهوى وأخلف المرعى وحيل بينها وبين الكسب لزمت بيوتها واغتذت بما ادخرته من العسل وهي في أيام الكسب والسعي، تخرج بكرة وتسيح في المراتع وتستعمل كل فرقة منها بما يخصها من العمل فإذا أمست رجعت إلى بيوتها وإذا كان وقت رجوعها وقف على باب الخلية بواب منها ومعه أعوان، فكل نحلة تريد الدخول يشمها البواب ويتفقدها فإن وجد منها رائحة منكرة أو رأى بها لطخة من قذر منعها من الدخول وعزلها ناحية إلى أن يدخل الجميع . . "[1].

يقول الدكتور يوسف عز الدين: لو اكتشف أحد عمال النحل حقلا أو كمية من النباتات تعتبر مصدرا للغذاء، فإنه يعود للمستعمرة ليخبر باقي العمال عن

(1) شفاء العليل ص: 67.

هذا الكنز الذي اكتشفه، وذلك عن طريق طقوس رقص عجيبة تفعلها النحلة بطريقة غريزية دون أن تدري لماذا تفعل هذا[1].

- هداية النمل:

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[النمل 18].

قال ابن القيم: "وهذه النمل من أهدى الحيوانات وهدايتها من أعجب شيء فإن النمل الصغيرة تخرج من بيتها وتطلب قوتها وإن بعدت عليها الطريق فإذا ظفرت به حملته وساقته في طرق معوجة بعيدة ذات صعود وهبوط في غاية من التوعر حتى تصل إلى بيوتها فتخزن فيها أقواتها في وقت الإمكان، فإذا خزنتها عمدت إلى ما ينبت منها ففلقته فلقتين لئلا ينبت فإن كان ينبت مع فلقه باثنتين فلقته بأربعة فإذا أصابه بلل وخافت عليه العفن والفساد انتظرت به يوما ذا شمس فخرجت به فنشرت على أبواب بيوتها ثم أعادته إليها، ولا تتغذى نملة مما جمعه غيرها.

ويكفي في هداية النمل ما حكاه الله سبحانه في القرآن عن التي سمع سليمان كلامها وخطابها لأصحابها بقولها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل 18]، فاستفتحت خطابها بالنداء الذي يسمعه من خاطبته ثم أتت بالاسم المبهم ثم أتبعته بما يثبته من اسم الجنس إرادة للعموم ثم أمرتهم بأن يدخلوا مساكنهم فيتحصنوا من العسكر ثم أخبرتهم عن سبب هذا الدخول وهو خشية أن يصيبهم معرة الجيش فيحطمهم سليمان وجنوده ثم اعتذرت عن نبي الله وجنوده بأنهم لا يشعرون بذلك وهذا من أعجب الهداية"[2].

ومن العجائب ممارسة النمل لمهنة التنمية : "إن حشرات المن التي يطلق عليها أحيانا "قمل النبات" التي نراها على أوراق بعض النباتات يرعاها النمل ليستفيد منها ففي الربيع الباكر يرسل النمل الرسل لتجمع له بيض هذا المن فإذا جاؤوا به

(1) العقيدة في الله ص: 107.

(2) شفاء العليل ص: 68-69.

وضعوه في مستعمرتهم حيث يضعون بيضهم ويهتمون ببيض هـذه الحشـرات كمـا يهتمون ببيضهم فإذا فقس بيض المن وخرجت منـه الصـغار أطعموهـا وأكرموهـا وبعد فترة قصيرة يأخذ المن يدر سائلا حلوا كالعسل كما تدر البقرة اللبن، ويتـولى النمل حلب هذا المن للحصول على هذا السائل"[1]، فمن الذي ألهم النمل ذلك؟! إنه ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه 50].

ولا يعتني النمل بتربية الماشية فقط بل منـه مـا يقـوم بالفلاحـة فقـد عثـر بعـض الباحثين في إحدى الغابات على قطعة من الأرض قد نما بها أرز قصير من نوع نصـف بري، كانت مساحة القطعة خمسة أقدام طولا في ثلاثة عرضا، وكان طول الأرز نحو سـتة سنتمترات ويتراءى للناظر إلى هذه البقعة مـن الأرض أن أحـدا لا بـد أن يعـتني بهـا، فالطينة حول الجذور كانت مشققة والأعشاب الغريبة كانت مستأصلة ... انبطح الرجل على الأرض ليعلم حقيقة الأمر ولكنه اندهش حينما لاحظ أن طوائف النمل هي التي قامت بذلك فرأى بعضها يحرث الأرض وبعضها يقطع الأعشاب الضارة... وقد راقب المزرعة حتى نما الأرز حتى بلغ طولـه (60 سـم) ونضـجت حبـات الأرز فبـدأ موسـم الحصاد!! حيث شاهد النمل يتسلق الأرز ليأخذ الحب ويذهب به إلى بيته، بل الأعجب أن طائفة من النمل كانت تتسلق الأعواد فتلتقط الحب ثم تلقي به بينما طائفـة أخـرى تتلقاه وتذهب به إلى المخازن[2] !!! فهل درس هذا النمل في كليـة الزراعـة!! بـل هـداه ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه 50].

ثانيا: تدبر الآيات القرآنية:

لقد حث الله جل ثناؤه على تدبر كتابه فقال : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُـرْآنَ أَمْ عَلَـى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد 24]، وقال: ﴿كِتَـابٌ أَنْزَلْنَـاهُ إِلَيْـكَ مُبَـارَكٌ لِيَـدَّبَّرُوا آيَاتِـهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[ص: 29]. وقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ

(1) انظر العقيدة في الله ص: 114-115.

(2) انظر العقيدة في الله ص: 114- 115.

فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ [الأنعام 104]،

إن القرآن الكريم كتاب هداية لكل الناس في كل زمان ومكان مهما كان تقدمهم أو تخلفهم ، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت 53]. لذلك يجد المتخصص في أي مجال من مجالات المعرفة من الإشارات القرآنية ما يقنعه بأن هذا هو كتاب الله المنزل لإنقاذ البشرية :

1 ـ فمثلا يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ [الواقعة 74-76]، هنا نجد تهويلا لهذا القسم، لكن لماذا أقسم ربنا تبارك وتعالى بمواقع النجوم ولم يقسم بالنجوم ذاتها مع عظم شأنها؟!

الجواب أنه من رحمة الله بنا أن ما نراه هي مواقع مرت بها النجوم فقط، لأن الإنسان لو نظر إلى النجم مباشرة لفقد بصره.

فالشمس وهي أقرب نجم إلينا يبعد عنا حوالي 150مليون كلم وحين ينبثق منها الضوء يصل إلينا بعد ثماني دقائق وثلث الدقيقة، والشمس تجري بسرعة 19,4 كلم في الثانية وتدور حول مركز المجرة بسرعة 220 كلم في الثانية، ولذلك الذي نراه هو موقع مرت به. وأقرب نجم إلينا بعد الشمس يبعد عنا 4,3 سنة ضوئية[1] وإذا انبثق منه الضوء فإنه يصل إلينا بعد أكثر من خمسين شهرا يكون النجم خلالها قد تحرك من مكانه لمسافات شاسعة. بل إن بعض النجوم التي نرى ضوءها في الليل قد انفجرت منذ آلاف السنين ولا وجود لها الآن[2].

2 ـ لقد كان الملاحدة يسخرون من قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام 125].

لأن الإنسان يصعد على المرتفعات طلبا للريح في حالة قلتها !! لكن العلم الحديث قد أثبت الآن أن الإنسان إذا ارتفع أكثر من 25 ألف قدم بدون حماية من قلة الضغط وندرة الأكسجين فسيموت في الحال!!

(1) تقدر السنة الضوئية بحوالي 9,5 مليون مليون (تريليون) كلم.

(2) انظر: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن لزغلول النجار ص: 37-39 والإسلام يتحدى لوحيد الدين خان ص: 76-78.

لأن أجهزته تتوقف كالجهاز العصبي والجهاز الدوري والجهاز التنفسي لفقد الأكسجين والغازات في خلايا جسده فتبدأ تفور وتغلي نتيجة قلة الضغط فتنفجر هذه الأوعية كلها فيتعرض الإنسان إلى حشرجة في الصدر تشبه حشرجة الموت، هذا بالإضافة إلى الاختناق لفقد الأكسجين(1).

3 - وحول قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر 1].

نقف عند هذه القصة المؤثرة: قال داود موسى فيكتور رئيس الحزب الإسلامي البريطاني: "وأنا أبحث عن الأديان أهداني شباب مسلم ترجمة لمعاني القرآن الكريم وأخذتها إلى البيت وشكرته عليها وحين فتحت هذه الترجمة وكانت أول سورة أطلع عليها هي سورة القمر فقرأت آية ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر 1] فقلت: هل يعقل هذا الكلام؟ هل يمكن أن ينشق القمر ثم يعود ويلتحم؟ وأي قدرة تصنع ذلك؟ فصدتني هذه الآية عن مواصلة القراءة وتركت المصحف وانشغلت بأموري ولكن الله تعالى يعلم مدى إخلاصي في البحث عن الحقيقية فأجلسني ربي أمام التلفاز البريطاني وكان هناك حوار يدور بين معلق ابريطاني وثلاثة من علماء الفضاء الآمريكان فكان المذيع البريطاني يعاتب هؤلاء على الإنفاق الشديد على رحلات الفضاء في الوقت الذي تمتلئ الأرض بمشكلات الجوع والفقر والمرض والتخلف، وكان يقول: هذا المال لو أنفق على عمران الأرض لكان أجدى وأنفع.

وجلس الثلاثة يدافعون عن وجهة نظرهم، والعلماء الآمريكان يقولون: إن هذه التقنية تطبق في نواح كثيرة من الحياة، يمكن أن تطبق في الطب وتطبق في الصناعة وتطبق في الزراعة، فهذا المال ليس مالا مهدرا، ولكن أعاننا في تطوير تقنيات متقدمة للغاية، في هذا الحوار جاء ذكر رحلة أول رجل للقمر، وعلى أنها كانت أكثر الرحلات كلفة، فكلفت أكثر من 100 ألف مليون دولار، فصرخ فيهم المذيع وقال: أي سفه ذلك 100 ألف مليون دولار لكي تضعوا العلم الآمريكي على سطح القمر، فقالوا: لم يكن الهدف مجرد وضع العلم، كنا ندرس التركيب الداخلي لسطح القمر، ولقد وجدنا حقيقة لو أنفقنا أضعاف هذا المال

(1) انظر الإعجاز العلمي لزغلول النجار 58/2 وتوحيد الخالق للزنداني ص: 343.

لإقناع الناس بها ما صدقنا بها أحد. فقال: ما هذه الحقيقة؟ فقالوا: هـذا القمـر انشق في يوم من الأيام ثم التحم فقال: كيف علمتم هذا؟ فقالوا: وجدنا حزاما من الصخور المتحولة يقطع القمر من وسطه إلى جوفه فاستشرنا علماء الأرض وعلماء الجيولوجيا فقالوا: لا يمكن أن يكون هذا قد حدث إلا إذا انشق القمـر والتحم، فقفزت من على الكرسي وقلت: معجزة تحدث لمحمـد ﷺ قبـل 1400 سنة يسخر الله الآمريكيين لينفقوا أكثـر مـن 100 ألـف مليـون دولار ليثبتـوا للمسلمين ذلك إذن هذا الدين الإسلامي على حق فرجعـت إلى سـورة القمـر وكانت مدخلي إلى قبول الإسلام دينا"[1].

4 ـ قال تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِـي ذَلِـكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى 33].

ليس هذا خاصا بالمراكب الشراعية القديمة بـل كافـة أنـواع المراكـب الحديثـة تدخل في ذلك سواء كانت تستخدم الفحـم أو الـنفط أو حـتى الوقـود النـووي إذا انعدمت الريح (الأكسجين) تتوقف حركتها تماما لأن وسيلتها في الاحتراق هو غاز الاكسجين الموجود في الجو.

5 ـ قال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ [يس 37].

فشبه رقة طبقة النور (النهار) بجلد الذبيحة الذي إذا انسلخ عنها ترك البـاقي متجانسا ووحد ظلمة الأرض بظلمة الليل فأصبح كيانا متجانسا.

لقد أصبح من المعلوم أن طبقة النور (النهار) لا تتجاوز 200 كلم فوق سـطح الأرض وما عداها ظلام دامس مع أن المسافة بيننا وبين الشمس 150 مليـون كلـم فكيف ببقية الكون كله.

إن لدينا ظلمة الكون وظلمة الأرض، نصف الكـرة الأرضـية الـذي لا يواجـه الشمس تعتريه الظلمة وهي ظلمة الأرض وتتصل بظلمـة الكـون فيكـون الظـلام دامسا، أما النصف المنور في الأرض فلا يغطيه إلا طبقـة رقيقـة جـدا مـن النـور لا

(1) انظر الإعجاز العلمي في القرآن لزغلول النجار ص: 2/51-51.

يتعدى سمكها 200 كلم.

لهذا عندما تجاوز أول رائد فضاء آمريكي هذه المنطقة اندهش لشدة الظلام وقال: أنا فقدت بصري تقريبا أو كأن شيئا من السحر اعتراني؟! ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ [الحجر 14-15].

فالنهار هو الذي يجلي الشمس ويظهر نورها فضياؤها في غير منطقة النهار ظلام دامس، بل ضياؤها بعد 200 كلم لا يكاد يرى وتصبح الشمس قرصا أزرق في صفحة سوداء. قال تعالى :﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ [الشمس 1-3] . وأمثال ذلك كثير.

الأول و الآخر:

قال المصنف رحمه الله:

الأول المبدي بلا ابتداء والآخر الباقي بلا انتهاء

قوله (**الأول**) قبل كل شيء بغير حد[1]، قال ﷺ : «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السماوات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء»[2].

قوله: (**المبدي**) الذي يبدأ الخلق ثم يعيده قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس 34] ولم يثبت اسم المبدئ في كتاب ولا سنة، ولعل المصنف إنما ذكره على سبيل الإخبار فقط، (**بلا ابتداء**) يعني لا حد ولا حصر لأوليته.

قوله: (**والآخر**) بعد كل شيء بغير نهاية[3]، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا

(1) تفسير الطبري 670/11.

(2) البخاري (7418) كتاب التوحيد باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾.

(3) تفسير الطبري 670/11.

وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص 88]. **(الباقي)** الآخر **(بلا انتهاء)** يعني لا غاية ولا نهاية لآخريته، واعلم أن اسم الباقي لم يرد في الكتاب والسنة بلفظه وإن ورد وصفه تعالى بهذه المادة "البقاء" قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن 26-27]. وقال: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه 73] ونحو ذلك فينبغي استبدال الباقي بالآخر.

وفي حديث أبي هريرة أنه r قال: «أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء»[1].

الأحد والقدير والصمد والبر والمهيمن:

قال المصنف رحمه الله:

الأحـد الفـرد القـدير الأزلي الصـمد الـبر المهـيمن العلـي

قوله **(الأحد)** يعني هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله عز وجل لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله[2]. قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص1].

قوله **(الفرد)** الوتر وهو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا مثل ولا ثاني، و إنما ذكر المصنف "الفرد" تبعا لابن تيمية وابن القيم ومن وافقهما على سبيل الإخبار لأنه ليس من أسماء الله الواردة في الكتاب أو في ما صح من السنة، قال الأزهري: ولم أجده في صفات الله تعالى التي وردت في السنة، قال: ولا يوصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به النبي r [3].

---

(1) مسلم (2713).

(2) تفسير ابن كثير 3121/4.

(3) لسان العرب 331/3.

قوله (**القدير**) المنفرد بالقدرة الكاملة التامة، الذي لا يعجزه شيء، الفعال لما يريد: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس 82]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر 44]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة 20].

وفي حديث جابر t في الاستخارة أنه r قال: «اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب»[1].

(**الأزلي**) يعني القديم الأبدي الذي لا ابتداء لأوليته ولا انتهاء لآخريته ولم يثبت هذا الاسم في كتاب ولا سنة، ولعل المصنف إنما ذكره على سبيل الإخبار فقط. ومثله القديم فقد أنكر شيخ الإسلام تسميته تعالى بذلك في منهاج السنة النبوية 123/2 وابن القيم في بدائع الفوائد 162/1 . و اضطرب كلام السفاريني في اللوامع فأثبته اسما لله في 38/1 ، وأما في 125/1 فنقل عن ابن القيم ما يؤيد أنه ليس باسم لله وسكت عليه .

قوله (**الصمد**) وهو المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له[2]. قال ابن عباس: الذي يصمد إليه في الحاجات، فهو على هذا فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض[3]، وقال علي وابن عباس وابن مسعود وأبو وائل وسفيان والزجاج: "الصمد" هو السيد الذي قد انتهى - يعني كمل - في أنواع الشرف والسؤدد، ومن هذا المعنى قول الشاعر:

علوته بحسام ثم قلت له   خذها حذيق فأنت السيد الصمد[4]

---

(1) صحيح البخاري (1166) و(6382) و(7390).

(2) تفسير الطبري 741/12.

(3) انظر فتح القدير 516/5 وتفسير الطبري 743/12 - 744.

(4) انظر تفسير القرطبي 167/20 وتفسير الطبري 743/12 - 744 وفتح القدير 517/5.

وقال أبو هريرة t : "الصمد" المستغني عن كل شيء والمحتاج إليه كل شيء[1].

وقال مقاتل: "الكامل الذي لا عيب فيه، وقال السدي: المقصود في الرغائب والمستعان به في المصائب[2]. قال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾.

قوله **(البر)** أي كثير البر والإحسان واللطف والرفق بعباده، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾.

قوله: **(المهيمن)** الشهيد على عباده بأعمالهم الرقيب عليهم قاله ابن عباس t ومجاهد وقتادة ومقاتل وغيرهم[3]. قال تعالى : ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾.

قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ [الأحزاب 52] وقال: ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس 46].

صفة العلو :

قال المصنف :

... ...	... ... العلي
علو قهر وعلو الشان	جل عن الأضداد والأعوان
كذا له العلو والفوقيه	على عباده بلا كيفيه
ومع ذا مطلع إليهم	بعلمه مهيمن عليهم
وذكره للقرب والمعية	لم ينف للعلو والفوقية
فإنه العلي في دنوه	وهو القريب جل في علوه

قوله **(العلي)** قال تعالى : ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر 12] العلو الحقيقي الكامل بكل معانيه والتي أولها **(علو قهر)** فكل شيء تحت سلطان قهره،

---

(1) تفسير القرطبي 168/2 وفتح القدير 516/5 - 518.

(2) تفسير القرطبي 168/2 وفتح القدير 516/5 - 518.

(3) تفسير الطبري 52/12 وتفسير ابن كثير 2818/4 وفتح القدير 208/5.

قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد 16].

وقد جمع الله بين علو الفوقية والقهر في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام 18]، أي هو الذي قهر كل شيء وخضع لجلاله كل شيء، وعلا بنفسه على عرشه فوق كل شيء.

(و) النوع الثاني من العلو **(علو شأن)** فتعالى عن جميع النقائص والعيوب المنافية لكمال ربوبيته وألوهيته وأسمائه الحسنى وصفاته العلى. قال تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون 16]، وقال: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون 92]. **(جل)** أي عظم وتقدس وتنزه **(عن الأضداد)** أي الأنداد والأقران والأمثال قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى 11]، **(والأعوان)** أي المساعدين المظاهرين قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ 22].

والنوع الثالث هو المبين بقوله **(كذا)** ثبت **(له)** بالكتاب والسنة والإجماع **(العلو والفوقية)** التي تليق بجلاله وعظمته وكبريائه **(على عباده)** فوق عرشه بائنا عن خلقه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم **(بلا كيفية)** أي مع أن معنى العلو معلوم لكن كيفية هذه الصفة مجهولة لا نستطيع إدراكها أصلا.

ولقد تواترت وتضافرت الأدلة القطعية الكثيرة على إثبات هذه الصفة العظيمة بأساليب متنوعة:

* فأحيانا يصرح باستوائه فوق عرشه مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف 54].

وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس 3].

وقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد 2].

وقال: ﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾ [طه 4-6].

وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان 58].

وقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد 4].

وعن أبي هريرة t عن النبي r قال: «إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي»[1].

وأحيانا بذكر أسمائه الدالة على صفة العلو كقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى 1]. وقوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة 255]. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء 34]. وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج 62].

* ومن ذلك التصريح بالفوقية لله تعالى كقوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام 18]، وقوله:﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل 50].

عن أنس t قال: كانت زينب تفخر على أزواج النبي r تقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات[2].

(1) البخاري كتاب التوحيد باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ (7422) ومسلم (2751).

(2) صحيح البخاري كتاب التوحيدن باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ الحديث: (7420).

وأحيانا التصريح بأنه في السماء كقوله تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك 16-17].

وفي حديث أبي سعيد الخدري t أنه r قال: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء » الحديث[1].

وفي حديث معاوية بن الحكم t الطويل في قصة الجارية أنه قال: «قلت يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: «ائتني بها» فأتيته بها فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «من أنا» قالت: أنت رسول الله r قال: «أعتقها فإنها مؤمنة»[2].

ومن ذلك بيان الرفع والصعود والعروج إليه:

كقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء 158]، وقوله تعالى:﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر 10]، وقوله:﴿ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج 2-3].

وعن أبي هريرة t أنه r قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون»[3].

ومن ذلك ذكر نزول الملائكة وتنزل القرآن:

قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [النحل 2]، وقال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [آل عمران 2]، وقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء 193-194]، وقوله:

---

(1) صحيح البخاري في كتاب المغازي باب بعث علي بن أبي طالب الحديث (4351) ومسلم (1064).

(2) صحيح مسلم (537).

(3) صحيح البخاري كتاب المواقيت باب فضل صلاة العصر الحديث (555) ومسلم (632).

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة 2].

ومن ذلك ما تواتر من أحاديث الإسراء والمعراج عن أكثر من خمسة وأربعين صحابيا[1]، وما تواتر من أحاديث رفع اليدين في الدعاء ففيه أكثر من مائة حديث في وقائع مختلفة[2].

وورد التصريح بهذه الصفة عن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان من جميع أئمة المسلمين.

قوله **(ومع ذا)** العلو والاستواء فوق العرش فهو سبحانه وتعالى **(مطلع)** قد علم الأمور بدقة وأحاط علمه بكل الجزئيات **(إليهم)** جميعا في كل حين.

(بعلمه) المحيط بكل شيء قبل وقوعه وبعده سواء، فاستواؤه على عرشه لا ينافي إحاطة علمه بكل مخلوقاته بل يؤكده على حد قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه 5-7]، فجمع في هذه الآية بين صفة الاستواء على العرش مع العلم بكل شيء ومثله قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد 4].

قوله **(مهيمن)** أي رقيب مسيطر عليهم قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء 1]، و قال تعالى : ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ ، **(عليهم)** كلهم **(وذكره)** سبحانه وتعالى **(للقرب)** في نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة 186]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود 61]، وقوله: ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ

---

(1) انظر الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة للسيوطي ص: 74 برقم (96) ونظم المتناثر للكتاني ص: 219-220، وإتحاف ذوي الفضائل المشتهرة لعبد العزيز الغماري ص: 175-176 برقم: 240.

(2) انظر معارج القبول ص: 83.

فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ 50]، وفي حديث أبي موسى الأشعري t أنه r قال: «يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنه معكم إنه سميع قريب»[1].

(و) كذلك ذكره **(المعية)** العامة كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد 4]، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة 7].

والمعية الخاصة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل 128]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة 153]، وقوله: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة 40].

كل ذلك **(لم ينف للعلو والفوقيه)** الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع ، بل كل ذلك حق متفق غير مختلف **(فـ)** بيان ذلك **(أنه)** سبحانه وتعالى هو **(العلي)** أي المتصف بصفة العلو ذاتا وقهرا وشأنا **(في)** أي مع **(دنوه)** أي قربه ومعيته بعلمه من جميع خلقه كما دل عليه سياق آيات المعية وهو إجماع من الصحابة والتابعين قال أبو عمر بن عبد البر: "وعلماء الصحابة والتابعين الذين حملتُ عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة 7]، هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم أحد في ذلك يحتج به"[2].

وأما المعية الخاصة لأوليائه فهو معهم بالإعانة والرعاية والكفاية والنصر والتأييد والهداية والتوفيق.

قوله **(وهو القريب)** بعلمه المحيط بكل شيء **(جل)** أي عظم **(في علوه)** أي مع

---

(1) البخاري كتاب الجهاد باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير (2992) ومسلم (2704)

(2) التمهيد لابن عبد البر3 /346 واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص: 103.

علوه العلو الحقيقي واستوائه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته وكبريائه.

فعن عبد الله بن نافع قال قال الإمام مالك: "الله عز وجل في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه مكان[1]".

وقال أبو طالب أحمد بن حميد: سألت أحمد بن حنبل عن رجل قال الله معنا وتلا: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة 7]، قال: قد تجهم، يأخذون بآخر الآية ويدعون أولها قرأت عليه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ [الحديد 7]، فعلمه معهم وفي سورة ق: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق 16]، فعلمه معهم[2].

وقال الإمام محمد بن إدريس الشافعي: "القول في السنة التي أنا عليها ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء"[3].

وقال الإمام إسحاق بن راهويه: "قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه 5]، إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة"[4].

عن سعيد بن عامر الضبعي البصري أنه ذكر الجهمية فقال: "هم شر قولا من اليهود والنصارى قد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله عز وجل على العرش وقالوا: هم ليس على شيء"[5].

---

(1) التمهيد لابن عبد البر3 /346 .

(2) مختصر العلو للذهبي ص: 190 واجتماع الجيوش الإسلامية ص: 166 وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة 216/1.

(3) مختصر العلو للذهبي ص: 176.

(4) مختصر العلو للذهبي ص: 194 واجتماع الجيوش الإسلامية ص: 191.

(5) مختصر العلو للذهبي ص: 168.

وعن إمام أهل الحديث علي بن المديني أنه قيل له: ما قول الجماعة في الاعتقاد؟ قال يثبتون الكلام والرؤية ويقولون: إن الله على العرش استوى، فقيل له: ما تقول في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة 7]، فقال اقرؤوا أول الآية يعني بالعلم لأن أول الآية: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [المجادلة 7]»[1].

وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المالكي: "وقد كان السلف الأول y لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة، وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته قال مالك رحمه الله[2]: «الاستواء معلوم - يعني في اللغة - والكيف مجهول والسؤال عن هذا بدعة» وكذا قالت أم سلمة g [3] وهذا القدر كاف"[4].

الحي والقيوم وبيان عجزنا عن إدراك كيفية صفات الله :

قال المصنف رحمه الله:

حـــي وقيـــوم فـــلا ينـــام	وجـــل أن يشـــبهه الأنـــام
لا تبلـــغ الأوهـــام كنـــه ذاتـــه	ولا يكيـــف الحجـــا صـــفاته

قوله (**حي**) الحياة الكاملة التامة التي لم تسبق بعدم ولا يعقبها فناء فهو الأول والآخر فلا يموت سبحانه ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان 58]،

(1) اجتماع الجيوش الإسلامية ص: 199.

(2) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة 214/1 ومختصر العلو للذهبي ص: 141 وقال الذهبي: "هذا ثابت عن مالك وهو قول أهل السنة قاطبة"، واجتماع الجيوش الإسلامية ص: 13 والتمهيد لابن عبد البر 346/3.

(3) أثر أم سلمة عند اللالكائي 214/1.

(4) تفسير القرطبي 140/7 - 141.

ولذلك فهو المستحق للعبادة: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر 65]، وعن ابن عباس t أن النبي r كان يقول: «أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت والجن والإنس يموتون»(1).

قوله **(وقيوم)** الذي قام بنفسه وقام بخلقه بخلقهم ورزقهم وحفظهم وتدبيرهم وإحاطة علمه بهم قال ابن عباس: "الذي لا يحول ولا يزول" وقال قتادة: "القائم بتدبير ما خلق" وقال الحسن: "القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها بعملها" وقال الربيع: قيم كل شيء يكلؤه ويرزقه ويحفظه» وقال الضحاك: "القائم الدائم"(2).

وقد جمع الله بين هذين الاسمين "الحي القيوم" في ثلاثة مواضع من القرآن: الأول في آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة 255]، والثاني في فاتحة آل عمران: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران 2]، والثالث في طه: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه 111].

قال عبد الرحمن السعدي: "هذان الاسمان الكريمان يدلان على سائر الأسماء الحسنى دلالة مطابقة وتضمنا ولزوما، فالحي من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات كالسمع والبصر والعلم والقدرة ونحو ذلك، والقيوم هو الذي قام بنفسه وقام بغيره، وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي اتصف بها رب العالمين من فعله ما يشاء من الاستواء والنزول والكلام والقول والخلق والرزق والإماتة والإحياء وسائر أنواع التدبير، كل ذلك داخل في قيومية الباري ولهذا قال بعض المحققين

---

(1) البخاري (7383) ومسلم (2717).

(2) تفسير الطبري 7/2 والقرطبي 177/2 وفتح القدير 271/1 وتفسير البغوي ص: 158 ولسان العرب 504/12.

إنهما الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب وإذا سئل به أعطى"[1].

قوله (**فلا ينام**) هذا من كمال حياته وقيوميته مثل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة 255]، أي لا تغلبه سنة وهو النعاس ولا نوم، ونفيه من باب أولى لأنه أقوى من السنة بل هو قائم على كل خلقه يدبر أمرهم وهو الرقيب عليهم لا تخفى عليه خافية.

وعن أبي موسى الأشعري t قال: قام فينا رسول الله r بخمس كلمات فقال: «إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور -وفي رواية النار- لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[2].

قوله: (**وجل**) أي تعاظم وتقدس وتنزه (**أن يشبهه الأنام**) في أسمائه أو صفاته أو أفعاله لأن الصفات تابعة لموصوفها، فكما أنه لا يشبه المخلوقات فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقات، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى 11].

قوله (**لا تبلغ**) أي لا تحيط علما (**الأوهام**) أي خطرات القلوب[3] وحدس العقول بـ(**كنه ذاته**) أي حقيقتها ونهايتها وغايتها وقدرها[4] وصفتها، لأنه إذا وقع في أذهاننا تكييف بشيء فالله مخالف له لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى 11]، وقال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام 103]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه 110].

وقد تقدم أنه لم يثبت في كتاب ولا سنة ولا عن أحد من السلف الصالح وصفه

---

(1) تفسير السعدي ص: 128.

(2) أحمد (19530) ومسلم (445) واللفظ له.

(3) القاموس ص: 1053.

(4) الصحاح 1640/2 والقاموس ص: 1128.

تعالى " بالذات" كما أنه غير صحيح في لغة العرب.

قوله **(ولا يكيف)** أي يعرف كيفيته **(الحجا)** بكسر المهملة وهو العقل والفطنة[1]، **(صفاته)** جل جلاله لأن هذه العقول الضعيفة الفانية التي عندنا عاجزة عن إدراك كيفية الكثير من صفاتنا نحن كالعلم والمحبة والخوف... إلخ فما لونها؟ وكم وزنها؟ وما حجمها؟ وما طعمها؟!! فهي عن إدراك كيفية صفات الله أعجز!!!.

صفات : البقاء و الإرادة و الحكم والمشيئة والحكمة :

قال المصنف رحمه الله:

باق فلا يفنى ولا يبيد	ولا يكون غير ما يريد
منفرد بالخلق والإراده	وحاكم جل بما أراده
فمن يشأ وفقه بفضله	ومن يشأ أضله بعدله
فمنهم الشقي والسعيد	وذا مقرب وذا طريد
لحكمة بالغة قضاها	يستوجب الحمد على اقتضاها

(باق) أي الآخر الذي ليس بعده شيء قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن 26-27]، وقد عرفتَ سابقا أن الباقي ليست من أسماء الله، ومما يؤكد بقاءه قول المصنف **(فلا يفنى)** أي لا يموت ولا يعدم **(ولا يبيد)** أي لا يهلك[2] ولا يضمحل قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص 88].

قوله: **(ولا يكون)** أي لا يحدث ولا يوجد شيء في العالم **(غير)** إلا **(ما)** موصولة بمعنى الذي **(يريد)** الله إرادة كونية قدرية وهي مشيئة الله الشاملة وقدرته النافذة فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان 30]، وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود 107]، وقال: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ

---

(1) الصحاح 1681/2 والقاموس ص: 1145.

(2) الصحاح 387/1.

كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس 82]، وقوله تعالى:﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد 11]، فكل المخلوقات مذعنة خاضعة لإرادة الله: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر 38]، وقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل 40].

قوله **(منفرد)** أي مختص **(بالخلق)** فهو الذي ذرأ هذه المخلوقات وخلقها على غير مثال سابق ورزقها ويدبر أمرها ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر 62].

(والإرادة) أي منفرد بالإرادة والمشيئة فلا يكون إلا ما أراد الله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان 30]، وقال :﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير 29]، فللعباد قدرة على القيام بأعمالهم ولهم مشيئة وإرادة والله خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم ولا قدرة لهم ولا مشيئة إلا بإقدار الله عز وجل لهم إذا شاء وأراد قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات 96]، **(وحاكم جل)** أي قاض القضاء النافذ الذي لا مرد له **(بما أراده)** أي بالذي يشاء سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد 41]، وقال: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام 57]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة 1].

قوله: **(فمن)** شرطية وهي من صيغ العموم فيدخل فيها كل مكلف **(يشأ)** الله تعالى **(وفقه)** أي هداه الله هداية توفيق **(بفضله)** أي تفضلا وتكرما منه **(ومن يشأ)** أي يرد **(أضله بعدله)** لأن هذا الضال هو الذي اختار طريق الضلالة. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد 27]، وقال: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر 8]، وقال: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ

فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف 17]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام 125]، قوله **(فمنهم)** أي من عباده **(الشقي)** وهو الذي اختار طريق الضلال فأضله الله عدلا منه: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل 8-10]، وقال: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة 125]، **(و)** منهم **(السعيد)** وهو من اختار طريق الخير فهداه الله ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد 17]، وقال: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم 76]، **(وذا مقرب)** إلى الله وهو السعيد المهتدي **(وذا طريد)** أي ملعون مبعد من رحمة الله وهو الشقي المبتعد عن طاعة الله تعالى، وله في ذلك الحكمة البالغة والحجة الدامغة لهذا قال: **(لحكمة)** أي عدل كامل يضع الأشياء في أنسب موضع لها **(بالغة)** كاملة تامة **(قضاها)** أي قدرها سبحانه وشاءها **(يستوجب)** يستحق **(الحمد)** وهو غاية المدح والثناء والشكر **(على اقتضاها)** الضمير للحكمة، فله تعالى الحمد على مقتضى حكمته في جميع خلقه وأمره.

تنبيه:

إن قيل إذا كان لا يقع شيء إلا بمشيئة الله وإرادته فكيف وقع الكفر والفسوق الذي لا يحبه الله بل يكرهه؟

فالجواب أن كلا من الإرادة والمشيئة والأمر والقضاء ينقسم إلى قسمين قدري كوني لا يخرج عنه شيء، والثاني شرعي.

فمثال الإرادة الكونية: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ [الرعد 11]، ومثال الأمر الكوني: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء 16]، ومثال القضاء الكوني: ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران 47]، وأما المشيئة فلم ترد في القرآن إلا للكونية، مثل: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان 30]، فهذا القسم من

الإرادة والقضاء والأمر هو مشيئة الله الشاملة وقدرته النافذة وليس لأحد خروج منها ولا محيد عنها، ولا ملازمة بينها وبين المحبة والرضا، بل يدخل فيها الكفر والعصيان والإيمان والطاعات.

ومثال الإرادة الشرعية: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة 185]، ومثال القضاء الشرعي: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء 23]، ومثال الأمر الشرعي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ [النحل 90]، وكل من الإرادة والقضاء والأمر الشرعي فإنه خاص بالطاعات التي ترضي الله تعالى ففعله سبب لمرضاة الرب ومخالفته سبب لسخطه.

البصر والسمع:

قال المصنف رحمه الله موضحا صفتي البصر والسمع:

وهو الذي يرى دبيب الذر   في الظلمات فوق صم الصخر

وسامع للجهر والإخفات   بسمعه الواسع للأصوات

قوله (**و**) الله تعالى (**هو**) سبحانه (**الذي يرى**) بلا كيفة نعرفها ولا مشابهة لمخلوقاته أثر (**دبيب**) أي سيره الخفي (**الذر**) وهو أصغر النمل ومائة منها زنة حبة شعير كما في القاموس[1] (**في الظلمات**) الحالكة التي تستحيل فيها رؤية الإنسان (**فوق**) أي على (**صم الصخر**) وهو الصلب المصمت الأملس[2]، (**و**) هو سبحانه وتعالى (**سامع لـ**) كل شيء من (**الجهر**) وهو الإعلان (**و**) من (**الإخفات**) وهو الإسرار كل ذلك سواء عنده تعالى حيث يحيط (**ب**)ـه (**سمعه**) العظيم الذي يليق بجلاله وعظمته (**الواسع للأصوات**) كلها لا يشغله الاستماع إلى بعضها عن البعض الآخر.

---

(1) القاموس ص: 357 والصحاح 543/1.

(2) القاموس ص: 1019 والصحاح 1453/2.

وفي هذين البيتين إثبات صفة البصر لله تعالى المحيط بكل شيء وإثبات صفة السمع المحيط بالعالم كله، وهاتان الصفتان متضمنتان اسميه: السميع، البصير، كل ذلك نثبته لله تعالى مع قطع الأطماع عن إدراك كيفية سمعه أو بصره.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى 11]، وقال: ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف 26]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء 58]، وقال: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة 1]، وعن عائشة g قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي r وأنا في ناحية البيت تشكو زوجها وما أسمع ما تقول فأنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة 1]» [1].

صفة العلم:

قال المصنف رحمه الله مبينا صفة العلم:

وعلمه بما بدا وما خفي   أحاط علما بالجلي والخفي

قوله (**و**) من صفاته جل وعلا (**علمه**) سبحانه الذي وسع كل شيء والذي يستوي فيه الجلي والخفي وما كان وما سيكون وما هو كائن، وعلمه أزلي كسائر الصفات قد علم الله في الأزل جميع مخلوقاته وأرزاقهم وأعمالهم وآجالهم وعدد سكناتهم وحركاتهم وكل صغير وكبير، لذلك قال: (**بما**) أي الذي (**بدا**) أي ظهر واتضح (**وما**) موصولة بمعنى الذي فتعم كل شيء (**خفي**) أي أسره صاحبه واستتر به (**أحاط علما**) سبحانه وتعالى (**بالجلي**) الظاهر الواضح (**و**) كما أحاط علما بـ(**الخفي**) فكل ذلك في علمه سواء، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران 5]، وقال: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ

---

(1) علقه البخاري في التوحيد باب ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ بنحوه ووصله النسائي (3460) وابن ماجه (188) واللفظ له وصححه الألباني في الإرواء 175/7.

الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام 59]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر 19]، وقال: ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه 7]، وقال: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ 3]، وقال: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد 8-10]، وقال: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق 12].

صفة الغنى:

قال المصنف رحمه الله مبينا صفة الغنى:

وهو الغني بذاته سبحانه ... جل ثناؤه تعالى شانه

وكل شيء رزقه عليه ... وكلنا مفتقر إليه

(وهو) سبحانه وتعالى **(الغني)** الغنى المطلق الذي لا ينقصه شيء لا يسبقه ولا يعقبه فقر، ولا يزيد فيه شيء **(بذاته)** فلا تزيد مخلوقاته كلها ذلك الغنى كما لا تنقصه لأنه غني غنى ذاتيا أزليا لا بداية له ولا نهاية، وقد تقدم أنه لم يثبت في كتاب ولا سنة ولا عن أحد من السلف الصالح وصفه تعالى " بالذات" كما أنه غير صحيح في لغة العرب، **(سبحانه)** أي تنزه وتقدس **(جل)** أي عظم وعز **(ثناؤه)** أي مدحه وشكره لإكماله الصفات العلى التي هي غاية الكمال وما اشتملت عليه من الجلال والكبرياء والعظمة **(تعالى)** أي تنزه وتقدس **(شانه)** عن مشابهة أي شيء من مخلوقاته كما تقدس عن تعطيل صفاته أو تأويلها سبحانه وتعالى.

(و) لكمال غناه المطلق **(كل شيء)** من جميع المخلوقات البحرية والبرية والجوية الصغيرة والكبيرة **(رزقه عليه)** تعالى وهو الذي يدبر أمره كل لحظة وكل

حين قال تعالى:﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود 6]، وقال: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ [سبأ 24]، وقال: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت 60]، **(و)** كذلك من كمال غناه أن **(كلنا)** أي جميع المخلوقات علويها وسفليها **(مفتقر إليه)** في الخلق والرزق والحفظ والتدبير لا غنى لنا عنه طرفة عين قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر 15]، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات 56-58]، وقال: ﴿وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد 38]، فهذا هو الغنى المطلق الذي لا تزيده طاعة المطيعين ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت 6]، كما لا ينقص في غناه كفر الكافرين ومعصية العاصين ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران 97]، وقال: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم 8]، وفي الحديث القدسي: «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[1].

وعن أبي هريرة t أن رسول الله r قال: «يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء

(1) صحيح مسلم كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم (2577).

الليل والنهار»، وقال: «أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض؟ فإنه لم يغض ما في يده»، وقال: «عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع»[1].

صفة الكلام:

قال المصنف رحمه الله مبينا صفة الكلام:

كلم موسى عبده تكليما	ولم يزل بخلقه عليما
كلامه جل عن الإحصاء	والحصر والنفاد والفناء
لو صار أقلاما جميع الشجر	والبحر تلقى فيه سبعة أبحر
والخلق تكتبه بكل آن	فنت وليس القول منه فان

قوله (**كلم**) الله تعالى (**موسى**) عليه السلام (**عبده**) ورسوله (**تكليما**) يليق بجلاله سبحانه وتعالى وهذا مصدر مؤكد، (**ولم يزل**) سبحانه (**بخلقه عليما**) فعلمه محيط بكل شيء قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّـهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء **124**]، وقال: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة **253**]، وقال تعالى: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف **144**]، وفي حديث الشفاعة: «ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله»[2] .

ومعنى هذا البيت أنه مما أثبت ربنا عز وجل لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ تكليمه لعبده ورسوله موسى بن عمران عليه السلام على الصفة اللائقة به سبحانه التي لا نستطيع إدراك كيفيتها، فهي أجل مما نتصوره وأعظم.

فهذا إثبات صفة الكلام لله عز وجل وأنه يتكلم إذا شاء بما شاء وكيف شاء بكلام يسمعه من شاء، وقد تواترت بذلك نصوص الكتاب والسنة. مثل قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ

---

(1) البخاري (7411) واللفظ له ومسلم (993).

(2) البخاري (7510) ومسلم (193).

يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة **75**]، وقال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة **6**]، ومن ذلك كلامه للرسل: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة **109**]، ومن ذلك كلامه للملائكة: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سبأ **40-41**]، ومن ذلك كلامه لأبوينا آدم وحوى: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف **22**]، ومن ذلك كلامه لأهل الجنة: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ [يس 58] وعن أبي سعيد الخدري t قال: قال النبي r : «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك، فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا»(1).

وكلامه لأهل النار: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون **108**]،

وكلامه لكل واحد منا فعن عدي بن حاتم t قال: قال رسول الله r : «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة» (2)،

وعن ابن عمر t أنه r قال: «يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول عملت كذا وكذا فيقول: نعم، فيقرره ثم يقول: إني سترت عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم» (3).

---

(1) البخاري في كتاب التوحيد باب كلام الرب مع أهل الجنة (7518) ومسلم (2829).

(2) البخاري في التوحيد باب كلام الرب يوم القيامة (7512) ومسلم (1016).

(3) البخاري في التوحيد باب كلام الرب يوم القيامة (7514) ومسلم (2768).

وكلامه للكرام الكاتبين فعن أبي هريرة t أن رسول الله r قال: «يقول الله: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإذا عملها فاكتبوها بمثلها وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فإذا عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف »[1].

والنصوص في هذا الباب كثيرة معلومة.

وصفة الكلام صفة أزلية لا بداية لها ولا نهاية لها ولا يعلم مداها غيره تعالى، ولا يستطيع مخلوق أن يحصيها أو يعدها فهي أعظم وأكثر من كل ما يتخيله أي مخلوق لذلك قال: (**كلامه**) سبحانه وتعالى (**جل**) عظم (**عن الإحصاء**) أي العد (**والحصر**) أي التحديد (**والنفاد**) وهو فناء الشيء وذهابه[2]، (**والفناء**) الإعدام حتى لا يبقى منه شيء، فكلامه تعالى لا يحيط به عد أو إحصاء و ما يدركه نفاد أو فناء بل (**لو صار**) أي تحول (**أقلاما**) صالحة للكتابة (**جميع الشجر**) في الدنيا كلها من بداية الخلق إلى قيام الساعة، (**و**) تحول (**البحر**) إلى مداد (**تلقى فيه سبعة أبحر**) أخرى مثله كلها مداد أيضا (**و**) جعل (**الخلق**) كله من ملائكته وإنسه وجنه وحيواناته وغيرهم (**تكتبه**) أي تكتب كلام الله (**بكل آن**) أي في كل وقت وحين، (**فنت**) أي نفدت جميع هذه الأشياء كلها وهلكت (**وليس القول منه**) أي ليس كلامته تعالى (**فان**) أبدا وهذه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان 27]، وقوله تعالى:﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف 109]، وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنعام 115].

(1) البخاري في كتاب التوحيد، باب: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ (7501).

(2) الصحاح للجوهري 457/1 والقاموس المحيط ص: 291.

القرآن الكريم كلام الله:

قال المصنف رحمه الله موضحا الكلام على القرآن الكريم:

والقول في كتابه المفصل	بأنه كلامه المنزل
على الرسول المصطفى خير الورى	ليس بمخلوق ولا بمفترى
يحفظ بالقلب وباللسان	يتلى كما يسمع بالآذان
كذا بالابصار إليه ينظر	وبالأيادي خطه يسطر
وكل ذي مخلوقة حقيقة	دون كلام بارئ الخليقة
جلت صفات ربنا الرحمن	عن وصفها بالخلق والحدثان
فالصوت والألحان صوت القاري	لكنها المتلو قول الباري
ما قاله لا يقبل التبديلا	كلا ولا أصدق منه قيلا

قوله (**القول**) أي هذا هو القول الذي نعتقده وندين الله به (**في**) شأن (**كتابه المفصل**) وهو القرآن الكريم: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود 1]، وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام 114]، (**بأنه**) أي القرآن الكريم (**كلامه**) جل وعلا قال سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة 6]، وقال: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف 27]، وقال: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [الفتح 15].

قوله (**المنزل**) من عند الله تعالى (**على الرسول**) محمد ﷺ (**المصطفى**) المختار على غيره فهو سيد ولد آدم وصاحب المقام المحمود (**خير الورى**) أي أفضل الخلق كلهم بإجماع المسلمين (**ليس بمخلوق**) كما يقول المعتزلة والجهمية وأصحاب الحلول والاتحاد من الصوفية والفلاسفة لأنه صفة من صفات الله تابعة له في أنه لا

حد لأوليتها ولا آخريتها. **(ولا بمفترى)** أي مكذوب على الله كما قال كفار قريش: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان **4**]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة **44-45**]، بل هو كلام الله المنزل على خير خلق الله. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء **192-195**]، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ [طه **113**]، وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر **9**]، وقال: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام **92**]، وقال: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة **97**]، وقال: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء **166**]، وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل 6].

قوله **(يحفظ)** أي القرآن **(بالقلب)** كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت 49]، وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء 193-195].

قوله **(وباللسان يتلى)** أي يقرأ باللسان ويرتل قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة **16-18**] وقال :﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ [الإسراء **106**] وقال ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل **4**].

قوله **(كما)** أنه أيضا **(يسمع بالآذان)** قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة 6]، وقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف 204].

قوله **(كذا)** أيضا **(بالابصار إليه)** أي القرآن الكريم **(ينظر)** فنراه في

المصحف وغيره بأعيننا وقد كان r إذا نزل عليه الوحي دعا أحد الصحابة فكتبه له فكانت تلك الصحف عند حفصة حتى جمع عثمان عليه الصحابة قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآَنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة 77-79]، وقال: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة 2-3].

قوله **(و)** القرآن أيضا **(بالأيادي)** أي أيدي الناس **(خطه يسطر)** أي يكتب على شكل أسطر، فعن ابن عمر t أن رسول الله r نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو[1].

ورسم القرآن الموجود عندنا اليوم هو رسم الصحابة الذي كتبوه بإجماع منهم وعممه عثمان على الأمصار كلها قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾ [المدثر 11-14].

قوله **(وكل ذي)** المذكورات من القلب الذي حفظ القرآن واللسان الذي تلاه والبصر الذي نظر إليه واليد التي كتبته ونحوها **(مخلوقة)** لا شك في ذلك ولا ريب لأنها جزء من الإنسان وهو مخلوق **(حقيقةً)** لا مجازا ولا ريب فيه **(دون)** القرآن الذي هو **(كلام)** الله تعالى **(بارئ)** أي خالق وفاطر **(الخليقة)** أي المخلوقات.

قال الإمام أحمد: "يتوجه العبد لله تعالى بالقرآن بخمسة أوجه وهو فيها غير مخلوق: حفظ بقلب وتلاوة بلسان وسمع بأذن ونظرة ببصر والسمع مخلوق والمسموع غير مخلوق والنظر مخلوق والمنظور إليه غير مخلوق، والكتابة مخلوقة، والمكتوب غير مخلوق"[2].

قوله **(جلت)** أي عظمت وتنزهت وتقدست **(صفات ربنا الرحمن)** والتي منها هذا القرآن الذي هو كلام الله **(عن وصفها)** أي الصفات كلها **(بالخلق)** أي وصفها بأنها مخلوقة وعليه فلها نهاية **(و)** وصفها بـ**(الحدثان)** بكسر الحاء وسكون

(1) البخاري (2990) ومسلم (1869).

(2) انظر مختصر الصواعق المرسلة ص 667.

الدال وهو أول الأمر وإبتداؤه[1] تعالى الله عن ذلك فإن صفاته أزلية أبدية لابداية لها ولا نهاية. (**فالصوت**) يعني صوت قارئ القرآن (**والألحان**) المقصود بها تجويد القرآن وترتيله (**صوت القاري**) برا كان أو فاجرا وهو مخلوق (**لكنما**) للاستدراك (**المتلو**) المقروء المؤدى بذلك الصوت هو (**قول الباري**) أي الخالق جل وعلا فعن أبي هريرة t أنه r قال: «ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي أن يتغنى بالقرآن»[2].

قوله (**ما**) موصولة بمعنى الذي (**قاله**) الله تعالى (**لا يقبل**) بحال من الأحوال (**التبديلا**) قال تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [ق 29]، وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام 115]، (**كلا**) أي لا يكون ذلك أبدا (**ولا**) يتصور وجود (**أصدق منه**) تعالى (**قيلا**) أي قولا، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء 122]، وقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء 87]، والجواب بلا شك: لا أحد.

واعلم أن مسألة خلق القرآن من بدع أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة وأهل الحلول والاتحاد من المتصوفة، وقد خالفوا في ذلك إجماع السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين.

فعن ابن عباس t قال: لما حكم علي الحكمين قالت له الخوارج حكمت رجلين؟ قال: ما حكمت مخلوقا إنما حكمت القرآن[3]؟ قال اللالكائي: ومعه أصحاب رسول الله r ومع معاوية أكثر منه فهو إجماع بإظهار وانتشار وانقراض عصر من غير اختلاف ولا إنكار" وعن ابن عباس وابن عمر وابن مسعود مثله[4].

وعن عمرو بن دينار قال: أدركت تسعة من أصحاب رسول الله r يقولون: "من قال القرآن مخلوق فهو كافر"[5]. وعن أبي نعيم قال: أدركت ثلاثمائة شيخ كلهم

(1) لسان العرب 131/2 والقاموس ص 153.

(2) البخاري (5024) واللفظ له ومسلم (792).

(3) اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة 135/1 (370).

(4) المرجع السابق 135/1 باب سياق ما روي من إجماع الصحابة على أن القرآن غير مخلوق.

(5) المرجع السابق 137/1.

يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق وإنما قال هذا قوم من أهل البدع[1].

68 عن أبي محمد يحيى بن خلف المقرئ، قال: كنت عند مالك بن أنس سنة فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق، قال: كافر زنديق اقتلوه، قال: إنما أحكي كلاما سمعته، قال: لم أسمعه من أحد إنما سمعته منك[2].

وعن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: من قال القرآن مخلوق فهو كافر[3]، وعن الحسن بن أيوب قال: سألت أحمد بن حنبل ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله غير مخلوق، قال: قلت فما تقول فيمن قال مخلوق؟ قال: كافر[4].

عن محمد بن يوسف بن مطر قال: سألت محمد بن إسماعيل البخاري فقال: القرآن كلام الله غير مخلوق، فمن قال مخلوق فهو كافر[5].

وحكى إسماعيل بن أويس إجماع أهل المدينة، قال: كان مالك وعلماء أهل بلدنا يقولون: القرآن من الله وليس من الله شيء مخلوق[6].

وعن أحمد بن عمرو بن عيسى قال: ما رأيت مجلسا يجتمع فيه من المشايخ أنبل من مشايخ اجتمعوا في مسجد جامع الكوفة في وقت الامتحان فقرئ عليهم الكتاب الذي فيه المحنة فقال أبو نعيم: أدركت ثمانمائة شيخ ونيفا وسبعين شيخا منهم الأعمش فمن دونه فما رأيت خلقا يقول بهذه المقالة يعني خلق القرآن الكريم ولا تكلم أحد بهذه المقالة إلا رمي بالزندقة، فقام أحمد بن يونس فقبل رأس أبي نعيم وقال: جزاك الله عن الإسلام خيرا[7].

---

(1) المرجع السابق 143/1.
(2) المرجع السابق 145/1.
(3) المرجع السابق 147/1.
(4) المرجع السابق 153/1.
(5) المرجع السابق 155/1.
(6) المرجع السابق 157/1.
(7) المرجع السابق 159/1.

صفة النـزول:

قال المصنف رحمه الله موضحا صفة النزول:

وقـد روى الثقـات عـن خـير المـلا   بأنـــه عـــز وجـــل وعـــلا
في ثلـــث الليـــل الأخـــير يـــنزل   يقـــول هـــل مـــن تائـــب فيقبـــل
هــل مــن مســيء طالــب للمغفــره   يجـــد كريمـــا قـــابلا للمعـــذره
يمـــن بـــالخيرات والفضـــائل   ويســتر العيــب ويعطــي الســائل

قوله **(وقد)** حرف تحقيق لأن هذا الأمر لا شك فيه ولا ريب **(روى الثقات)** من الصحابة رضوان الله عليهم فمن بعدهم من أهل العلم، وأحاديث النزول متواترة حيث ورد في هذه الصفة حوالي ثلاثين حديثا، قال سيدي عبد الله في المراقي(1):

واقطـــع بصـــدق خـــبر التـــواتر   وســـو بـــين مســـلم وكـــافر

قوله **(عن خير الملا)** الملا هو الخلق وخيره هو محمد ﷺ وكلامه وحي من عند الله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم 3-4].

قوله **(بأنه)** أي الله **(عز)** أي غلب وقهر **(وجل)** أي عظم وتنزه عن كل النقائص **(وعلا)** علو فوقية وعلو قهر وشأن **(في ثلث الليل)** أي كل ليلة **(الأخير)** الذي ينتهي بطلوع الفجر **(ينزل)** سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا نزولا يليق بجلاله وعظمته نزولا مخالفا لكل نزول المخلوقين، نزولا لا تستطيع عقولنا إدراك كيفيته **(يقول)** سبحانه وتعالى **(هل من تائب)** منيب إلى الله تعالى نادم على ذنبه عازم على أن لا يعود له ابتغاء مرضاة الله **(فيقبل)** أي يقبل الله توبته فيتوب عليه **(هل من مسيء)** أسرف على نفسه في المعاصي والسيئات ثم ندم على ذلك فجاء **(طالبا)** من الله تعالى وحده **(للمغفره)** ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران 135]، **(يجد كريما)** هو أكرم الأكرمين سبحانه وتعالى **(قابلا للمعذره)** ممن اعتذر إليه ففي الحديث: «لا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك بعث الله

(1) مراقي السعود ص: 99

المرسلين، مبشرِين ومنذرِين»[1].

(يمن بالخيرات) أي ينعم بها تفضلا منه وتكرما وكذلك يمن بـ**(الفضائل)** جمع فضيلة وهي الدرجة الرفيعة في الفضل وهو الكمال في الخير والبر[2] **(ويستر)** سبحانه وتعالى **(العيب)** على المؤمن المخلص التائب إلى الله تعالى، **(ويعطي)** جل ذكره **(السائل)** أي المؤمن الذي يسأله في ذلك الوقت العظيم أي وقت النزول الإلهي كل ما سأل.

فعن أبي هريرة t أن رسول الله r قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟»[3].

عن جبير بن مطعم t عن النبي r قال: «ينزل الله إلى سماء الدنيا كل ليلة فيقول جل جلاله: هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له»[4].

عن ابن مسعود t عن النبي r قال: «إن الله إذا كان ثلث الليل الآخر نزل إلى سماء الدنيا ثم بسط يده فقال: من يسألني فأعطيه حتى يطلع الفجر»[5].

عن رفاعة الجهني t قال: إذا مضى نصف الليل أو ثلث الليل نزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا فقال: لا أسأل عن عبادي غيري من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه حتى ينفجر الفجر»[6].

---

(1) البخاري (7416) ومسلم (1499).

(2) القاموس ص: 999 والمجمل ص: 569.

(3) البخاري (1145) ومسلم (758).

(4) أحمد (16745) ورجاله ثقات رجال الشيخين سوى حماد بن سلمة فمن رجال مسلم ورواه الدارمي (1480) و ابن أبي عاصم في السنة (507) والنسائي في الكبرى (10321) وأبو يعلى (7408)وصححه ابن القيم والألباني على شرط مسلم وانظر تحقيق المسند ط: الرسالة.

(5) أحمد (3673) إسناده صحيح رجاله رجال الشيخين غير أبي الأحوص عوف بن مالك بن نضلة فمن رجال مسلم ورواه الآجري في الشريعة ص: 312 وحسنه ابن القيم وانظر تحقيق المسند ط: الرسالة.

(6) أحمد (16215) ورجاله رجال الشيخين غير الصحابي فهو من رجال النسائي وابن ماجه ورواه الدارمي 414/1 والدارقطني في النزول ص: 145 والآجري في الشريعة ص: 311 وابن خزيمة في التوحيد ص: 113 وصححه ابن القيم وانظر تحقيق المسند ط: الرسالة.

وممن روى حديث النزول أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وأبو هريرة وجبير بن مطعم وجابر بن عبد الله وعبد الله بن مسعود وأبو سعيد الخدري وعمرو بن عبسة ورفاعة بن عرابة الجهني وعثمان بن أبي العاص الثقفي وعبد الحميد بن سلمة عن أبيه عن جده وأبو الدرداء ومعاذ بن جبل وأبو ثعلبة الخشني وعائشة أم المؤمنين وأبو موسى الأشعري وأم سلمة وأنس بن مالك وحذيفة بن اليمان ولقيط بن عامر العقيلي وعبد الله بن عباس وعبادة بن الصامت وأسماء بنت يزيد وأبو الخطاب وعوف بن مالك وأبو أمامة الباهلي وثوبان وأبو حارثة وخولة بنت حكيم y [1].

قال الذهبي: وقد ألفت أحاديث النزول في جزء وذلك متواتر أقطع به[2].

قال ابن خزيمة: "نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بلقبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا وأعلمنا أنه ينزل، والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم"[3].

وقال ابن معين والفضيل بن عياض: "إذا قال لك الجهمي: أنا كفرت برب ينزل فقل أنا أومن برب يفعل ما يريد"[4].

وقال أبو عبد الله الحاكم سمعت زكريا العنبري يقول: سمعت إبراهيم بن أبي طالب يقول سمعت أحمد بن سعيد الرباطي يقول: حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم وحضر إسحاق -يعني ابن راهويه- فسئل عن حديث النزول أصحيح هو؟ قال: نعم، فقال له بعض قواد الأمير عبد الله: يا أبا يعقوب، أتزعم أن

(1) انظر مختصر الصواعق المرسلة ص: 588 وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي 233/1-243 والتوحيد لابن خزيمة ص: 106-116

(2) مختصر العلو ص: 116.

(3) التوحيد لابن خزيمة ص: 106.

(4) اعتقاد أهل السنة للالكائي 243/1 وخلق أفعال العباد للبخاري ص: 17 ومختصر الصواعق المرسلة ص: 609.

الله ينزل كل ليلة؟ قال: نعم، قال: كيف ينزل، قال له إسحاق: أثبته فوق حتى أصف لك النزول، فقال له الرجل: أثبته فوق؟ فقال له إسحاق قال الله جل شأنه: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر 22]، فقال الأمير عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة، قال إسحاق: أعز الله الأمير: ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟![1].

صفة المجيء:

قال المصنف رحمه الله مبينا صفة المجيء:

وأنه يجيء يوم الفصل   كما يشاء للقضاء العدل

قوله (**وأنه**) سبحانه وتعالى (**يجيء**) كما يليق به سبحانه فمع إقرارنا بذلك وإيماننا الجازم بذلك المجيء نعترف بجهلنا لكيفيته لأنه لم يبينها الله ولا رسوله (**يوم الفصل**) أي يوم القيامة لأنه يفصل فيه بين الناس (**كـ**) أي مثل (**ما**) موصولة بمعنى الذي (**يشاء**) أي مثلما يريد سبحانه وتعالى (**لـ**) أجل (**القضاء العدل**) أي الحكم بين عباده بالقسط، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة 210]، وقال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر 22]، وقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام 158].

عن أبي هريرة t أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله r : «هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ » قالوا: لا يا رسول الله قال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب» قالوا: لا يا رسول الله قال: «فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها ـ أو منافقوها شك

---

(1) مختصر الصواعق المرسلة ص: 608 ومختصر العلو ص 192.

إبراهيم[1] ـ فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها... الحديث»[2].

وعن أبي سعيد الخدري t قال: قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا؟ قلنا: لا قال: فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما ثم قال: ينادي مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغبرات من أهل الكتاب ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب، فيقال لليهود ما كنتم تعبدون قالوا: كنا نعبد عزيرا ابن الله، فيقال: كذبتم لم يكن له صاحبة ولا ولد فماذا تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقينا فيقال: اشربوا، فيتساقطون في جهنم ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فماذا تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقينا فيقال اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر فيقال ما يجلسكم وقد ذهب الناس فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليهم اليوم وإنا سمعنا مناديا ينادي: ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون، وإنا ننتظر ربنا قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا . ... » الحديث[3].

---

(1) إبراهيم هو ابن سعد أحد الرواة.

(2) البخاري (7437) واللفظ له ومسلم (182).

(3) البخاري: (7439) واللفظ له ومسلم (183).

رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة:

قال المصنف رحمه الله مبينا صفة الرؤية:

وأنـــه يـــرى بـــلا إنكـــار ... في جنـــة الفـــردوس بالأبصـــار

كـــل يـــراه رؤيـــة العيـــان ... كمـــا أتـــى في محكـــم القـــرآن

وفي حـــديث ســـيد الأنـــام ... مـــن غـــير مـــا شـــك ولا إيهـــام

رؤيـــة حـــق لـــيس يمترونهـــا ... كالشمس صحوا لا سحاب دونهـا

وخـــص بالرؤيـــة أوليـــاؤه ... فضـــيلة وحجبـــوا أعـــداؤه

(و) مما يجب الإيمان به **(أنه)** سبحانه وتعالى **(يرى)** من طرف المؤمنين تكرمة لهم **(بلا إنكار)** من أحد من الصحابة ولا من التابعين ولا ممن تبعهم بإحسان، فهو إذن إجماع من السلف الصالح ومن تبعهم وهم أهل السنة والجماعة **(في جنة)** النعيم المقيم عموما وفي **(الفردوس)** خصوصا والفردوس أوسط الجنة وأعلاها وأفضلها وأصلها في اللغة البستان والأودية تنبت ضروبا من النبت، كما تأتي لمعنى السعة[1]. وتطلق الفردوس على الجنة كلها ومنه قول حسان:

وإن ثـــواب الله كـــل موحـــد ... جنان مـن الفـردوس فيهـا يخلـد[2]

قوله **(بالأبصار)** فهي رؤية حقيقية لا مجازية **(كل)** مؤمن **(يراه)** سبحانه وتعالى **(رؤية العيان)** كما ترى الشمس في رابعة النهار أو البدر ليلة التمام **(كما أتى)** دليل ذلك صريحا **(في محكم القرآن)** كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة 22-23]، وقوله: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق 35]، وقال: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين 22-23].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي

---

(1) انظر الصحاح 759/1 والقاموس ص: 506.

(2) انظر اللسان 164/6.

ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ [يس 55-58]،

وقال:﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس 26]. وقد فسر هذه الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله أبو بكر الصديق وحذيفة وابن عباس وأبو موسى وابن مسعود **y** وسعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الرحمن بن سابط ومجاهد وعكرمة وعامر بن سعد وعطاء والضحاك والحسن وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق وغيرهم من السلف والخلف.

وقد وردت فيه أحاديث كثيرة عن النبي **r** [1]. لذلك قال **(و)** ثبتت هذه الرؤية **(في حديث سيد)** أي أفضل **(الأنام)** الخلق **(من غير)** أي من دون **(ما)** زائدة **(شك)** أي ريب أو ظن **(ولا إيهام)** أي ولا وهم وهو الظن، والوهم في الاصطلاح مقابل الراجح والظن مقابل المرجوح والشك لمعتدل الطرفين قال سيدي عبد الله في مراقي السعود:

والوهم والظن وشك محتمل لراجح أو ضده أو ما اعتدل[2]

واعلم أن أحاديث الرؤية متواترة عن حوالي ثلاثين صحابيا[3]: أبي بكر الصديق وأبي هريرة وأبي سعيد وجرير بن عبد الله وصهيب وابن مسعود وعلي بن أبي طالب وعدي بن حاتم وأبي رزين العقيلي وأنس وبريدة بن الحصيب وجابر بن عبد الله وأبي أمامة وزيد بن ثابت وعمار بن ياسر وعائشة وعبد الله بن عمر وعمارة بن رؤيبة وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبادة بن الصامت وأبي بن كعب وكعب بن عجرة وأبي الدرداء

(1) تفسير ابن كثير 1372/2 وعمدة التفسير 196/2 وتفسير الطبري 549/6-553 واعتقاد أهل السنة للالكائي 243/1-248.

(2) المراقي ص:20 ونثر الورود73/1.

(3) انظر شرح الطحاوية ص: 194 ومعارج القبول ص: 165 والتوحيد لابن خزيمة ص: 155.

وفضالة بن عبيد وعدي بن أرطأة وأبي موسى الأشعري y وغيرهم.

عن جرير t قال: كنا جلوسا عند النبي r إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا» [1].

وعن عدي بن حاتم t قال: قال رسول الله r : «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه»[2].

وعن أبي موسى الأشعري t عن النبي r قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[3].

وعن صهيب t عن النبي r قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ثم تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس 26][4].

وعن أبي رزين العقيلي t قال: قلت يا رسول الله: أكلنا نرى الله مخليا به؟ قال: «نعم»، قال: وما آية ذلك في خلق الله؟ قال: «أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر وإنما هو خلق من خلق الله فالله أجل وأعظم» [5].

قوله: **(رؤية حق)** بالأبصار فليست رؤية منامية ولا مجازات أدبية بل هي الحق اليقيني الذي لا شك فيه ولا ريب **(ليس يمترونها)** لا يتمارى فيها اثنان ولا يتردد

(1) البخاري (7434) واللفظ له ومسلم (633).

(2) البخاري (7443) واللفظ له ومسلم (1016).

(3) البخاري (7444) واللفظ له ومسلم (180).

(4) مسلم (181).

(5)أحمد (16186) ورجاله ثقات سوى وكيع بن حدس وهو مجهول الحال ورواه أبو داود (4731) وابن ماجه (180) وابن خزيمة في التوحيد (253) والطيالسي (1094) وصححه ابن حبان (6141) والحاكم 560/4 وانظر تحقيق المسند ط: الرسالة.

فيها إنسان لوضوحها، مثالها في ذلك الوضوح **(كالشمس)** في حالة ما إذا كان الجو **(صحوا)** ليس فيه غيم ولا ضباب، لذلك قال: **(لا سحاب)** يعني المزن **(دونها)** بينها وبين الناظر وهذا التشبيه للرؤية بالرؤية لا تشبيه للمرئي بالمرئي،

فعن أبي سعيد الخدري أن ناسا في زمن رسول الله r قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله r نعم، قال: هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا: لا يا رسول الله قال: ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما... الحديث» [1].

قوله: **(وخص)** أي أنه سبحانه وتعالى خص **(بـ)** هذه **(الرؤية)** في الجنة **(أولياؤه)** وهم المؤمنون الأتقياء **(فضيلة)** أي تكريما لهم ورفعا لمنزلتهم **(وحجبوا أعداؤه)** وحرموا من هذه الرؤية التي هي غاية النعيم قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين 15-17]، قال الحسن إذا كان يوم القيامة برز ربنا تبارك وتعالى فيراه الخلق ويحجب الكفار فلا يرونه وهو قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين 15][2].

وعن أشهب بن عبد العزيز قال: قال رجل لمالك يا أبا عبد الله هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ قال: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب فقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين 15]، فقال له: يا أبا عبد الله فإن قوما يزعمون أن الله لا يرى، قال مالك: السيف السيف[3].

---

(1) البخاري (7439) ومسلم (183) واللفظ له.

(2) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي 250/1.

(3) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي 252/1.

منهج أهل السنة والجماعة في باب الصفات :

قال المصنف رحمه الله مبينا منهج أهل السنة في الصفات :

وكــل مــا لــه مــن الصــفات	أثبتــها في محكــم الآيــات
أو صــح فيمــا قالــه الرســول	فحقــه التســليم والقبــول
نمرهــا صــريحة كمــا أتــت	مــع اعتقادنــا لمــا لــه اقتضــت
مــن غــير تحريــف ولا تعطيــل	وغــير تكييــف ولا تمثيــل
بــل قولنــا قــول أئمــة الهــدى	طــوبى لمــن بهــديهم قــد اهتــدى
وســم ذا النــوع مــن التوحيــد	توحيــد إثبــات بــلا ترديــد
قــد أفصــح الــوحي المــبين عنــه	فــالتمس الهــدى المــنير منــه
لا تتبــع أقــوال كــل مــارد	غــاو مضــل مــارق معانــد
فلــيس بعــد رد ذا التبيــان	مثقــال ذرة مــن الإيمــان

قوله: **(وكل)** من صيغ العموم فتشمل جميع الصفات **(ما)** موصولة بمعنى الذي **(له)** سبحانه وتعالى **(من الصفات)** التي وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ، لذلك قال **(أثبتها)** جل وعلا **(في محكم)** وهو السالم من المعارض فلم ينسخ ولم يخصص أو يقيد[1]، **(الآيات)** القرآنية ولا تكون آيات الصفات إلا محكمة كغيرها من نصوص العقائد، **(أو صح)** أي ثبت **(فيما)** "ما" موصولة بمعنى الذي **(قاله الرسول)** ﷺ **(فحقه)** على كل مسلم **(التسليم)** والانقياد **(والقبول)** والإذعان والإيمان الجازم اليقيني بحيث **(نمرها)** أي نقرؤها ونتلوها **(صريحة)** واضحة المعنى وإن جهلنا كيفيتها فنمرها **(كما أتت)** أي مثلما جاءت **(مع اعتقادنا)** الجازم الذي لا شك فيه **(لما له اقتضت)** من أسمائه الحسنى وصفاته العلى **(من غير تحريف)** لألفاظها أو معانيها كتأويل "استوى" باستولى، "وجاء ربك" بمجيء أمره ونحو ذلك **(ولا تعطيل)** بنفي معاني النصوص الشرعية الدالة على صفات كماله ونعوت

(1) معجم التعريفات ص: 172.

جلاله فيقولون لا فوق العالم ولا تحته ولا داخله ولا خارجه وهلم جرا، **(وغير تكييف)** أي ادعاء معرفة كيفية صفاته جل وعلا كقول أهل الإلحاد استوى كما يستوي فلان أو ينزل على صفة كذا...

إن الإنسان لا يدرك كيفية الكثير من صفاته كالعلم والخوف والرجاء والحب والكراهية فما طول كل منها وما لونه وكم وزنه أو كيله ؟!! وإذا عجزت أيها الإنسان عن إدراك كيفية صفاتك هذه فكيف تحاول إدراك كيفية صفات الله ذي الجلال والعظمة.

قوله **(ولا تمثيل)** أي تشبيه لصفات الله بصفات المخلوقين كأن يقول: يد كأيدينا فيحتاجون إلى تأويلها بالقدرة فيجمعون بين سيئتي التشبيه والتأويل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن المعطلين لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات فقد جمعوا بين التعطيل والتمثيل، مثلوا أولا وعطلوا آخرا، وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم وتعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة بالله سبحانه وتعالى"[(1)].

(بل قولنا) الذي نعتقده جازمين هو **(قول أئمة الهدى)** من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة كمالك وأحمد والشافعي والأوزاعي وإسحاق والثوري وابن عيينة والليث والبخاري ومسلم وغيرهم من أئمة المسلمين في كل العصور قديما وحديثا. **(طوبى)** أي الأطيب والحسنى والخير[(2)] **(لمن)** للذي **(بهديهم)** أي نهجهم وطريقهم ومسلكهم **(قد اهتدى)** أي اتبع هداهم إذ هم خير هذه الأمة وأعلمها وأفضلها عند الله وبهم حفظ الله الدين ونشره بين العالمين فرحمهم الله أجمعين.

وإنما سلكنا هذا المنهج لأنه منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين

(1) مجموع الفتاوى27/5 وانظر مختصر الصواعق المرسلة 111/2.

(2) القاموس ص: 102 والصحاح 186/1.

وتابعي التابعين ومن بعدهم من الأئمة المهديين، قال تعالى: ﴿فَإِنْ آَمَنُوا بِمِثْلِ مَا آَمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ [البقرة 137]،

قال شمس الدين ابن القيم: " ولما كان أحب الأشياء إليه حمده ومدحه والثناء عليه بأسمائه وصفاته وأفعاله كان إنكارها وجحدها أعظم الإلحاد والكفر به وهو شر من الشرك، فالمعطل شر من المشرك فإنه لا يستوي جحد صفات الملك وحقيقة ملكه والطعن في صفاته هو، والتشريك بينه وبين غيره في الملك، فالمعطلون أعداء الرسل بالذات بل كل شرك في العالم فأصله التعطيل فإنه لولا تعطيل كماله أو بعضه وظن السوء به لما أشرك به، كما قال إمام الحنفاء وأهل التوحيد : ﴿ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (86) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (87) ﴾ الصافات[1]" .

قوله **(وسم ذا النوع)** الأول **(من)** نوعي **(التوحيد)** الذي تم بيانه وشرحه **(توحيد إثبات)** أي معرفة لاشتماله على إثبات ما أثبت الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات والأفعال التي تليق بجلاله وعظمته، ونفي ما يناقض ذلك، ويسمى هذا النوع أيضا توحيد الطلب والقصد[2]، **(بلا ترديد)** أي دون شك، فـ**(قد أفصح)** أي صرح به ووضحه وبينه[3] **(الوحي)** المنزل من عند الله كتابا وسنة ثابتة **(المبين)** الواضح الظاهر الدلالة **(عنه)** أي عن هذا النوع من التوحيد حيث بينه الله أتم بيان ووضحه غاية الإيضاح **(فالتمس)** اطلب **(الهدى المنير منه)** أي من كتاب الله وسنة النبي ﷺ ، وفي المقابل **(لا تتبع)** أيها المسلم الطالب للحق **(أقوال كل مارد)** أي عات[4] متمرد على أمر الله ورسوله مخالف لهدي السلف الصالح **(غاو)** أي ضال[5] عن الصراط المستقيم **(مضل)** لغيره بأقواله وأفعاله التي هي شبه عقلية مصادمة لكل دين أو عقل سليم أو فطرة **(مارق)** أي

(1) مدارج السالكين 277/4 - 278.

(2) شرح الطحاوية ص: 89.

(3) انظر الصحاح 347/1 والقاموس ص: 213

(4) انظر الصحاح 453/1.

(5) القاموس ص: 1187

خارج[1] عن منهج أهل السنة كالخوارج والجهمية والمعتزلة والمرجئة **(معاند)** مضاد لنصوص الوحي من كتاب أو سنة أو إجماع. **(فليس)** يبقى **(بعد رد)** ودفع **(ذا التبيان)** الوارد في الكتاب والسنة الصحيحة وإجماع السلف **(مثقال)** أي مقدار ووزن[2] **(ذرة)** هي أصغر النمل[3] لذلك يضرب بها المثل في الصغر ، **(من الإيمان)** في قلب ذلك الضال: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس 32].

قال القاضي عياض:" فأما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية أو جحدها مستبصرا في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة، فقد نص أئمتنا على الإجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها"[4].

وقال الإمام الشافعي :"لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه أمته لا يسع أحدا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها لأن القرآن نزل بها وصحت عن رسول الله ﷺ فيما روى عنه العدول فإن خالف بعد ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر فأما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل لأن علم ذلك لا يقدر بالعقل ولا بالروية والقلب، ولانكفر بالجهل بها أحدا إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها.

ونثبت هذه الصفات ، وننفي عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه فقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11)﴾ [الشورى]" [5].

وقال أبو العباس السراج: "من لم يقر ويؤمن بأن الله تعالى يعجب ويضحك وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول من يسألني فأعطيه، فهو زنديق كافر، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين".

---

(1) الصحاح 1176/1

(2) القاموس ص: 875

(3) الصحاح 543/1 والقاموس ص: 357.

(4) الشفا 1080/2.

(5) إثبات العلو لابن قدامة ص 124 ومختصر العلو ص 177 .

قال الذهبي معلقا على ذلك : " إنما يكفر بعد علمه بأن الرسول r قال ذلك، ثم إنه جحد ذلك ولم يؤمن به"[1].

وقال نعيم بن حماد المروزي الحافظ : "من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف به نفسه ورسوله تشبيه"[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " الصواب أن الجهل ببعض أسماء الله وصفاته لا يكون صاحبه كافرا إن كان مقرا بما جاء به الرسول r ولم يبلغه ما يوجب العلم بما جهله على وجه يقتضي كفره إذا لم يعلمه كحديث الذي أمر أهله بتحريقه وتذريته"[3].

قال ابن عبد البر في شرح حديث الذي أمر أهله بتحريقه : " وأما قوله (لئن قدر اللَّه علي) فقد اختلف العلماء في معناه فقال منهم قائلون هذا رجل جهل بعض صفات الله عز وجل وهي القدرة فلم يعلم أن اللَّه على كل ما يشاء قدير قالوا ومن جهل صفة من صفات اللّه عز وجل وآمن بسائر صفاته وعرفها لم يكن بجهله بعض صفات اللّه كافرا قالوا وإنما الكافر من عائد الحق لا من جهله وهذا قول المقتدمين من العلماء ومن سلك سبيلهم من المتأخِرين وقال آخرون أراد بقوله لئن قدر اللَّه عليه من القدر الذي هو القضاء وليس من باب القدرة والاستطاعة في شيء قالوا وهو مثل قول اللَّه عزّ وجلّ في ذي النّون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه وللعلماء في تأويل هذه اللفظة قولان أحدهما أنها من التقدير والقضاء والآخر أنها من التقتير والتضييق"[4]..

وبين العراقي في شرح هذا الحديث : "أن غاية ما فيه أن هذا رجل جهل صفة

(1) مختصر العلو ص 232 وانظر سير أعلام النبلاء 396/14.

(2) أصول الاعتقاد للالكائي406/3.

(3) مجموع الفتاوي 538/7.

(4) التمهيد لابن عبد البر 42/18.

من صفات اللَّه تعالى، وقد اختلف العلماء في تكفير جاهل الصفة فمن كفره بذلك محمد بن جرير الطّبري وقاله الشيخ أبو الحسن الأشعرِيّ أولا وقال آخرون لا يكفر بجهل الصفة ولا يخرج به عن اسم الإيمان بخلاف جحدها وإليه رجع أبو الحسن الأشعري وعليه استقر قوله، قال لأنه لم يعتقد ذلك اعتقادا نقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا، وإنما يكفر من اعتقد أن مقالته حق؛ قال هؤلاء ولو سئل الناس عن الصفات لوجِد العالم بها قليلا وحكاه ابن عبد البر عن المتقدمين من العلماء ومن سلك سبيلهم من المتأخرين واستدل عليه بأن عمر وعمران بن حصين وجماعة من «الصحابة سألوا رسول اللَّه - صلَّى اللَّه عليه وسلّم - عن القدر» ومعلوم أنهم إنما يسألوه عن ذلك وهم جاهلون به وغير جائز عند أحد من المسلمين أن يكونوا بسؤالهم عن ذلك كافرين"[1].

(1) طرح التثريب للعراقي268/3.

فصل
في بيان النوع الثاني من التوحيد وهو توحيد الطلب والقصد وأنه هو معنى لا إله إلا الله

النص:

1/79 هَــذَا وَثــانِي نَــوْعَيِ التَّوْحِيــدِ ... إفْــرادُ رَبِّ العَــرْشِ عَــنْ نَدِيــدِ

2/80 أنْ تَعْبُــدَ اللهَ إلَهًــا واحِــدَا ... مُعْتَرِفًــا بِحَقِّــهِ لاَ جاحِــدَا

3/81 وَهْــوَ الــذِي بِــهِ الإلَــهُ أَرْسَــلاَ ... رُسُــلَهُ تَــدْعُو[1] إلَيْــهِ أَوَّلاَ

4/82 وَأَنْــزَلَ الكِتــابَ والتِّبْيانَــا ... مِــنْ أَجْلِــهِ وَفَــرَقَ الفُرْقانَــا

5/83 وَكَلَّــفَ اللهُ الرَّسُــولَ الْمُجْتَبَــى ... قِتــالَ مَــنْ عَنْــهُ تَــوَلَّى وَأَبَــى

6/84 حَتَّــى يَكُــونَ الــدِّينُ خالِصًــا لَــهُ ... سِــرًّا وَجَهْــرًا دِقَّــهُ وَجِلَّــهُ

7/85 وَهكَــذَا أُمَّتُــهُ قَــدْ كُلِّفُــوا ... بِذَا وَفِــي نَــصِّ الكِتــابِ وُصِــفُوا

8/86 وَقَــدْ حَوَتْــهُ لَفْظَــةُ الشَّــهادَهْ ... فَهْــيَ سَــبِيلُ الفَــوْزِ والسَّــعادَهْ

9/87 مَــنْ قالَهَــا مُعْتَقِــدًا مَعْناهَــا ... وَكــانَ عالِمًــا بِمُقْتَضــاهَا

10/88 فِي القَوْلِ والفِعْلِ وَماتَ مُؤْمِنَا ... يُبْعَثُ يَــوْمَ الْحَشْــرِ نــاجِ[2] آمِنَــا

11/89 فَــإِنَّ مَعْناهَــا الــذِي عَلَيْــهِ ... دَلَّــتْ يَقِينًــا وَهَــدَتْ إلَيْــهِ[3]

12/90 أنْ لَــيْسَ بِــالْحَقِّ إلَــهٌ يُعْبَــدُ ... إلاَّ الإلَــهُ الواحِــدُ الْمُنْفَــرِدُ

13/91 بِــالْخَلْقِ والــرِّزْقِ وَبِالتَّــدْبِيرِ ... جَــلَّ عَــنِ الشَّــرِيكِ والــنَّظِيرِ

14/92 وَبِشُــرُوطٍ سَــبْعَةٍ قَــدْ قُيِّــدَتْ ... وَفِي نُصُوصِ الوَحْيِ حَقًّا وَرَدَتْ

15/93 فإنَّــهُ لَــمْ يَنْتَفِــعْ قائِلُهَــا ... بِــالنُّطْقِ إلاَّ حَيْــثُ يَسْــتَكْمِلُهَا

16/94 العِلْــمُ والــيَقِينُ والقَبُــولُ ... والانْقِيــادُ فــادْرِ مَــا أَقُــولُ

(1) في الأصل: (رسله يدعون إليه أولا) ولعل ما أثبتناه أصوب.

(2) بحذف الياء للوزن لأن الأصل " ناجيا".

(3) بإشباع حركة الهاء في "إليه" و"عليه".

17/95 والصِّـدْقُ والإخْـلاصُ والْمَحَبَّـهْ   وَفَّقَـــكَ اللهُ لِمَـــا أَحَبَّـــهْ

الشرح:

تعريف النوع الثاني :وهو توحيد العبادة (توحيد الطلب والقصد):

هــذا وثــاني نــوعي التوحيــد   إفــراد رب العــرش عــن نديــد

أن تعبــد الله إلهــا واحــدا   معترفــا بحقــه لا جاحــدا

قوله **(هذا)** الهاء للتنبيه وذا اسم إشارة ويشير هنا إلى ما تقدم من الكلام على النوع الأول من أنواع التوحيد. **(وثاني نوعي التوحيد)** ويسمى توحيد الطلب والقصد ويسمى توحيد الألوهية باعتبار إضافته إلى الله وتوحيد العبادة باعتبار إضافته إلى العابد[1].

ثم عرف المصنف هذا النوع من التوحيد بقوله: **(إفراد)** أي توحيد **(رب العرش)** سبحانه وتعالى وتنزيهه **(عن نديد)** أي مثيل أو نظير أو شريك، ثم بين هذا التعريف بقوله: **(أن تعبد الله)** أيها العبد **(إلها)** حال من لفظ الجلالة **(واحدا)** لا شريك له في أسمائه وصفاته ولا في أفعاله ولا في إلهيته **(معترفا)** أي مقرا وهو حال من فاعل "تعبد" **(بحقه)** سبحانه على جميع العباد وهو أن يعبدوه لا يشركوا به شيئا **(لا جاحدا)** أي منكرا[2] له بعد علمه بذلك. قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء 23]، وقال: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء 36].

وعن معاذ بن جبل t قال: كنت ردف النبي r على حمار يقال له عفير فقال: يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده؟ وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا، فقلت: يا رسول الله: أفلا أبشر

(1) شرح الواسطية لابن العثيمين ص: 17.

(2) انظر القاموس ص: 246.

الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا »[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "إن حقيقة التوحيد أن نعبد الله وحده فلا يدعى إلا هو، ولا يخشى إلا هو، ولا يتقى إلا هو، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يكون الدين إلا له لا لأحد من الخلق، وأن لا يتخذ الملائكة والنبيين أربابا فكيف بالأئمة والشيوخ والعلماء والملوك"[2].

مكانة توحيد العبادة (توحيد الطلب والقصد):

قال المصنف رحمه الله :

وهو الذي به الإله أرسلا ... رسله تدعو إليه أولا

وأنزل الكتاب والتبيانا ... من أجله وفرق الفرقانا

وكلف الله الرسول المجتبى ... قتال من عنه تولى وأبى

حتى يكون الدين خالصا له ... سرا وجهرا دقه وجله

وهكذا أمته قد كلفوا ... بذا وفي نص الكتاب وصفوا

قوله **(وهو)** أي توحيد الطلب والقصد (التوحيد الإرادي الطلبي) ـ ويسمى توحيد الألوهية ـ هو **(الذي به الإله)** سبحانه وتعالى **(أرسلا)** أي بعث والألف للإطلاق **(رسله)** كلهم **(تدعو إليه)** أي إلى توحيد العبادة **(أولا)** قبل أي شيء من أمور الدين الأخرى، فقد اتفقت كلمة جميع الرسل على البدء بالدعوة إلى توحيد الله تعالى في العبادة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل 36]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء 25]، وكذلك فعل أفضل الأنبياء والمرسلين محمد r حيث بقي في مكة أكثر من عشر سنين لا يدعو إلا إلى توحيد الله تعالى وبذلك كان يأمر من يرسل من الدعاة إلى الله تعالى، فعن ابن عباس t

---

(1) البخاري (2856) واللفظ له ومسلم (30).

(2) منهاج السنة 490/3.

قال: لما بعث النبي r معاذا t إلى نحو أهل اليمن قال له: إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس» [1].

قوله **(وأنزل)** الله عز وجل من أجل توحيده **(الكتاب)** أي كل كتاب أنزله تعالى على أحد من رسله عليهم السلام، وأفضل هذه الكتب هو القرآن الكريم الذي ركز كل التركيز على توحيد الله تعالى.

فالقرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وهو التوحيد العلمي الخبري وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم[2].

قوله **(و)** أنزل **(التبيانا)** تبيان الكتاب وإنما يكون بالسنة النبوية قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [النحل 64]، وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل 44]، كل ذلك **(من أجله)** أي من أجل توحيد الله تعالى في عبادته فلا يشرك معه أي شيء ولو نبيا مرسلا أو ملكا مقربا **(وفرق الفرقان)** أي أنزله مفرقا منجما والمقصود بالفرقان القرآن لأنه يفرق بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء 106].

---

(1) البخاري (7372) واللفظ له ومسلم (19).

(2) شرح العقيدة الطحاوية ص: 89.

قوله **(وكلف)** أي فرض وأوجب **(الله)** سبحانه وتعالى على **(الرسول)** r **(المجتبى)** أي المختار المصطفى **(قتال)** أي جهاد **(من)** موصولة بمعنى الذي **(عنه)** أي التوحيد **(تولى)** أعرض **(وأبى)** أي امتنع **(حتى)** لانتهاء الغاية **(يكون)** أي يصير **(الدين)** الإسلامي **(خالصا له)** عز وجل **(سرا)** أي خفية **(وجهرا)** أي علنا **(دقه)** أي قليله **(وجله)** أي معظمه وأكثره، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال 39]، وقال: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة 5]، وقال: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة 36].

قوله **(وهكذا)** كما كلف الله نبيه r بقتال من أبى التوحيد كلف أيضا بذلك **(أمته)** وهم كل أهل الإسلام **(قد)** حرف تحقيق **(كلفوا)** أي ألزموا **(بذا)** الجهاد والقتال الذي كلف به الرسول r **(وفي نص)** أي صريح **(الكتاب)** أي القرآن **(وصفوا)** كقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح 29]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة 111].

اشتمال كلمة الشهادة على (توحيد العبادة):

قال المصنف:

وقد حوته لفظة الشهاده ... فهي سبيل الفوز والسعاده

من قالها معتقدا معناها ... وكان عاملا بمقتضاها

في القول والفعل ومات مؤمنا ... يبعث يوم الحشر ناج آمنا

فإن معناها الذي عليه ... دلت يقينا وهدت إليه

أن ليس بالحق إله يعبد إلا الإله الواحد المنفرد
بالخلق والرزق وبالتدبير جل عن الشريك والنظير

قوله (**وقد حوته**) أي جمعته وأحرزته[1]، (**لفظة الشهادة**) أي لا إله إلا الله وهي كلمة التقوى وكلمة الإخلاص، وهي التي يدخل بها في الإسلام وهي التي تعصم النفس والمال والعرض ولأجلها خلق الله الخلق وأرسل الرسل وأنزل الكتب (**فهي**) أي هذه الكلمة (**سبيل**) طريق (**الفوز**) وهو حصول المطلوب وغايته بعد مرضاة الله الجنة والنجاة من المرهوب وغايته أن يزحزح عن النار قال تعالى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران 185]، (**و**) هي أيضا سبب (**السعادة**) في الدنيا والأخرى (**من قالها**) أي هذه الكلمة الطيبة حال كونه (**معتقدا**) أي متيقنا عالما (**معناها**) الذي دلت عليه نفيا وإثباتا (**وكان**) مع ذلك (**عاملا بمقتضاها**) على وفق ما علمه وساعيا في تعلم ما جهله (**في القول**) أي قول القلب واللسان (**والفعل**) فعل القلب واللسان والجوارح (**و**) استمر على ذلك حتى (**مات مؤمنا**) موحدا لله سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر 99]، (**يبعث**) أي ينشر (**يوم الحشر**) يوم القيامة (**ناج**) من عذاب الله كله (**آمنا**) من فزع ذلك اليوم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام 82].

ثم بين معنى كلمة التوحيد بقوله: (**فإن معناها**) أي معنى هذه الكلمة (**الذي عليه دلت يقينا**) أي برهنت بكل وضوح (**وهدت**) أي أرشدت (**إليه**) هو (**أن ليس بالحق**) متعلق بيعبد أي أن ليس يعبد بحق (**إله يعبد**) أي معبود وهو نكرة في سياق النفي فتعم (**إلا الإله**) المعبود بالحق وهو الله سبحانه (**الواحد**) الذي لا ثاني له (**المنفرد بالخلق**) فلا خالق سواه ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف 54]. (**و**) كما أنه أيضا منفرد بـ(**الرزق**) قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ

---

(1) القاموس ص: 1150.

اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات 56-58]، **(وبالتدبير)** أي تصريف أمور الكون قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس 31-32]، **(جل)** عظم وتعالى **(عن الشريك)** له في أي شيء **(والنظير)** أي الند والمثيل.

شروط شهادة أن لا إله إلا الله:

قال المصنف رحمه الله :

وبشروط سبعة قد قيدت	وفي نصوص الوحي حقا وردت
فإنه لم ينتفع قائلها	بالنطق إلا حيث يستكملها
العلم واليقين والقبول	والانقياد فادر ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبه	وفقك الله لما أحبه

قوله **(وبشروط)** متعلق بقيدت أي قيدت هذه الكلمة بشروط عددها **(سبعة)** على سبيل البسط **(قد قيدت)** أي قيد الانتفاع بها في الدنيا والآخرة، **(و)** هذه الشروط **(في نصوص الوحي)** كتابا وسنة **(حقا)** قطعا **(وردت)** أي جاءت وثبتت **(فإنه)** أي الأمر والشأن **(لم ينتفع)** في الدنيا ولا في الآخرة **(قائلها)** أي لا إله إلا الله **(بـ)** مجرد **(النطق)** الذي لا يصاحبه اعتقاد ولا عمل **(إلا حيث يستكملها)** أي يستوفي هذه الشروط كلها معرفة وامتثالا، وهذه الشروط هي:أولا**(العلم)** وهو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع أو هو إدراك الشيء على ما هو به[1]، فلا بد من العلم، بمعناها المراد منها نفيا وإثباتا، فلابد من العلم الحقيقي المنافي للجهل بذلك قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف 86]، وقال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد 19]، وعند مسلم عن عثمان t أنه r ، قال: «من مات

(1) معجم التعريفات للجرجاني ص: 130.

وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»[1]،

(و) أما الشرط الثاني فهو قوله **(اليقين)** وهو القطع والجزم والتحقيق[2] فلا بد من اليقين الجازم المنافي للشك بمدلول هذه الكلمة العظيمة. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات 15]، وعن أبي هريرة t أنه r قال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة»[3].

(و) أما الشرط الثالث فهو **(القبول)** لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه ومن أعرض عن هذه الكلمة وتكبر فله عذاب جهنم قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات 35].

وعن أبي موسى الأشعري t عن النبي r قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[4].

(و) الشرط الرابع **(الانقياد)** لكل ما دلت عليه هذه الكلمة المنافي للترك، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان 22]، وقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور

---

(1) مسلم (26).

(2) القاموس ص: 1118

(3) صحيح مسلم (27).

(4) البخاري (79) ومسلم (2282).

51]، فلا بد من الانقياد والخضوع والاستسلام لأمر الله سبحانه وتعالى **(فادر)** اعلم واعرف **(ما)** الذي **(أقول)** فهو الحق والصواب، وهذا تتميم.

(و) الشرط الخامس هو **(الصدق)** الذي يتفق فيه القلب مع اللسان والجوارح فذلك هو الصدق الحقيقي المنافي للكذب، قال تعالى: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات 37]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر 33].وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة 177]، وقال: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب 23]، وعن أنس بن مالك t أن رسول الله r ومعاذ رديفه على الرحل قال: يا معاذ بن جبل قال: لبيك يا رسول الله وسعديك قال: يا معاذ قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا قال: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار...»[1].

(و) الشرط السادس: **(الإخلاص)** وهو فعل العمل ابتغاء مرضاة الله سليما من جميع شوائب الشرك والرياء والسمعة، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة 5]، وقال: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر 11]، عن أبي هريرة t أنه r قال: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه»[2]، وعن عتبان بن مالك t عن النبي r قال: «إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل»[3].

(و) الشرط السابع والأخير **(المحبة)** لهذه الكلمة ولما دلت عليه ولأهلها المتمسكين بها والابتعاد عن كراهية كل ما دلت عليه، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد 9]، وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ

(1) البخاري (128) واللفظ له ومسلم (32).

(2) البخاري (99).

(3) البخاري (425) ومسلم (33)

أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة 165].

وعلامة حب العبد ربه تقديم محابه وإن خالفت هواه وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه واتباع رسوله r : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران 31]، قوله **(وفقك الله لما أحبه)** تتميم بمعنى هداك الله لفعل ما يحب من الطاعات وهي كلها من مقتضيات كلمة التوحيد.

فائدة:

وزاد بعض أهل العلم شرطا ثامنا وهو الكفر بالطاغوت وهو كل ما تجاوز به الإنسان الحد من معبود أو متبوع قال: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة 256]، عن ابن عمر t عن النبي r قال: «بني الإسلام على خمس على أن يعبد الله ويكفر بما دونه وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان»[1].

عن أبي مالك عن أبيه t قال: سمعت رسول الله r يقول: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله»[2].

(1) البخاري (8) ومسلم (16) واللفظ له.

(2) مسلم (23) واللفظ له.

الخلاصة:

1- النوع الثاني من التوحيد هو توحيد العبادة (توحيد الألوهية) وهو إفـراد الله بالعبادة وحده لا شريك له.

2- وهذا التوحيد هو دعوة الرسل ومن أجله أنزلت الكتب ووجـب قتـال مـن خالفه من الكفار.

3- تشتمل شهادة أن لاإله إلا الله على هذا التوحيد لأن معناها أن لا معبود بحق إلا الله.

4- شروط شهادة أن لا إلـه إلا الله سـبعة هـي : العلـم والإخـلاص والصـدق واليقين والمحبة والقبول والإنقياد .

الأسئلة:

1- عرف توحيد العبادة ؟و بين أهميته ؟

3- لماذا تشتمل عليه كلمة الاخلاص؟

4- ما هي شروط لا إله إلا الله؟

5- لماذا يسمى هذا النوع توحيد الطلب والقصد؟

فصل
في تعريف العبادة وذكر بعض أنواعها وأن من صرف منها شيئا لغير الله فقد أشرك

أهم مسائل هذا الفصل:

1- تعريف العبادة.
2- ذكر أمثلة كثيرة على مختلف أنواع العبادات.
3- أن صرف أي عبادة لغير الله فهو شرك.
4- أن الشرك هو أقبح وأعظم الذنوب.

النص:

وفيه ستة أبيات:

1/96 ثُمَّ العِبادَةُ هِيَ اسْمٌ جامِعُ ... لِكُلِّ مَا يُرْضِي الإلَهُ السَّامِعُ

2/97 وَفِي الْحَدِيثِ مُخُّهَا الدُّعاءُ ... خَوْفٌ تَوَكُّلٌ كَذَا الرَّجاءُ

3/98 وَرَغْبَةٌ وَرَهْبَةٌ خُشُوعُ ... وَخَشْيَةٌ إنابَةٌ خُضُوعُ

4/99 والاِسْتِعاذَةُ والاِسْتِعانَهْ ... كَذَا اسْتِغاثَةٌ بِهِ سُبْحانَهْ

5/100 والذَّبْحُ والنَّذْرُ وَغَيْرُ ذلِكْ ... فافْهَمْ هُدِيتَ أَوْضَحَ الْمَسالِكْ

6/101 وَصَرْفُ بَعْضِهَا لِغَيْرِ اللهِ ... شِرْكٌ وَذاكَ أَقْبَحُ الْمَناهِي

الشرح:

(ثم) بعد أن علمت أن معنى لا إله إلا الله هو توحيد العبادة، فما هي العبادة؟ **(العبادة)** التي ما خلق الله الخلق إلا من أجلها، ومن أجلها أخذ علينا الميثاق وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب **(هي اسم جامع)** أي شامل **(لكل ما)** موصولة بمعنى الذي **(يرضي)** ويحبه **(الإله السامع)** لكل شيء سبحانه وتعالى، فالعبادة هي

كل ما يحب الله ويرضى من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، فالظاهرة كالتلفظ بالشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والحج والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإغاثة الملهوف ونصرة المظلوم وتعليم الناس الخير والدعوة إلى الله وغير ذلك. والباطنة كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وخشية الله وخوفه ورجائه والتوكل عليه والاستعانة والرهبة والرغبة والحب والبغض والموالاة في الله ونحو ذلك ولا بد للعمل من نية.

وللعبادة ركنان أساسيان:

أولهما: الإخلاص وهو أن يكون قصد العبد وجه الله عز وجل والدار الآخرة ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة 5]، وقال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء 114]،

وثانيهما: الاتباع لشرع الله تعالى، فكل عمل خالفه فهو مردود على صاحبه قال r : «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»(1).

وقد اجتمع هذان الشرطان في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف 110].

قوله **(و)** ورد **(في الحديث)** المرفوع إلى النبي r **(مخها الدعاء)** أي خالصها يعني حديث الوليد بن مسلم عن ابن لهيعة عن عبيد الله بن أبي جعفر عن أبان بن صالح عن أنس بن مالك t عن النبي r قال: «الدعاء مخ العبادة»(2) وهو ضعيف لكنه صح بلفظ: «الدعاء هو العبادة» فعن النعمان بن بشير t عن النبي r قال: «الدعاء هو العبادة ثم قرأ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ

(1) مسلم (1718) وعلقه البخاري الكتاب 34 باب 60 والكتاب 96 باب 20.

(2) الترمذي في الدعوات باب ما جاء في فضل الدعاء برقم (3371) وقال:" حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة".والطبراني فى المعجم الأوسط (3196)وقال: "لم يروِ هذا الحديث عن أبان إلا عبيد الله، تفرد بِه ابن لهيعة" .والطبراني فى كتاب الدعاء (رقم 8) وهو ضعيف انظر السلسلة الضعيفة 29/1.

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر 60]»[1].

قال الخطابي : "ومعنى الدعاء استدعاء العبد ربه عز وجل العناية، واستمداده إياه المعونة، وحقيقته إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة ، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل، وإضافة الجود والكرم إليه[2]".

ومن أنواع العبادة (**خوف**) المؤمن من الله عز وجل قال جل ذكره: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران 175]، وهذا الخوف هو الذي يحث العبد على فعل الطاعات والكف عن المعاصي فيكون من أهل الجنة: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن 46]، وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات 40-41]،

ومن أنواعها أيضا: (**توكل**) وهو اعتماد القلب على الله وثقته به وأنه كافيه، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة 23]، وقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق 3].

(**كذا**) من أنواع العبادة القلبية (**الرجاء**) وهو لغة الأمل[3] ولا يحصل إلا بثلاثة أمور:

أ- شهود كرمه تعالى وإنعامه على العبد.

ب- صدق الرغبة فيما عند الله من الثواب والنعيم.

ج- التسلح بصالح الأعمال والمسابقة في الخيرات.

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو

---

(1) أحمد (18352) وإسناده صحيح رجاله رجال الشيخين سوى يسيع بن معدان الحضرمي وهو ثقة روى له البخاري في الأدب المفرد وأصحاب السنن، ورواه الترمذي (3372) وقال حسن صحيح وأبو داود (1479) والنسائي في الكبرى 450/6 وابن ماجه (3828) وابن حبان (890) والحاكم 490/1 وانظر تحقيق المسند ط: الرسالة.

(2) شأن الدعاء للخطابي ص 4. ط:دار المأمون ـ دمشق.1404 هـ

(3) انظر الصحاح 1712/2.

رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر 9]،

(و) منها أيضا **(رغبة ورهبة خشوع)** أي الرغبة فيما عند الله من الثواب وهي راجعة إلى الرجاء والرهبة مما عنده من العقاب وهي راجعة إلى الخوف، والخشوع والخضوع والتذلل قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء 90]. وعن البراء بن عازب t قال: كان رسول الله r إذا أوى إلى فراشه نام على شقه الأيمن ثم قال: «اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت» وقال رسول الله r : «من قالهن ثم مات من ليلته مات على الفطرة»[1].

(و) منها أيضا **(خشية)** وهي الخوف مع تعظيمه وإجلاله تعالى وذلك ما يحفز صاحبه على فعل الطاعة والبعد عن المعصية قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة 3]، وقال: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر 23].

ومن أنواع العبادة الـ **(إنابة)** وهي الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة النصوح قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر 17]، وقال: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى 10].

ومنها أيضا الـ **(خضوع)** أي الخشوع والتذلل إلى الله وقد تقدم الكلام عليه **(و)** منها أيضا **(الاستعاذة)** وهي اللجوء إلى الله والاحتماء به قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ [المؤمنون 96-97]، وقال: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف 200]، وعن عائشة g قالت فقدت رسول الله r ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن

(1) صحيح البخاري (6315) واللفظ له ومسلم (2710).

قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»(1).

(و) من أنواع العبادة **(الاستعانة)** وهي طلب العون من الله عز وجل وحده قال جل ثناؤه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة 5]، وقال: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء 112]. وعن ابن عباس t قال: كنت خلف رسول الله r يوما فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» (2).

و **(كذا)** من أنواع العبادة الـ **(استغاثة به سبحانه)** وهي طلب الغوث منه تعالى سواء كان في دفع شر أو جلب خير قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال 9]، وقال: ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الأحقاف 17]. وعن أنس t قال: كان النبي r إذا كربه أمر قال: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث»(3).

(و) كذلك من أنواع العبادة **(الذبح)** نسكا لله تعالى من هدي أو أضحية أو

---

(1) صحيح مسلم (486) واللفظ له.

(2) أحمد (2669) وفيه قيس بن الحجاج -وهو الكلاعي السُّلفي المصري- روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال أبو حاتم: صالح، وقال في "التقريب": صدوق، وحديثه عند الترمذي وابن ماجه، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين غير حنش الصنعاني -وهو ابن عبد الله- فمن رجال مسلم. و رواه الترمذي (2516) وقال هذا حديث حسن صحيح واللفظ له، وأبو يعلى (2556) والحاكم 541/3 وانظر تحقيق المسند ط: الرسالة.

(3) الترمذي (3524) وحسنه و ابن السني (337) والحاكم (1875) وصححه وأعله البيهقي في الأسماء والصفات (215) وصححه الألباني في الصحيحة (1536).

عقيقة وغير ذلك، قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر 2]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام 162-163]، وفي حديث علي t أنه r قال: «لعن الله من ذبح لغير الله»[1].

(و) منها **(النذر)** لله عز وجل وهو إلزام المسلم نفسه بطاعة لم تكن واجبة عليه قبل ذلك قال تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران 35]، وقال: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ [مريم 26]. ولا ينبغي أن يكون معلقا على حصول أمر آخر فعن ابن عمر t قال: نهى النبي r عن النذر وقال: «إنه لا يرد شيئا ولكنه يستخرج به من البخيل»[2].

(وغير ذلك) من العبادات الظاهرة والباطنة التي لا تعد ولا تحصى **(فافهم)** معنى العبادة وأمثلتها **(هديت أوضح)** أي أبين وأظهر **(المسالك)** أي السبل والطرق **قوله: (وصرف)** أي فعل **(بعضها)** قل أو كثر **(لغير الله)** ولو كان ملكا أو رسولا أو صالحا أو قبرا أو جنا أو غير ذلك **(شرك)** أكبر مخرج من الملة **(وذاك)** الشرك هو **(أقبح)** وأفظع وأخطر **(المناهي)** أي ما نهى عنه من المعاصي.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء 116]، وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان 13]، وعن ابن مسعود t قال: سألت رسول الله r : أي الذنب عند الله أكبر، قال: «أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت إن ذلك لعظيم قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت ثم أي قال أن تزاني بحليلة جارك »[3].

وعن أبي بكرة t قال: قال رسول الله r : «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر» قلنا: بلى يا رسول الله، قالها ثلاثا، ثم قال: «الإشراك بالله وعقوق الوالدين... »

---

(1) مسلم (5125).

(2) البخاري (6693) واللفظ له ومسلم (1639).

(3) البخاري (4477) ومسلم (86).

الحديث[1].

الخلاصة:

1- العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

2- من العبادة ما هو عقدي ومنها ما هو مالي ومنها ما هو بدني ومنها ما هو عملي ومنها ما يجمع أكثر من نوع.

3- من أمثلة العبادة: الدعاء والتوكل والخوف والرجاء والخشوع والخضوع والرغبة والرهبة والاستعاذة والاستعانة والذبح والنذر والصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك.

4- صرف أي عبادة لغير الله هو الشرك الأكبر المخرج من الملة.

الأسئلة:

1- ما هي العبادة؟

2- ما هي أنواعها؟ و اذكر أمثلة لها؟

3- ما حكم صرف العبادة لغير الله؟

---

(1) البخاري (2654) ومسلم (97).

فصل
في بيان ضد التوحيد وهو الشرك وأنه ينقسم إلى قسمين أصغر وأكبر وبيان كل منها

أهم المسائل:

1- خطورة الشرك بالله تعالى.
2- أنواع الشرك بالله تعالى.
3- بيان الشرك الأكبر.
4- تعريف الشرك الأصغر والتمثيل له.
5- أن صاحب الشرك الأكبر يخلد في النار.

النص:

وهو ثمانية أبيات:

1/102 والشِّرْكُ نَوْعانِ فَشِرْكٌ أَكْبَرُ ... بِهِ خُلُودُ النَّارِ إِذْ لاَ يُغْفَرُ
2/103 وَهْوَ اتِّخاذُ العَبْدِ غَيْرَ اللهِ ... نِدًّا بِهِ مُسَوِّيًا مُضاهِ
3/104 يَقْصِدُهُ عِنْدَ نُزُولِ الضُّرِّ ... لِجَلْبِ خَيْرٍ أَوْ لِدَفْعِ الشَّرِّ
4/105 أَوْ عِنْدَ أَيِّ غَرَضٍ لاَ يَقْدِرُ ... عَلَيْهِ إِلاَّ الْمالِكُ الْمُقْتَدِرُ
5/106 مَعْ جَعْلِهِ لِذلِكَ الْمَدْعُوِّ ... أَوِ الْمُعَظَّمِ أَوِ الْمَرْجُوِّ
6/107 فِي الغَيْبِ سُلْطانًا بِهِ يَطَّلِعُ ... عَلَى ضَمِيرِ مَنْ إِلَيْهِ يَفْزَعُ
7/108 والثَّانِ شِرْكٌ أَصْغَرٌ وَهْوَ الرِّيَا ... فَسَّرَهُ بِهِ خِتَامُ الأَنْبِيَا
8/109 وَمِنْهُ إِقْسامٌ بِغَيْرِ البارِي ... كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الأَخْبارِ

تقديم: (خطورة الشرك)

1- الظلم العظيم: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان 13].

2- الضلال البعيد: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء 116].

3- أعظم الفرية: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء 48].

4- الحرمان من الجنة: قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة 72].

5- الذنب الوحيد الذي لا يغفر: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء 48].

6- النجاسة الحقيقية: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة 28].

7- مبطل للأعمال: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر 65-66].

8- عدم عصمة الدم والمال والعرض: لحديث ابن عمر t أنه r قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»[1].

9- العذاب: قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ

---

(1) البخاري (25) ومسلم (22).

قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر 8]، وعن جابر أنه r قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار»[1].

أنواع الشرك:

ينقسم إلى قسمين هما: الشرك الأكبر والثاني: الشرك الأصغر.

أولا: الشرك الأكبر : وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ- شرك الربوبية وهو ضربان:

1- شرك التعطيل: كمنكري وجود الله من الفلاسفة والملاحدة، ومنه شرك أهل وحدة الوجود وأهل الحلول والاتحاد من المتصوفة.

2- شرك من جعل مع الله إلها آخر: كحال عباد الأوثان والقبور وسدنة الأضرحة ومشايخ المتصوفة الغلاة.

ب- شرك الأسماء والصفات وهو نوعان:

1- شرك المشبهة: وهم من شبه الخالق بالمخلوق في علم الغيوب والخلق والتدبير والنفع والضر أو في صفة من صفاته كاليد والوجه.

2- شرك المعطلة: وهم الذين أنكروا صفات الله أو تأولوها كلها أو بعضها كالجهمية والمعتزلة ونحوهم.

ج- شرك الألوهية وهو ضربان:

1- شرك التسوية: وهو أن يجعل لله ندا فيصرف له بعض العبادات كالدعاء أو الاستغاثة أو الاستعانة أو غير ذلك مهما كان ذلك الند صالحا أو طالحا.

2- شرك الحاكمية وينقسم إلى قسمين:

- شرك التشريع: وهو كل من شرع قانونا أو عبادة مخالفة للشرع لنفسه أوغيره، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى 21].

- شرك التحاكم: وهو كل من يتحاكم إلى غير شرع الله من دستور أو قانون أو

(1) مسلم (93).

عرف قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء 60].

3- شرك الموالاة: كموالاة الكفار بالنصرة والمحبة لهم أو لدينهم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة 51].

ثانيا: الشرك الأصغر: كالرياء والسمعة والحلف بغير الله ونحو ذلك.

أولا: الشرك الأكبر

قال المصنف مبينا الشرك الأكبر:

والشرك نوعان فشرك أكبر	به خلود النار إذ لا يغفر
وهو اتخاذ العبد غير الله	ندا به مسويا مضاهي
يقصده عند نزول الضر	لجلب خير أو لدفع الشر
أو عند أي غرض لا يقدر	عليه إلا المالك المقتدر
مع جعله لذلك المدعو	أو المعظم أو المرجو
في الغيب سلطانا به يطلع	على ضمير من إليه يفزع

قوله **(والشرك)** الذي هو إعطاء المخلوق بعض حقوق الخالق **(نوعان)** لا ثالث لهما النوع الأول والأخطر **(فشرك أكبر)** وهو المخرج من الملة كصرف العبادة لغير الله مثلا، **(به)** أي بسببه **(خلود)** فاعله الذي مات ولم يتب منه في **(النار)** أبدا قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة 72]. **(إذ)** تعليل للخلود في النار أي لكونه **(لا يغفر)** لمن لم يتب منه قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء 48].

ثم عرف المصنف هذا النوع من الشرك بقوله **(وهو اتخاذ)** أي جعل **(العبد)**

مهما كان **(غير الله)** ولو كان ملكا أو نبيا أو صالحا أو وثنا أو شمسا أو حيوانا أو جمادا... إلخ **(ندا)** مماثلا **(به)** سبحانه وتعالى **(مسويا)** لذلك الند به تعالى في صرف العبادة له أو حبه أو خشيته أو يشرع له أو يتحاكم إليه... **(مضاهي)** أي مشبها لذلك الند بالله تعالى عن ذلك علوا كبيرا، ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء 97]، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام 1]. **(يقصده)** أي ذلك الند من حي أو ميت **(عند نزول الضر)** لشر دهمه أو خير فاته **(لجلب خير)** دنيوي أو أخروي له **(أو لدفع الشر)** عنه **(أو عند)** ما يحتاج إلى **(أي غرض)** من جلب نفع أو دفع ضر **(لا يقدر عليه)** أي على تحصيل ذلك الغرض **(إلا)** الله **(المالك المقتدر)** كإنزال المطر وشفاء المريض وإغناء الفقير ومغفرة الذنوب ومعرفة الغيوب والإمداد بالبنين والبنات وإجابة ملائكة السؤال وإدخال الجنة... وهلم جرا.

فطلب مثل هذا النوع الذي ليس في طاقة المخلوق من الشرك بالله تعالى **(مع جعله)** أي العبد **(لذلك المدعو)** الذي دعاه من دون الله واستغاث به **(أو المعظم)** الذي أضفى عليه صفات الله من علم الغيوب وملك النفع والضر ونحو ذلك **(أو المرجو)** الذي يؤمل فيه إصلاح الدنيا والآخرة، لأنه يعتقد أن له **(في الغيب سلطانا)** وقوة وقدرة خارقة للعادة فوق طاقة المخلوق فهو بذلك يؤلهه شاء أم أبى لأنه يعتقد أنه **(به)** أي بسبب ذلك السلطان **(يطلع)** أي يحيط علما ويستحوذ **(على ضمير)** أي قلب وعقل **(من إليه)** أي إلى ذلك الند **(يفزع)** أي يلجأ لقضاء حوائجه التي لا يقدر عليها إلا الله فيرى أنه يسمعه حيث كان ويرى كل شيء ويقدر على كل ذلك.

والمعنى أنه يثبت له من صفات الربوبية ما يرفعه عن درجة العبودية إلى درجة الربوبية ويجعله مستحقا للعبادة مع الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأصل الشرك أن تعدل بالله مخلوقاته في بعض ما

يستحقه وحده، فإنه لم يعدل أحد بالله شيئا من المخلوقات في جميع الأمور فمن عبد غيره أو توكل عليه فهو مشرك به"[1].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي :"إن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده أن يصرف العبد نوعا أو فردا من أفراد العبادة لغير الله، فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص وصرفه لغيره شرك وكفر ، فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر فإنه لايشذ عنه شيء"[2].

ويقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - معرفا الشرك بتعريف جامع: "بأن يجعل لله عدلاً بغيره في اللفظ أو القصد أو الاعتقاد"[3].

ثانيا: الشرك الأصغر:

ثم قال مبينا للشرك الأصغر وهو النوع الثاني:

والثاني شرك أصغر وهو الريا فسره به ختام الأنبيا

ومنه إقسام بغير الباري كما أتى في محكم الأخبار

قوله: **(و)** النوع **(الثاني)** من نوعي الشرك بالله **(شرك أصغر)** لا يخرج من الملة لكنه يحبط ثواب العمل أو ينقصه ومثاله **(هو الرياء)** أي فعل العمل ليراه الناس فيمدحوه بذلك. فعن جندب t قال: سمعت رسول الله r يقول: «من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به»[4].

قوله **(فسره به)** أي الشرك الأصغر بالرياء **(ختام الأنبياء)** محمد r كما في حديث محمود بن الربيع t أنه r قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر: الرياء، يقول الله يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين

(1) الاستقامة 344/1.

(2) القول السديد ص 43. وانظر الحق الواضح المبين ص 59.

(3) اعلام الموقعين334/1.

(4) البخاري (6499) ومسلم (2987).

كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»[1]. و عن شداد بن أوس t قال: «كنا نعد على عهد رسول الله r أن الرياء الشرك الأصغر»[2].

و(**منه**) أي الشرك الأصغر (**إقسام**) أي حلف (**بغير الباري**) سبحانه وتعالى (**كما أتى**) أي جاء (**في محكم الأخبار**) أي الأحاديث غير المنسوخة بل السالمة من المعارض من ذلك: عن ابن عمر t أن رسول الله r أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت»[3]. وعن أبي هريرة t أنه r قال: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون»[4]. ونحو ذلك.

وأما التصريح بأنه شرك فإنما روي عن سعد بن عبيدة عن ابن عمر أنه سمع رجلا يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا تحلف بغير الله فإن رسول الله r قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[5]. وهو معلول.

---

(1) أحمد (23630) بسند حسن وأخرجه ابن أبي شيبة 481/2 وابن خزيمة (937) وقواه العراقي والمنذري وصححه الألباني في الصحيحة (951) على شرط مسلم.

(2) الحاكم (7937) وتهذيب الآثار للطبري (899) وشعب الإيمان (6574) وصححه الحاكم والذهبي والألباني في صحيح الترغيب (35).

(3) البخاري (6646) ومسلم (1646).

(4) أبو داود (3248) والنسائي (3769) وصححه الألباني.

(5) أحمد (4904) وأبو داود (3251) والترمذي (1535) وحسنه وابن حبان (1177) والحاكم 997/4 وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي، ورجاله رجال الشيخين إلا أنه معلول، فسعد بن عبيدة لم يسمع من ابن عمر، فعند أحمد (5593) و(5375) عن سعد بن عبيدة قال: كنت عند ابن عمر فقمت وتركت رجلا عنده من كندة، فأتيت سعيد بن المسيب قال: فجاء الكندي فزعا فقال: جاء ابن عمر رجل فقال: آحلف بالكعبة فقال: لا... وذكر الحديث، والكندي مجهول، وممن أعل هذا الحديث الدارقطني والبيهقي 29/10 والطحاوي وغيرهم. وروي عن سعد بن عبيدة عن ابن عمر عن عمرعند أحمد في مسنده(329) وهو معلول بنفس العلة السابقة بل هذا الاضطراب يزيده ضعفا وانظر تحقيق المسند ط: الرسالة.

الخلاصة:

1- الشرك هو صرف أي عبادة لغير الله تعالى كالاستغاثة أو الاستعانة بغير الله تعالى أو الذبح أو النذر لغيره تعالى، وصاحبه خالد في النار، وكل عمله باطل.

2- الشرك نوعان: شرك أكبر وشرك أصغر.

3- الشرك الأكبر: هو جعل الند لله حيث يصرف له العبادة ويسويه بالله، ويقصده لجلب النفع أو دفع الضر، أو يطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله كإنزال المطر وإعطائه الأبناء والبنات أويتحاكم إليه.

4- الشرك الأصغر هو الرياء والحلف بغير الله ونحو ذلك وهو محبط للعمل.

الأسئلة:

1- ما هو الشرك؟

2- وما الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر؟

3- بين خطورة الشرك؟

4- مثل للشرك الأكبر؟

5- ما هو الشرك الأصغر؟ وما ذا يترتب عليه؟

فصل
في بيان أمور يفعلها العامة منها ما هو شرك ومنها ما هو قريب منه وبيان أحكام الرقى والتمائم

أهم المسائل:

1- حكم الاعتماد في جلب النفع أو دفع الضر على الودع والخيوط وتربة القبور ونحوها.

2- أنواع الرقى وبيان المشروع والممنوع منها.

3- حكم تعليق التمائم.

4- حكم تعليق القرآن أوالحديث.

النص:

وهو أربعة عشر بيتا (14):

1/110	وَمَنْ يَثِقْ بِوَدْعَةٍ أَوْ نابِ	أَوْ حَلْقَةٍ أَوْ أَعْيُنِ الذِّئابِ
2/111	أَوْ خَيْطٍ اَوْ عُضْوٍ مِنَ النُّسُورِ	أَوْ وَتَرٍ أَوْ تُرْبَةِ القُبُورِ
3/112	لأيِّ أَمْرٍ كائِنٍ تَعَلَّقَهْ	وَكَلَهُ اللهُ إلَى مَا عَلَّقَهْ
4/113	ثُمَّ الرُّقَى مِنْ حُمَةٍ أَوْ عَيْنِ	فإنْ تَكُنْ مِنْ خالِصِ الوَحْيَيْنِ
5/114	فَذاكَ مِنْ هَدْيِ النَّبِي وَشِرْعَتِهْ	وَذاكَ لاَ اخْتِلافَ فِي سُنِّيَّتِهْ
6/115	أَمَّا الرُّقَى الْمَجْهُولَةُ الْمَعانِي	فَذاكَ وَسْواسٌ مِنَ الشَّيْطانِ
7/116	وَفِيهِ قَدْ جاءَ الْحَدِيثُ أَنَّهْ	شِرْكٌ بِلاَ مِرْيَةٍ فاحْذَرَنَهْ
8/117	إذْ كُلُّ مَنْ يَقُولُهُ لاَ يَدْرِي	لَعَلَّهُ يَكُونُ مَحْضَ الكُفْرِ
9/118	أَوْ هُوَ مِنْ سِحْرِ اليَهُودِ مُقْتَبَسْ	عَلَى العَوَامِ لَبَّسُوهُ فالْتَبَسْ

10/119	فَحَـــذَرًا ثُـــمَّ حَـــذارِ مِنْـــهُ	لاَ تَعْـرِفِ الْحَـقَّ وَتَنْـأَى عَنْـهُ[1]
11/120	وَفِـــي التَّمـــائِمِ الْمُعَلَّقـــاتِ	إنْ تَكُـــنَ آيـــاتٍ مُبَيَّنـــاتِ
12/121	فـالاِخْتِلافُ واقِـعٌ بَـيْنَ السَّـلَفْ	فَبَعْضُهُمْ أَجازَهَا والـبَعْضُ كَـفّْ
13/122	وإنْ تَكُـنْ مِمَّـا سِـوَى الـوَحْيَيْنِ	فإنَّهَـــا شِـــرْكٌ بِغَيْـــرِ مَـــيْنِ
14/123	بَـــلْ إنَّهَـــا قَسِـــيمَةُ الأَزْلامِ	فِي البُعْدِ عَنْ سِيمَا أُولِي الإسْلامِ

الشرح:

الاعتماد في جلب النفع أو دفع الضر على الودع والخيوط وتربة القبور ونحوها:

هذه أمور تدخل في باب الشرك الأصغر إلا إذا اعتقد فيها النفع أو الضـر أو نحو ذلك فإنها تكون حينئذ شركا أكبر.

قال المصنف: **(ومـن)** "من" من صيغ العموم فتعم كل الجن والإنـس ذكـورا أو إناثا **(يثق)** أي يعتمد وهذا شرط جوابه "وكله الله" **(بودعة)** بسكون الدال ويحرك جمعه ودعات: خرز بيض تخرج من البحر بيضاء شـقها كشـق النـواة تعلـق لـدفع العين في زعمهم [2]، **(أو نـاب)** هي السن المعروفة كمـا يفعـل بعـض الجهـال مـن تعليق ناب الضبع أو غيره من أسنانه على العضد لدفع النسيان ووجع الأسنان[3]. **(أو حلقة)** من صفر أو حديد يعتقدون لجهلهم أنه شفاء للحمى وأنها تدفع العـين وغير ذلك. **(أو أعين الذئاب)** إذ يعتقد بعض الجهـال أن تعليقهـا علـى الصـبي أو غيره يمنع الصرع[4]. **(أو خيط)** لدفع الحمى وغيرها وكثيرا ما تكون فيه عقد كثيرة: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَـدِ﴾ [الفلـق 4]. **(أو عضو من)** أعضـاء **(النسـور)** فيعتقدون لشدة ضلالهم أن من علق قلبه صـار محبوبـا مهابـا مقضـي الحاجـة عنـد

(1) بإشباع حركة الهاء في " منه" و " عنه".

(2) القاموس المحيط ص: 692.

(3) حياة الحيوان الكبرى للدميري 526/2.

(4) حياة الحيوان الكبرى للدميري 418/1.

السلطان ولا يضره السبع، وإن علق فكه الأعلى على عنق إنسان لم يقربه شيء من الهوام بزعمهم.. إلخ[1].

(أو وتر) وكان العرب في الجاهلية يعلقون الوتر القديم على الصبيان والدواب لدفع العين. **(أو تربة القبور)** وهي التراب القريبة من الميت في القبر يعلقونها للاستشفاء كما يتبركون بها، **(لأي أمر كائن)** ما كان لأجله **(تعلقه)** الضمير عائد إلى ما سبق **(وكله الله)** أي تركه[2] **(إلى ما علقه)** معتمدا عليه، وهذا دعاء عليه أن لا يحفظه الله بل يترك حفظه إلى هذه الأشياء التي لا تستطيع حفظ نفسها أحرى أن تحفظ غيرها وهذا إشارة إلى حديث عيسى بن حمزة قال: دخلت على عبد الله بن عكيم t فقلت: ألا تعلق تميمة، فقال: نعوذ بالله من ذلك قال r : «من علق شيئا وكل إليه»[3]، وإشارة إلى حديث الحسن عن أبي هريرة t أنه r قال: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيئا وكل إليه»[4].

وعن عقبة بن عامر t أنه r قال: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له»[5].

وعن الحسن البصري عن عمران بن حصين t أن النبي r رأى رجلا في يده حلقة من صفر فقال: ما هذا؟ قال: من الواهنة، فقال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا»[6].

---

(1) حياة الحيوان الكبرى للدميري 822/2.

(2) القاموس ص: 963.

(3) أحمد (18781) والترمذي (2072) والبيهقي 351/9 والحاكم 216/4 وحسنه الألباني في غاية المرام (297) والأرنؤوط في تحقيقه للمسند 78/31 .

(4)النسائي(4079) وابن عدي في الكامل 1648/4 وفي سنده عباد بن ميسرة وهو لين الحديث كما في التقريب ص: 234، و الحسن لم يسمع من أبي هريرة .

(5) أحمد (17404) 623/28 وأبو يعلى (1753) وابن حبان (6086) والحاكم 216/4 وفي خالد بن عبيد المعافري وهو مجهول لم يرو عنه غير حيوة بن شريح ولم يوثقه إلا ابن حبان لكن تابعه ابن لهيعة فصار الحديث حسنا إن شاء الله.

(6) أحمد (20000) وابن ماجه (3031) وابن حبان (1410) والحاكم (216/4) وصححه ووافقه الذهبي واختلف في سماع الحسن من عمران ثم الحسن مدلس وقد عنعنه ومبارك بن فضالة مع أنه مدلس ففيه ضعف.

وعن أبي بشير الأنصاري t أنه كان مع النبي r في سفر فأرسل رسولا: «لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر ولا قلادة إلا قطعت»[1].

وعن حذيفة أنه دخل على رجل يعوده فوجد في عضده خيطا فقال: ما هذا؟ قال: خيط رقي لي فيه فقطعه، وقال: "لو مت ما صليت عليك"[2].

وعن موسى بن سوقة أن سعيد بن جبير رأى إنسانا يطوف بالبيت في عنقه خرزة فقطعها[3].

قال ابن عقيل: (لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام، عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم، إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، قال: وهم كفار عندي بهذه الأوضاع، مثل: تعظيم القبور وإكرامها بما نهى الشرع عنه، ومن إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها، وخطاب الموتى بالألواح، وكتب الرقاع فيها: يا مولاي افعل بي كذا وكذا، وأخذ التراب تبركاً) [4].

أنواع الرقى:

ثم تكلم المصنف على الرقى فقال:

ثم الرقى من حمة أو عين	فإن تكن من خالص الوحيين
فذاك من هدي النبي وشرعته	وذاك لا اختلاف في سنيته
أما الرقى المجهولة المعاني	فذاك وسواس من الشيطان
وفيه قد جاء الحديث أنه	شرك بلا مرية فاحذرنه
إذ كل من يقوله لا يدري	لعله يكون محض الكفر
أو هو من سحر اليهود مقتبس	على العوام لبسوه فالتبس

قوله (**ثم الرقى**) جمع رقية وهي العوذة قال رؤبة:

(1) البخاري (3005) ومسلم (2115).

(2) ابن أبي شيبة 427/5.

(3) ابن أبي شيبة 428/5.

(4) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص455.

فمــا تركــا مــن عــوذة يعرفانهــا ولا رقيـــة إلا بهـــا رقيـــاني[1]

(من) سببية مثل قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَـاتِهِمْ أُغْرِقُـوا فَـأُدْخِلُوا نَـارًا﴾ [نـوح 25]، **(حمة)** بالتخفيف وجوز ابن الأعرابي التشديد وأنكره الأزهري وهـي: سـم ذوات السموم وضرها وقيل الإبرة التي تضرب بها الحية والعقـرب والزنبـور ونحـو ذلك أو تلدغ بها وأصله حمو أو حمي والهاء عوض والجمع حمات وحمى[2].

(أو عين) وهي أن تصيب إنسانا عين وذلك إذا نظر إليه عدو حسود فأثرت فيه فمرض بسببها وعان الرجل يعينه عينا فهو عـائن والمصـاب معـين علـى الـنقص ومعيون على التمام قال عباس بن مرداس:

قـد كـان قومـك يحسـبونك سـيدا وإخــال أنــك ســيد معيــون[3]

والعين حق ولها تأثير بإذن الله تعالى.

عن ابن عباس t عن النبي r قال: «العين حق ولو كان شيء سـابق القـدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا»[4].

عن أبي هريرة t عن النبي r قال: «العين حق» ونهى عن الوشم[5].

وعن أم سلمة g أن النبي r رأى في بيتـها جاريـة في وجههـا سـفعة فقـال: استرقوا لها فإن بها النظرة»[6].

والسفعة قال الجوهري: سواد في خدي المـرأة الشـاحبة، وقـال الأصـمعي حمـرة يعلوها سواد، وقال ابن قتيبة: لون يخالف لون الوجه[7].

---

(1) الصحاح 1718/2 ولسان العرب 332/14.

(2) الصحاح 1689/2 والنهاية 446/1 ولسان العرب 201/14 والقاموس ص: 1149.

(3) لسان العرب 301/13 والصحاح 1588/2.

(4) مسلم (2188).

(5) البخاري (5740) واللفظ له ومسلم (2187).

(6) البخاري (5739) واللفظ له ومسلم (2196).

(7) الصحاح 952/2 وفتح الباري 2549/3.

وعن أسماء بنت عميس قالت: يا رسول الله: إن ولد جعفر تسرع إليهم العين أفأسترقي لهم؟ قال: «نعم لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين»[1].

وقوله: "من حمة أو عين" إشارة إلى حديث عمران بن حصين t : «لا رقية إلا من عين أو حمة»[2]، وليس المراد حصر الرقية في العين والحمة وإنما المراد إبراز أهمية الرقية منهما مثل حديث: «الحج عرفة»[3]، فليس الحج محصورا في الوقوف بعرفة.

قال ابن الأثير: "وأما قوله: «لا رقية إلا من عين أو حمة» فمعناه لا رقية أولى وأنفع، وهذا كما قيل: لا فتى إلا علي، وقد أمر عليه الصلاة والسلام غير واحد من أصحابه بالرقية وسمع بجماعة يرقون فلم ينكر عليهم"[4].

قوله (**فإن تكن**) أي الرقى كلها (**من خالص**) أي صافي (**الوحيين**) أي الكتاب والسنة والمقصود أن تكون الرقية بالكتاب أو السنة أو الدعاء المفهوم المعنى مما ليس فيه إثم ولا قطيعة رحم بعيدا عن السحر والشعوذة والطلاسم والجداول والأوفاق وغير ذلك مما يجهل معناه أو يشتمل على شرك أو معصية.

(**فذاك**) أي الرقية بالكتاب والسنة وما في معناهما (**من**) للتبعيض (**هدي**) أي ملة ودين ومنهج (**النبي**) محمد بن عبد الله r (**و**) هو كذلك من (**شرعته**) التي أرسله الله تعالى بها (**وذاك**) أي هذا النوع من الرقى (**لا اختلاف**) بين أحد من أهل العلم (**في سنيته**) إذ قد ثبت من فعله r وقوله وتقريره فعن عوف بن مالك الأشجعي t قال: كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول الله: كيف ترى في ذلك؟، فقال: «اعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك»[5].

وعن جابر بن عبد الله t قال: نهى رسول الله r عن الرقى فجاء آل عمرو

---

(1) الترمذي (2059) واللفظ له وقال: حسن صحيح وابن ماجه (3510) والحميدي (332) .

(2) البخاري (5705).

(3) أبو داود (1949) والترمذي (889) والنسائي 45/2 وابن ماجه (3015) وصححه ابن حبان 1009 والحاكم 464/1 والذهبي والنووي.

(4) النهاية في غريب الحديث 255/2.

(5) صحيح مسلم (2200) واللفظ له.

بن حزم إلى رسول الله r فقالوا: يا رسول الله إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب وإنك نهيت عن الرقى، قال: فعرضوها عليه، فقال: «ما أرى بأسا من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه»[1].

وعن عائشة g أن النبي r كان يرقي بهذه الرقية: «أذهب البأس رب الناس بيدك الشفاء لا كاشف له إلا أنت»، وفي رواية يمسح بيده اليمنى ويقول: «اللهم رب الناس أذهب البأس واشفه أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سَقَما»[2].

عن عائشة g أن النبي r كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات بالمعوذات فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن وأمسح بيد نفسه لبركتها[3].

وعن ابن عباس t أن نفرا من أصحاب النبي r مروا بماء فيهم لديغ أو سليم فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال هل فيكم من راق إن في الماء رجلا لديغا أو سليما، فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب فبرأ فجاء بالشاء إلى أصحابه فكرهوا ذلك وقالوا: أخذت على كتاب الله أجرا حتى قدموا المدينة، فقالوا: يا رسول الله أخذ على كتاب الله أجرا، فقال رسول الله r : «إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله»[4].

ولما بين المصنف النوع المشروع من الرقى ثنى بالنوع الثاني الممنوع فقال: **(أما)** النوع الثاني من **(الرقى)** وهي **(المجهولة المعاني)** لأنها عبارة عن أسماء أعجمية لزعماء الشياطين أو هي أوفاق وجداول سحرية وحروف مقطعة وعزائم شركية ونحو ذلك **(فذاك)** أي النوع الثاني **(وسواس من)** وساوس **(الشيطان)** أوحاها إلى أوليائه، وكلها مشتملة على الشرك وتأليه زعماء الشياطين والاستغاثة بهم وتقديم القرابين لهم لتنفيذ تلك العزائم. **(وفيه)** أي هذا النوع **(قد جاء)** أي ورد **(الحديث)** الصحيح **(أنه شرك)** بالله تعالى **(بلا مرية)** أي لا ريب ولا شك

---

(1) مسلم [(2199)/5731].

(2) البخاري (5744) ومسلم [(2191)/5712] واللفظ له والرواية الثانية للبخاري (5743).

(3) البخاري (5735) واللفظ له ومسلم (2192).

(4) البخاري (5737).

(فاحذرنه) أي ابتعد عنه.

والحديث الذي أشار إليه في هذا البيت هو حديث ابن مسعود t أنه r قال: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك»[1].

وعن علي t قال: "إن كثيرا من هذه الرقى والتمائم شرك فاجتنبوه"[2].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم: "ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق"[3].

قوله **(إذ)** تعليل لما سبق **(كل من)** موصولة فاللفظ في غاية إفادة العموم. **(يقوله)** الضمير يعود إلى هذا النوع الثاني من الرقى المجهولة المعنى **(لا يدري)** أي لا يعلم **(لعله يكون)** أي هذا المقول **(محض)** أي خالص وصريح **(الكفر)** بالله تعالى **(أو هو من)** أي بعض **(سحر اليهود)** وغيرهم من شياطين الإنس والجن **(مقتبس)** مستمد ومأخوذ من اليهود ونحوهم ثم أخفي على الناس تحت غطاء الرقية **(على العوام)** الجهال **(لبسوه)** أي جعلوه شبهة ملتبسة غير واضحة ولا مفهومة **(فالتبس)** على كثير من الناس وراج عليهم ولم يميزوا بين الرقى المشروعة والرقى الممنوعة.

(فحذرا) أي احذر أشد الحذر **(ثم حذار منه)** هذا توكيد بعد توكيد أي احذر من هذا النوع من الرقى **(لا تعرف)** تعلم **(الحق)** الذي جاء من عند الله **(وتنأى)** أي تبتعد **(عنه)** فتكون ممن استبدل الحق بالباطل والهدى بالضلال.

تعليق التمائم :

ثم قال مبينا حكم التمائم بقوله :

وفي التمـــــائم المعلقـــــات	إن تـــك آيـــات مبينـــات
فـالاختلاف واقـع بـين السـلف	فبعضـهم أجازهـا والـبعض كـف

---

(1)أحمد (3615) وأبو داود(3883) وابن ماجة (3530) وابن حبان 456/13 والحاكم 217/4 وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في الصحيحة 584/1.

(2) رواه وكيع انظر الآداب الشرعية لابن مفلح 195/3.

(3) عبد الرزاق (19805) والبيهقي (16514).

وإن تكــن ممــا ســوى الــوحيين فإنهـــا شـــرك بغـــير مـــين
بــــل إنهــــا قســــيمة الأزلام في البعـد عـن سـيما أولي الإسـلام

قوله **(و)** الحكم **(في التمائم)** جمع تميم وهي كل ما علق لجلب نفع أو دفع ضـر من خرز وودع وغير ذلك، قال الهذلي:

وإذا المنيــــة أنشــــبت أظفارهــــا ألفيــــت كــــل تميمــــة لا تنفــــع

وقال آخر:

إذا مــات لم تفلــح مزينــة بعــده فنــوطي عليــه يـا مـزين التمائمـا

قال أبو السعادات ابن الأثير: "التمائم جمع تميمة وهي خرزات كانت العـرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم، فأبطلها الإسلام"[1].

وقال ابن عبد البر: "ومعناها عند أهل العلم ما علق في الأعناق مـن القلائـد خشية العين أو غيرها من أنواع البلاء"[2].

قال الجوهري: "والتميمة عوذة تعلق على الإنسان وفي الحديث: «من علق تميمة فلا أتم الله له» ويقال هي خرزة. قال الشاعر:

بــلاد بهــا نيطــت علــي تمــائمي وأول أرض مـس جلـدي ترابهـا[3]

(المعلقات) في الغالب وقد يحملها الإنسان أو يضعها في مكان معين، **(إن تك)** تلك التمائم **(آيات مبينات)** من القرآن ومثله ما ثبت من السنة **(فالاختلاف)** في هذا النـوع **(واقـع)** أي حاصـل **(بين السلف)** وهـم الصـحابة والتـابعين وأتبـاع التابعين، **(فبعضهم أجازها)** كما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاصي وعائشة **y** بعد نزول البلاء وأبي جعفر محمد بن علي ولعله لم يصح عنـهم[4]. **(والبعض)** وهم جماهير السلف والخلف كابن مسعود وعبد الله بن عكيم وعبد الله بـن عمـرو وعقبة بن عامررضي الله عنهم والأسود وعلقمة وإبراهيم النخعي والحسن البصري

(1) النهاية في غريب الحديث 197/1.
(2) التمهيد 7/7.
(3) الصحاح 1392/2 واللسان 70/12.
(4) انظر التمهيد لابن عبد البر 5/7-8.

وغيرهم منعها وحرمها لأن النبي r لم يفعل ذلك، بل هو داخل في عموم النهي عن تعليق التمائم.

كحديث عيسى بن حمزة قال: دخلت على عبد الله بن عكيم t فقلت: ألا تعلق تميمة فقال: نعوذ بالله من ذلك، وفي رواية: الموت أقرب من ذلك، قال النبي r : «من علق شيئا وكل إليه»[1].

عن ابن مسعود t أنه كره تعليق شيء من القرآن[2].

وعن إبراهيم النخعي قال: كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن[3].

قوله **(كف)** أي أن جماهير السلف أمسكوا عن هذا النوع من التمائم وتركوه لأن الطريقة الشرعية في الرقية بالقرآن قراءته لاتعليقه وكذلك لعموم النصوص الناهية عن التمائم كلها وطلبا للتوكل على الله وسدا للذريعة وصونا لكلام الله من أن يحمل إلى الأماكن القذرة فضلا عما يصيبه من الوسخ والعرق وتعرضه للإهانة وعدم الاحترام.

قال ابن العربي المالكي: " .. فإن تعلق قرآنا فإنه وإن كان تقاة لكنه ليس من طريق السنة وإنما السنة فيه الذكر دون التعليق وقد قيل للنبي r ألا تنشرت ، ويسمي الناس النشرة كتابا يوضع في إناء ثم يغسل ويشرب وهي بدعة من الشيطان، وقد قال الحسن النشرة من السحر، يعني أنه عمل لا يجوز[4]".

ثم أشار إلى النوع الثاني من التمائم بقوله: **(وإن تكن)** أي التمائم **(مما)** من هنا موصولة **(سوى)** عدا **(الوحيين)** أي الكتاب والسنة من السحر والطلاسم والأوفاق الموروثة عن اليهود وعباد الهياكل والنجوم وسدنة ملوك الجان ومستخدمي الشياطين فيعلقونها في شكل خرزات أو عقد من خيوط أو حلق أو ودع أو بعض

(1) أحمد (18781) والترمذي (2072) والحاكم 216/4 وحسنه الألباني وشعيب الأرنؤوط انظر تحقيق المسند ط: الرسالة..

(2) مصنف ابن أبي شيبة 428/5.

(3) ابن أبي شيبة 428/5.

(4) عارضة الأحوذي 396/4.

أجزاء الحيوانات التي كتبت عليها هذه الأمور.

(فإنها) أي هذه التمائم **(شرك)** بالله تعالى لأن صاحبها لو لم يعتقد فيها النفع والضر لما علقها **(بدون مين)** أي كذب أو شك لوضوح الأدلة في ذلك **(بل إنها)** أي هذه التمائم **(قسيمة)** أي شبيهة **(الأزلام)** وهي سهام كانوا يستقسمون بها في الجاهلية[1] والتمائم شبيهة بها في كونها من عمل الجاهلية وتشبهها أيضا **(في البعد عن سيما)** أي علامة **(أولي الإسلام)** أي أهل الإسلام فهذه التمائم من علامات أهل الكفر والشرك.

والأحاديث الزاجرة عن التمائم الناهية عنها كثيرة منها:

1- عن عقبة بن عامر الجهني t أن رسول الله r أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد فقالوا: يا رسول الله: بايعت تسعة وتركت هذا؟ قال: «إن عليه تميمة» فأدخل يده فقطعها فبايعه وقال: «من علق تميمة فقد أشرك»[2].

قال ابن الأثير: "وإنما جعله شركا لأنهم أرادوا بها دفع المقادير المكتوبة عليهم فطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه"[3].

2- عن أبي بشير t أنه كان مع النبي r في بعض أسفاره فأرسل رسول الله r رسولا «لا تبقين في رقبة بعير قلادة من وتر -أو قلادة- إلا قطعت»[4]، قال مالك: أرى ذلك من العين.

قال ابن عبد البر: "قد فسر مالك هذا الحديث أنه من أجل العين وهو عند جماعة أهل العلم كما قال مالك: لا يجوز عندهم أن يعلق على الصحيح من البهائم أو بني آدم شيء من العلائق خوف نزول العين لهذا الحديث"[5].

(1) القاموس ص: 1008.

(2) أحمد (17422) واللفظ له وإسناده صحيح رجاله رجال مسلم غير دخين بن عامر الحجري وقد وثقه يعقوب بن سفيان وابن حبان وصحح له الحاكم كما في التهذيب 573/1، ورواه الحاكم 219/4 وصححه واوفقه الذهبي وقال الهيثمي والمنذري: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات وصححه الألباني في الصحيحة (492) وانظر تحقيق المسند ط: الرسالة.

(3) النهاية 198/1.

(4) البخاري (3005) ومسلم (2115).

(5) التمهيد 5/7.

3- عن عقبة بن عامر t أنه r قال: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له»[1].

4- عن رويفع بن ثابت الأنصاري t قال: قال لي رسول الله r : «يا رويفع لعل الحياة ستطول بك فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وترا أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فقد برئ مما أنزل على محمد r »[2].

5- عن عيسى بن عبد الرحمن قال: دخلنا على عبد الله بن عكيم t وهو مريض نعوده فقيل له: لو تعلقت شيئا، فقال: أتعلق شيئا وقد قال رسول الله r : «من تعلق شيئا وكل إليه» وفي رواية: «نعوذ بالله من ذلك»[3].

قال ابن العربي المالكي: " فإن قيل فما يتعلقه الناس من الأحراز والأحجار ما قولكم فيها؟ قلنا: روى أبو عيسى وغيره من حديث عبد الله بن عكيم أنه نزلت به حمرة فقيل له: ألا تعلق شيئا قال: قال النبي r : «من تعلق شيئا وكل إليه» وذلك أن الجهال يزعمون أن في الجمادات والحيوانات خصائص من الوقاية بكلام أهل الإلحاد والصنارات وذلك شرك، فإن تعلق قرآنا فإنه وإن كان تقاة لكنه ليس من طريق السنة وإنما السنة فيه الذكر دون التعليق وقد قيل للنبي r ألا تنشرت، ويسمي الناس النشرة كتابا يوضع في إناء ثم يغسل ويشرب وهي بدعة من الشيطان، وقد قال الحسن النشرة من السحر، يعني أنه عمل لا يجوز "[4].

(1) أحمد (17404) واللفظ له وأبو يعلى (1759) وابن حبان (6086) والحاكم 216/4، وفيه مشرح بن عاهان وهو حسن الحديث وخالد بن عبيد المعافري ولم يرو عنه غير حيوة بن شريح ولم يوثقه غير ابن حبان لكن تابعه ابن لهيعة فصار الحديث حسنا، لذلك صححه ابن حبان والحاكم والذهبي وقواه الهيثمي والمنذري.

(2) أحمد (16995) والنسائي في الكبرى (9336) والصغرى (5067) وأبو داود (36)، وصححه الألباني في المشكاة (351) مع أنه في سنده شيبان بن أمية القتباني وفيه جهالة كما في التقريب ص: 210 واختلف فيه على عياش بن عباس القتباني: انظر المسند تحقيق الأرنؤوط 203/28-204.

(3) أحمد (18781) واللفظ له والترمذي (2072) والرواية الأولى له وابن أبي شيبة 13/7 والبيهقي 351/9 والحاكم 216/4 وحسنه الألباني في غاية المرام (297).

(4) عارضة الأحوذي 396/4.

6- عن زينب امرأة عبد الله قالت: كان عبد الله t إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق كراهية أن يهجم منا على شيء يكرهه قالت: وإنه جاء ذات يوم فتنحنح قالت: وعندي عجوز ترقيني من الحمرة فأدخلتها تحت السرير فدخل فجلس إلى جنبي فرأى في عنقي خيطا، قال: ما هذا الخيط؟ قالت: قلت خيط رقي لي فيه، قالت: فأخذه فقطعه ثم قال: إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك سمعت رسول الله r يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» قالت: فقلت له: لم تقول هذا، وقد كانت عيني تقذف فكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيها وكان إذا رقاها سكنت؟! قال: إنما ذلك عمل الشيطان كان ينسخها بيده فإذا رقيتها كف عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال رسول الله r : «أذهب الباس رب الناس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما»[1].

7- عن عبد الله بن عمرو بن العاصي t قال: سمعت رسول الله r يقول: «ما أبالي ما أتيت أو ما ركبت إذا أنا شربت ترياقا أو تعلقت تميمة أو قلت الشعر من قبل نفسي»[2].

8- عن عبد الله بن مسعود t قال كان رسول الله r يكره عشر خلال: تختم الذهب، وجر الإزار، والصفرة -يعني الخلوق- وتغيير الشيب -قال جرير: إنما يعني بذلك نتفه- وعزل الماء عن محله والرقى إلا بالمعوذات وفساد الصبي غير محرمه وعقد التمائم والتبرج بالزينة لغير محلها والضرب

---

(1) أحمد (3615) وأبو داود (3883) وأبو يعلى (5208) والبغوي (3240) وابن ماجه (3530) وصححه الحاكم 2/216-217 ووافقه الذهبي والألباني في الصحيحة (331)1/584.

(2) أحمد (7081) واللفظ له (6565) وأبو داود (3869) وابن أبي شيبة 8/78 والبيهقي في السنن 9/355 وإسناده ضعيف فالراوي عن عبد الله هو عبد الرحمن بن رافع التنوخي المصري قال البخاري حديثه منكر وكذا قال أبو حاتم وضعفه ابن حبان وابن حجر وغيرهما. والراوي عنه شرحبيل بن شريك قال ابن حبان صالح: الحديث وقال النسائي ليس به بأس وذكره ابن حبان في الثقات وباقي رجاله رجال الشيخين، وانظر تحقيق المسند ط: الرسالة.

بالكعاب»[1]، وقال أبو داود انفرد بإسناد هذا الحديث أهل البصرة، قلت صوابه أهل الكوفة فليس فيه بصري.

9- عن عمران بن حصين t أن النبي r أبصر على عضد رجل حلقة أراه قال من صفر، فقال: «ويحك ما هذه»؟ قال: من الواهنة، قال: أما إنها لا تزيدك إلا وهنا، انبذها عنك، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا»[2].

10- عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r : «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيئا وكل إليه»[3].

11- عن حذيفة t أنه دخل على رجل يعوده فوجد في عضده خيطا فقال: ما هذا؟ قال: خيط رقي لي فيه فقطعه وقال: لو مت ما صليت عليك[4].

12- عن مغيرة قال: قلت لإبراهيم أعلق في عضدي هذه الآية: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء 69]، من حمى كانت بي فكره ذلك[5].

---

(1) أحمد (3605) واللفظ له والطيالسي (396) وأبو داود (4222) والنسائي في الكبرى (9363) وأبو يعلى (5074) وابن حبان (5682) وسنده ضعيف عبد الرحمن بن حرمة الكوفي، قال البخاري: لم يصح حديثه، قال الذهبي: في ترجمته في هذا الحديث: "منكر" وقاسم بن حسان لم يوثقه إلا ابن حبان والعجلي وأحمد بن صالح وقال البخاري حديثه منكر وبقية رجاله رجال الصحيح.

(2) أحمد (20000) واللفظ له وابن ماجه (3531) وابن حبان (6085) والطبراني في الكبير 391/18 والحاكم 216/4 والبيهقي 350/9 وسنده ضعيف لأن فيه مبارك بن فضالة وهو مدلس وقد عنعنه وشيخه الحسن البصري وهو مدلس والمحفوظ أنه عنعنه والتصريح بالسماع عند أحمد خطأ من فضالة كما قال أحمد وغيره، وله علة أخرى وهي الوقف فقد رواه عبد الرزاق (20344) وابن أبي شيبة 14/8 موقوفا على عمران ولعله هو المحفوظ والله أعلم وانظر تحقيق المسند ط: الرسالة..

(3) النسائي (4079) واللفظ له وسنده ضعيف والحسن لم يسمع من أبي هريرة وعباد بن ميسرة ضعفه أحمد، وقال ابن معين ليس به بأس وقال أبو داود ليس بالقوي وقال ابن عدي هو ممن يكتب حديثه، انظر التهذيب 284/2.

(4) مصنف ابن أبي شيبة 427/5.

(5) مصنف ابن أبي شيبة 428/5.

الخلاصة:

1- تحريم الاعتماد على الودع والحلق وأعين الذئاب وأجزاء النسور والخيوط والوتر وتربة القبور ونحو ذلك، في جلب النفع أو دفع الضر وأنه من أعظم المنكرات المؤدية للشرك.

2- الرقى نوعان:

أ- محمودة: وهي ما كان بالوحي من كتاب أو سنة أو بالدعاء المفهوم المعنى.

ب- مذمومة:وهي المجهولة المعنى أو المشتملة على الشرك والمعاصي والاستعانة بغير الله.

3- التمائم نوعان:

أ- تعليق القرآن أو الحديث: وهذا فيه الخلاف وجماهير السلف والخلف على منعه لما فيه إهانة القرآن، وسدا للذريعة.

ب- تعليق التمائم مما سوى الوحي: هذه شرك بالله لأن فيها اعتقادا للنفع والضر في غير الله.

الأسئلة:

1- ما حكم الاعتماد على الودع والحلق ونحو ذلك؟

2- ما هي أنواع الرقى؟ وما حكمها؟

3- اذكر أنواع التمائم؟ وحكم كل منها؟

4- اذكر بعض الأحاديث التي تدل على النهي عن التمائم؟



فصل

من الشرك فعل من يتبرك بشجرة أو حجر أو بقعة أو قبر أو نحوها، يتخذ ذلك المكان عيدا وبيان أن الزيارة تنقسم إلى سنية وبدعية وشركية

أهم المسائل:

1- حكم تعظيم ما لم يعظمه الله من الشجر والحجر ونحو ذلك.

2- أنواع زيارة القبور وأن منها زيارة شركية وأخرى بدعية وأخرى سنية.

3- خطورة الشرك وأن الله لا يغفره.

النص:

وهو أربعة عشر بيتا (14):

1/124 هَذَا وَمِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الشِّرْكِ ... مِنْ غَيْرِ مَا تَرَدُّدٍ أَوْ شَكِّ

2/125 مَا يَقْصِدُ الْجُهَّالُ مِنْ تَعْظِيمِ مَا ... لَمْ يَأْذَنِ اللهُ بِأَنْ يُعَظَّمَا

3/126 كَمَنْ يَلُذْ[1] بِبُقْعَةٍ أَوْ حَجَرِ ... أَوْ قَبْرِ مَيْتٍ أَوْ بِبَعْضِ الشَّجَرِ

4/127 مُتَّخِذًا لِذَلِكَ الْمَكَانِ ... عِيدًا كَفِعْلِ عابِدِي الأَوْثَانِ

5/128 ثُمَّ الزِّيَارَةُ عَلَى أَقْسَامِ ... ثَلاثَةٍ يَا أُمَّةَ الإِسْلامِ

6/129 فَإِنْ نَوَى الزائِرُ فِيمَا أَضْمَرَهْ ... فِي نَفْسِهِ تَذْكِرَةً بالآخِرَهْ

7/130 ثُمَّ الدُّعَا لَهُ وَلِلأَمْوَاتِ ... بِالْعَفْوِ والصَّفْحِ عَنِ الزَّلَّاتِ

8/131 وَلَمْ يَكُنْ شَدَّ الرِّحالَ نَحْوَهَا ... وَلَمْ يَقُلْ هُجْرًا كَقَوْلِ السُّفَهَا

9/132 فَتِلْكَ سُنَّةٌ أَتَتْ صَرِيحَهْ ... فِي السُّنَنِ الْمُثْبَتَةِ الصَّحِيحَهْ

10/133 أَوْ قَصَدَ الدُّعاءَ والتَّوَسُّلاَ ... بِهِمْ إِلَى الرَّحْمنِ جَلَّ وَعَلاَ

11/134 فَبِدْعَةٌ مُحْدَثَةٌ ضَلالَهْ ... بَعِيدَةٌ عَنْ هَدْيِ ذِي الرِّسالَهْ

---

(1) بالجزم لضرورة الوزن والأصل " كمن يلوذ".

12/135 وإنْ دَعَا الْمَقْبُورَ نَفْسَهُ فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللهِ العَظِيمِ وَجَحَدْ
13/136 لَنْ يَقْبَلَ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً فَيَعْفُو عَنْهُ
14/137 إذْ كُلُّ ذَنْبٍ مُوشِكُ الغُفْرانِ إلاَّ اتِّخاذُ النِّدِّ لِلرَّحْمنِ

تقديم:

ينقسم هذا الباب إلى قسمين:

الأول: تعظيم ما لم يعظمه الله بل ربما وصل حد التأليه.

والثاني: أنواع الزيارة وهي ثلاثة سنية وبدعية وشركية.

الشرح:

تعظيم ما لم يعظمه الله من الشجر والحجر والأموات ونحو ذلك :

بدأ المصنف بالنوع الأول من هذا الفصل وهو التعظيم الزائد على الحد المشروع لبعض المخلوقات فقال:

هَذَا وَمِنْ أَعْمالِ أَهْلِ الشِّرْكِ مِنْ غَيْرِ مَا تَرَدُّدٍ أَوْ شَكِّ
مَا يَقْصِدُ الْجُهَّالُ مِنْ تَعْظِيمِ مَا لَمْ يَأْذَنِ اللهُ بِأَنْ يُعَظَّمَا
كَمَنْ يَلُذْ بِبُقْعَةٍ أَوْ حَجَرِ أَوْ قَبْرِ مَيْتٍ أَوْ بِبَعْضِ الشَّجَرِ
مُتَّخِذًا لِذَلِكَ الْمَكَانِ عِيدًا كَفِعْلِ عابِدِي الأَوْثانِ

قوله: **(هذا)** أي الأمر والمقصود به الاستفتاح **(ومن)** للتبعيض فهي بمعنى بعض **(أعمال أهل الشرك)** أي الكفر والإشراك بالله والنفاق **(من غير ما تردد)** أي ريب **(أو شك)** أي ظن بل ذلك يقين لا شك فيه ولا ريب **(ما)** موصولة بمعنى الذي **(يقصد)** أي يؤم **(الجهال)** أي أهل الجاهلية **(من تعظيم)** وتقديس بالقلب واللسان والجوارح **(ما)** الذي **(لم يأذن الله)** أي ما لم يشرع الله **(بأن يعظما)** ذلك التعظيم الذي لا يستحقه لأن هذا الجاهل لا يفرق بين حق الله وحقوق مخلوقاته

فيعطي حق الله من التعظيم والعبادة لغيره، والألف للإطلاق.

(كـ) مثل **(من يلذ)** أي يلتجئ ويحتمي **(ببقعة)** أي بلدة يعوذ بها ويرتادها تبركا وطلبا جلب النفع ودفع الضر، **(أو حجر)** فيتمسح به بل يقدمون له القرابين من ذبح ونذر ونحو ذلك فإن كان الحجر مما أمر الله بتعظيمه فذلك طاعة وتعظيم لله لكنه مخلوق لا حول له ولا قوة له كما قال عمر بن الخطاب t للحجر الأسود: "أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله r يستلمك ما استلمتك"[1].

(أو قبر ميت) كما يفعل كثير من الصوفية بقبور شيوخهم، فيبنون عليهم البيوت والأشجار ويسألونهم حاجاتهم ويستغيثون بهم ولهم يذبحون ويجمعون وبهم يطوفون وعليهم يعكفون، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل 19-21]...

(أو ببعض الشجر) معتقدين فيها البركة لنزول صالح عندها أو قربها من قبره أو بيته أو غير ذلك كشجرة ذات أنواط عند أهل الجاهلية الأولى.

فعن أبي واقد الليثي t أن رسول الله r لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي r : «سبحان الله! هذا كما قال قوم موسى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف 138]، والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم»[2].

---

(1) البخاري (1605) واللفظ له ومسلم (1270).

(2) أحمد (21900) وإسناده صحيح على شرط الشيخين، ورواه الحميدي (848)، وابن أبي شيبة 101/15، والطيالسي (1346)، والترمذي (2180)، وأبو يعلى (1441)، وعبد الرزاق (20763)، ومن طريق عبد الرزاق أخرجه محمد بن نصر المروزي في "السنة" (38)، والنسائي في "الكبرى" (11185)، والطبري في "تفسيره" 45/9، والطبراني في "الكبير" (3290) وانظر تحقيق المسند ط: الرسالة.

قوله: **(متخذا لذلك المكان)** من قبر أو حجر أو شجر أو منزل أو غير ذلك **(عيدا)** أي يعتاده[1] وينتابه دائما ويختلف إليه **(كفعل عابدي الأوثان)** في تعظيمهم لها وصرفهم لها العبادات واتخاذها عيدا، فعن أبي هريرة t أنه r قال: «لا تتخذوا قبري عيدا»[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وأما الرجل الذي طلب من والده الحج فأمره أن يطوف بنفس الأب فقال طف ببيت ما فارقه الله طرفة عين قط فهذا كفر بإجماع المسلمين، فإن الطواف بالبيت العتيق مما أمر الله به رسوله r ، وأما الطواف بالأنبياء والصالحين فحرام بإجماع المسلمين، ومن اعتقد ذلك دينا فهو كافر سواء طاف ببدنه أو بقبره"[3].

أنواع زيارة القبور:

ثم شرع المصنف في القسم الثاني من هذا الفصل وهو بيان أحكام الزيارة فقال:

ثم الزيارة على أقسام	ثلاثة يا أمة الإسلام
فإن نوى الزائر فيما أضمره	في نفسه تذكرة بالآخره
ثم الدعا له وللأموات	بالعفو والصفح عن الزلات
ولم يكن شد الرحال نحوها	ولم يقل هجرا كقول السفها
فتلك سنة أتت صريحه	في السنن المثبتة الصحيحه
أو قصد الدعاء والتوسلا	بهم إلى الرحمن جل وعلا
فبدعة محدثة ضلالة	بعيدة من هدي ذي الرساله

(1) الصحاح للجوهري 436/1.

(2) أحمد (8804)و رجاله ثقات رجال البخاري سوى عبد الله بن نافع الصائغ المدني وهو من رجال مسلم وقد اختلف فيه ووثقه ابن معين والنسائي والعجلي والخليلي فهو حسن الحديث ورواه أبو داود (2042) وسنده على شرط مسلم كما قال الألباني وله شواهد كثيرة وانظر تحقيق المسند ط: الرسالة.

(3) مجموع الفتاوى 308/2 وانظر 10/27.

قوله **(ثم الزيارة)** أي للقبور **(على أقسام ثلاثة)** سنية وبدعية وشركية ففرقوا بين هذه الأنواع **(يا أمة الإسلام)** ثم شرع المصنف في شرح هذه الأنواع الثلاثة بادئا بالزيارة الشرعية لشرفها فقال **(فإن نوى)** أي قصد وأراد **(الزائر)** للقبور **(فيما أضمره)** أي أخفاه في ضميره وهو قلبه إذ النية محلها القلب والتلفظ بها بدعة **(في نفسه)** أي قلبه وخاطره **(تذكرة)** موعظة واعتبارا **(بالآخرة)** لأنه يعلم أن أصحاب القبور كانوا مثله في هذه الدنيا ثم ها هم قد صاروا إلى الآخرة وهو بهم لاحق، **(ثم)** قصد أيضا **(الدعا)** أي دعاء الله عز وجل **(له)** أي لنفسه **(وللأموات)** الذين يزورهم **(بالعفو)** من الله عز وجل أي محو الذنوب **(والصفح)** المسامحة والمغفرة **(عن الزلات)** أي الهفوات والخطايا، **(و)** الحال أنه **(لم يكن)** ممن **(شد الرحال)** أي سافر قاصدا **(نحوها)** الهاء تعود على القبور لحديث أبي هريرة t أنه r قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد الرسول r ومسجد الأقصى» وفي رواية لمسلم « لاتشدوا ...»[1].

قوله: **(ولم يقل)** أو يفعل **(هُجرا)** بضم الهاء وسكون الجيم الإفحاش في المنطق والخنا وإكثار الكلام فيما لا ينبغي قال الشاعر **(الشماخ)**:

كماجدة الأعراق قال ابن ضرة   عليها كلاما جار فيه وأهجرا[2]

والمعنى لم يقل عند القبر كلاما منهيا عنه ولا ما لا فائدة من اللغو.

قوله **(كـ)** مثل **(قول)** وفعل **(السفها)** من المشركين والمبتدعة والفساق والجهال لحديث أنس بن مالك t قال: قال رسول الله r : «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجرا»[3].

قوله **(فتلك)** إشارة إلى هذه الزيارة المتقدمة **(سنة)** نبوية **(أتت)** جاءت

(1) البخاري (1189) واللفظ له ومسلم (1397) ونحوه حديث أبي سعيد في الصحيحين.

(2) الصحاح للجوهري 682/1.

(3) أحمد (13487) والنسائي (2033) والحاكم 376/1 (1342) و أبو يعلى (3705) وصححه الألباني والأرنؤوط في تحقيقه للمسند 141/21.

(**صريحة**) قولا وفعلا (**في السنن**) أي الأحاديث (**المثبتة**) في دواوين الإسلام (**الصحيحة**) فمنها على سبيل المثال:

* عن أبي هريرة t قال: زار النبي r قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال r : «استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت»[1].

وعن بريدة t قال: قال رسول الله r : «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها» زاد أبو داود: «فإن زيارتها تذكرة»[2].

وعن عائشة g قالت: كان رسول الله r كلما كان ليلتها من رسول الله r يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غدا، مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد» ولم يقل قتيبة قوله: «وأتاكم» زاد أبو داود: «اللهم لا تحرمنا أجورهم ولا تفتنا بعدهم»، ولفظ النسائي: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا وإياكم متواعدون غدا أو مواكلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»[3].

وعن بريدة t قال: كان رسول الله r يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول - في رواية أبي بكر (شيخ مسلم): السلام على أهل الديار - وفي رواية زهير (شيخ مسلم): السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية»[4]. والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

ثم بين النوع الثاني من الزيارة وهي الزيارة البدعية فقال: (**أو قصد الدعاء**) عند القبور أو الصلاة أو الاعتكاف ونحو ذلك (**والتوسلا بهم**) أي قصد التوسل

(1) مسلم [(976)/2259] وأبو داود (3234) والنسائي (101) وابن ماجه (1569).
(2) مسلم [(977)/2260] وأبو داود (3235) والنسائي (2032).
(3) مسلم (974) وأبو داود (3337) والنسائي (2039).
(4) مسلم (975)

بذوات هؤلاء الأموات أو جاههم والألف للإطلاق **(إلى الرحمن جل وعلا)** عما يقوله أهل الضلال **(ف)** حكم هذا النوع أنه **(بدعة محدثة)** مخالفة لدين الإسلام **(ضلالة)** لأنه في الحديث «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»[1].

وفي حديث عائشة g أنه r قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[2].

وهـذه البدعـة **(بعيدة من هدي)** أي منـهج وطريـق **(ذي)** صـاحب **(الرسالة)** r.

ثم بين النوع الثالث وهو الزيارة الشركية فقال: **(وإن دعا)** الزائر **(المقبور نفسه)** أي عينه من دون الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله من إنزال الأمطار وشفاء المرضى وهداية الضال ونحوه من جلب النفع ودفع الضر **(فقد أشرك)** في فعله هذا **(بالله العظيم)** الجليل سبحانه وتعالى عن الشريك والند والظهير **(وجحد)** حق الله في الاختصاص والإفراد والتوحيد بالعبادة كلها قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف 194]، **(لن يقبل الله تعالى)** أي عمل من أعماله **(منه صرفا)** أي النافلة أو التوبة أو الوزن أو الاكتساب والعمل، **(ولا عدلا)** أي فريضة أو الفدية أو الكيل أو الحيلة[3] **(فيعفو عنه)** ذلك لأن عمل الكافر باطل: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان 23]. **(إذ)** للتعليل **(كل ذنب)** وإن عظم **(موشك الغفران)** أي صاحبه داخل في المشيئة فإن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه **(إلا)** ذنبا واحدا وهو **(اتخاذ الند)** أي الشريك والمثيل **(للرحمن)** تعالى عن ذلك علوا كبيرا. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ

---

(1) أبو داود (4607) واللفظ له، والترمذي 112/2 وابن ماجه (42)، وصححه الترمذي والحاكم والذهبي والضياء المقدسي وابن حبان وابن عبد البر والبزار والهروي وابن تيمية والسيوطي والمناوي.

(2) صحيح البخاري (2697)، وصحيح مسلم (1718).

(3) القاموس ص: 744 والصحاح 1059/2

وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء 48]، وقال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة 72].

الخلاصة:

1- التعظيم الزائد الذي لم يأذن الله به خطير وقد يصل إلى الشرك كتقديس بعض البلدات أو الأحجار أو القبور أو المشاهد واتخاذها عيدا كفعل عباد الأوثان.

2- زيارة القبر ثلاثة أنواع:

أ- زيارة سنية القصد منها الاتعاظ بالمقبور والدعاء له ويبتعد الزائر عند القبر عن كل البدع والمخالفات.

ب- زيارة بدعية وهي التي يقصد صاحبها الدعاء والتوسل بصاحب هذا القبر أو ذاك.

ج- زيارة شركية حيث يقوم الزائر بدعاء المزور (المقبور) وطلب الحاجات منه وسؤاله ما لا يقدر عليه إلا الله.

الأسئلة:

1- ما حكم تعظيم القبور والمشاهد والأحجار والأشجار؟!

2- ما هي الزيارة السنية للقبور؟

3- ما الفرق بين زيارة القبور البدعية والشركية؟

4- اذكر بعض الأحاديث التي تجيز زيارة القبور؟.

فصل
في بيان ما وقع فيه العامة اليوم وما يفعلونه عند القبور وما يرتكبونه من الشرك الصريح والغلو المفرط في الأموات

أهم مسائل هذا الفصل:

1- حكم إيقاد السرج على القبور.
2- حكم بناء المساجد على القبور والأضرحة.
3- النهي عن رفع القبور والأمر بتسويتها.
4- التحذير من الإطراء لرسول الله r .
5- النهي عن الغلو في القبور وأصحابها برفع بنائها أو تجصيصها وعقد الألوية والرايات لها والذبح عندها.
6- حكم طلب الحاجات من الأموات.

النص:

وهو سبعة عشر بيتا (17):

1/138	وَمَنْ عَلَى الْقَبْرِ سِراجًا أَوْقَدَا	أَوِ ابْتَنَى عَلَى الضَّرِيحِ مَسْجِدَا
2/139	فَإِنَّهُ مُجَدِّدٌ جِهارًا	لِسُنَنِ الْيَهُودِ والنَّصارَى
3/140	كَمْ حَذَّرَ الْمُخْتارُ مِنْ ذَا وَلَعَنْ	فاعِلَهُ كَمَا رَوَى أَهْلُ السُّنَنْ
4/141	بَلْ قَدْ نَهَى عَنِ ارْتِفاعِ القَبْرِ	وأَنْ يُزادَ فِيهِ فَوْقَ الشِّبْرِ
5/142	وَكُلُّ قَبْرٍ مُشْرِفٍ فَقَدْ أَمَرْ	بِأَنْ يُسَوَّى هَكَذَا صَحَّ الْخَبَرْ
6/143	وَحَذَّرَ الأُمَّةَ عَنْ إطْرائِهِ	فَغَرَّهُمْ إبْلِيسُ باسْتِجْرائِهِ
7/144	فَخالَفُوهُ جَهْرَةً وارْتَكَبُوا	مَا قَدْ نَهَى عَنْهُ وَلَمْ يَجْتَنِبُوا

8/145	فـانْظُرْ إلَـيْهِمْ قَـدْ غَلَـوْا وزادُوا	وَرَفَعُـــوا بِناءَهَـــا وَشَـــادُوا
9/146	بِالشِّـــيدِ والآجُـــرِّ والأَحْجـــارِ	لاَ سِـيَمَا فِـي هَـذِهِ الأَعْصَـارِ
10/147	وَلِلْقَنادِيـــلِ عَلَيْهَـــا أَوْقَـــدُوا	وَكَـمْ لِـواءً فَوْقَهَـا قَـدْ عَقَـدُوا
11/148	وَنَصَـــبُوا الأَعْـــلامَ والرَّايـــاتِ	وافْتَتَنُـــوا بِـــالأَعْظُمِ الرُّفَـــاتِ
12/149	بَلْ نَحَرُوا فِي سُوحِهَا النَّحـائِرْ	فِعْلَ أُولِـي التَّسْيِيبِ والبَحـائِرْ
13/150	والْتَمَسُوا الحاجاتِ مِـنْ مَوْتـاهُمُ	واتَّخَـــذُوا إلَهَهُـــمْ هَـــواهُمُ
14/151	قَدْ صادَهُمْ إبْلِيسُ فِـي فِخاخِـهِ	بَلْ بَعْضُهُمْ قَدْ صارَ مِنْ أَفْراخِـهِ
15/152	يَـــدْعُو إلَـــى عِبـــادَةِ الأَوْثـــانِ	بِالْمـــالِ والـــنَّفْسِ وَبِاللِّســـانِ
16/153	فَلَيْـتَ شِـعْرِي مَـنْ أَبـاحَ ذلِـكْ	وَأَوْرَطَ الأُمَّـــةَ فِـــي الْمَهالِـــكْ
17/154	فَيَـا شَـدِيدَ الطَّـوْلِ والإنْعـامِ	إلَيْـكَ نَشْـكُو مِحْنَـةَ الإسْـلامِ

الشرح:

إيقاد السرج عند القبور وبناء المساجد عليها :

بدأ المصنف بالكلام على إيقاد السرج عند القبور والأضرحة وبناء المساجد عليها فقال:

ومـن علـى القـبر سـراجا أوقـدا	أو ابـتنى علـى الضـريح مسـجدا
فإنـــه مجـــدد جهـــارا	لســنن اليهــود والنصــارى
كـم حـذر المختـار عـن ذا ولعـن	فاعلـه كمـا روى أهـل السـنن
بـل قـد نهـى عـن ارتفـاع القـبر	وأن يــزاد فيــه فــوق الشــبر
وكــل قــبر مشــرف فقــد أمــر	بــأن يسـوى هكـذا صـح الخـبر

قوله **(ومن)** من صيغ العموم فتعم كل مكلف **(على القبر)** متعلق بأوقدا **(سراجا)** أي مصباحا أو قنديلا **(أوقدا)** الألف للإطلاق، أي من أوقد على القبر السراج **(أو ابتنى)** أي بنى وشيد **(على الضريح)** أصله الشق وسط القبر[1]، والمقصود هنا كل

(1) الصحاح للجوهري 343/1.

قبر (**مسجدا**) أو جعل القبر محلا للصلاة ولو لم يبن عليه شيئا (**فإنه**) أي فاعل ذلك (**مجدد**) بفعله ذلك (**جهارا**) أي علنا (**لسنن**) أي طرق وسبل (**اليهود والنصارى**) في اتخاذهم قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد وقد ورد النهي عن البناء على القبور وإيقاد المصابيح عليها في أحاديث كثيرة منها:

عن ابن عباس t قال: «لعن رسول الله r زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج» [1].

وعن أبي هريرة t أن رسول الله r لعن زوارات القبور[2].

وعن عائشة g أن أم سلمة g عنها ذكرت لرسول الله r كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها مارية فذكرت له ما رأت فيها من الصور، فقال رسول الله r : «أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله»[3].

وعن عائشة g وعبد الله بن عباس t قالا: لما نزل برسول الله r طفق يطرح خميصة على وجهه فإذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا[4].

وعن أبي هريرة t أن رسول الله r قال: «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[5].

---

(1) أحمد (2030) وأبو داود (3236) والترمذي (320) واللفظ له وحسنه والنسائي (2043) والحاكم 374/1 والطيالسي 171/1 والبيهقي 78/4 وفيه أبو صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب اسمه باذان أو باذام ضعفه الجمهور ولم يوثقه إلا العجلي بل كذبه إسماعيل بن أبي خالد والأزدي. انظر التهذيب 211/1 وضعف الحديث ابن الملقن وعبد الحق الإشبيلي والألباني في الإرواء (761).

(2) أحمد (8450) ورجاله ثقات غير عمر بن أبي سلمة فهو حسن الحديث، قال في التقريب ص: 351 "صدوق يخطئ" ورواه الترمذي (1056) وابن ماجه (1576) وصححه الترمذي وابن حبان (3178) وله شاهد عن حسان بن ثابت عند أحمد (15657) وابن ماجه (1574) وانظر تحقيق المسند ط: الرسالة.

(3) البخاري (434) واللفظ له ومسلم (528).

(4) البخاري (435) (436) واللفظ له ومسلم (531).

(5) البخاري (437) واللفظ له ومسلم (530).

وعن عائشة g قالت: قال رسول الله r في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» لولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أو خشي أن يتخذ مسجدا[1].

وعن جندب t أنه r قال قبل أن يموت بخمس: «.. ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك»[2].

قوله **(كم)** للتكثير **(حذر المختار)** r **(عن ذا)** الفعل من اتخاذ القبور مساجد والبناء عليها وإيقاد الشموع والأضواء كما تقدمت الأحاديث في ذلك **(ولعن فاعله)** واللعن هو الطرد من رحمة الله **(كما روى أهل السنن)** أي أئمة الحديث في الصحاح والسنن والمسانيد وقد يطلق أهل السنن على أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه فقط.

النهي عن رفع القبور والأمر بتسويتها:

(بل) حرف إضراب **(قد نهى)** r **(عن ارتفاع القبر)** بالبناء أو غيره **(وأن يزاد فيه)** من غير ترابه **(فوق شبر)** خوف ارتفاعه.

فعن جابر t قال نهى رسول الله r أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه» ولفظ النسائي: «نهى رسول الله r أن يبنى على القبر أو يزاد عليه أو يجصص ـ زاد سليمان بن موسى ـ أو أن يكتب عليه» ولفظ الترمذي: «نهى النبي r أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ»[3].

قوله **(وكل قبر مشرف)** أي مرتفع (**فقد أمر)** النبي r **(بأن يسوى)** بالأرض **(هكذا صح الخبر)** عن رسول الله r فعن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب t : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله r أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته»[4].

---

(1) البخاري (1390) واللفظ له ومسلم (529).

(2) مسلم (532).

(3) مسلم (970) واللفظ له وأبو داود (3225) والنسائي (2027) والترمذي (1052).

(4) مسلم (969) واللفظ له.

وعن ثمامة بن شفي قال: كنا مع فضالة بن عبيد t بأرض الروم برودس فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوي ثم قال: سمعت رسول الله r يأمر بتسويتها[1].

النهي عن الغلو والإطراء:

ثم تكلم على النهي عن الإطراء فقال: **(وحذر)** رسول الله r **(الأمة)** التي استجابت له **(عن إطرائه)** أي الغلو فيه كرفعه إلى درجة الألوهية أو إعطائه بعض ما يخص الله تعالى من الصفات والأفعال ، فعن ابن عباس t أنه سمع عمر t يقول على المنبر: سمعت النبي r يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله»[2].

قوله **(فغرهم)** أي خدعهم **(إبليس)** وجنوده **(باستجرائه)** أي استهوائه لهم واستدراجه لهم فعن أنس بن مالك t أن رجلا قال: يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله r : «يا أيها الناس عليكم بتقواكم لا يستهوينكم الشيطان أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله»[3].

وعن عبد الله بن الشخير t قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله r فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «السيد الله تبارك وتعالى» قلنا: وأفضلنا فضلا، وأعظمنا طولا، فقال: «قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان»[4].

قال ابن الأثير: "أي لا يستغلبنكم فيتخذكم جريا أي رسولا ووكيلا وذلك أنهم كانوا مدحوه فكره لهم المبالغة في المدح فنهاهم عنه، يريد تكلموا بما يحضركم من

---

(1) مسلم (968) واللفظ له.

(2) البخاري (3445) واللفظ له ومسلم (1691).

(3) أحمد (12551) وإسناده على شرط مسلم ورجاله رجال الشيخين إلا حماد بن سلمة فهو من رجال مسلم وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (248) وابن حبان (6240) والضياء (1626) وانظر تحقيق المسند ط: الرسالة.

(4) أحمد (16311) وإسناده صحيح على شرط مسلم و رجاله رجال الشيخين سوى الصحابي فهو من رجال مسلم ورواه أبو داود (4806) واللفظ له والنسائي في الكبرى (10075) و البخاري في الأدب المفرد (211) وانظر تحقيق المسند ط: الرسالة.

القول ولا تتكلفوه كأنكم وكلاء الشيطان ورسله تنطقون عن لسانه"[1].

قوله **(فخالفوه)** أي رسول الله r **(جهرة)** أي علنا مخالفة ظاهرة لنصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة **(وارتكبوا)** أي فعلوا متعمدين **(ما قد نهى عنه)** من الغلو والإطراء **(ولم يجتنبوا)** ما نهوا عنه من الشرك والبدع والمعاصي **(فانظر إليهم)** أيها المؤمن وإلى أعمالهم **(قد غلوا)** في أشياخهم وصالحيهم وقبورهم وغير ذلك **(وزادوا)** على ما شرع الله وزادوا في القبور فرفعوها فوق الأرض بل فوق الرأس والعين **(ورفعوا بناءها)** أي بنوا على القبور البناء المرتفع أحيانا حجرات وأحيانا مساجد أو زوايا أو حسينيات **(وشادوا)** أي طلوا ذلك البناء **(بالشيد)** وهو كل شيء طليت به الحائط من جص أو بلاط وبالفتح المصدر تقول: شاده يشيده شيدا: جصصه»[2].

(والآجر) اللبن المحرق **(والأحجار)** المنقوشة المزخرفة، وقد وقع كل ذلك من أمد بعيد ثم انتشر **(لا سيما)** السي المثل وسيان أي مثلان قال امرئ القيس:

ألا رب يوم لك منهن صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل[3]

(في هذه الأعصار) المتأخرة التي صار فيها الدين غريبا وصار المتمسك به كالقابض على الجمر. **(وللقناديل)** وهي الشموع والمصابيح **(عليها)** أي على القبور والمزارات **(أوقدوا)** أشعلوا **(وكم)** للتكثير **(لواء)** أي راية وعلم **(فوقها قد عقدوا)** تعظيما لها ورفعا لمنزلتها في قلوب الناس، **(ونصبوا)** عليها **(الأعلام)** جمع علم وهو الراية **(والرايات)** نصبوها أيضا لا سيما يوم عيدها لأنهم جعلوا لكل واحد من هذه الأضرحة يوم عيد مخالفين بذلك الحديث المتقدم: «لا تتخذوا قبري عيدا» **(وافتتنوا)** أي ضلوا وانحرفوا **(بالأعظم الرفات)** قال الجوهري: الرفات الحطام قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾ [الإسراء 49]،[4] والمعنى أنهم افتتنوا بالعظام البالية في القبور فصاروا يدعونها من دون الله ويستغيثون بها ويقدمون لها النذور والقرابين وينسجون عليها الأساطير **(بل)** وصل بهم الأمر إلى

(1) النهاية في غريب الحديث 264/1.

(2) الصحاح للجوهري: 422/1.

(3) شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري ص: 61 - 62.

(4) الصحاح 242/1.

أن **(نحروا)** وذبحوا **(في سوحها)** جمع ساحة أي الأفنية القريبة منها المخصصة لذلك **(النحائر)** من الإبل والبقر والغنم والطيور ونحو ذلك، وهم يضاهون بذلك **(فعل أولي)** أي أصحاب **(التسييب والبحائر)** قال الجوهري: "والسائبة الناقة التي كانت تسيب في الجاهلية لنذر ونحوه، وقد قيل هي أم البحيرة، كانت الناقة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سيبت فلم تركب ولم يشرب لبنها إلا ولدها أو الضيف حتى تموت فإذا مات أكلها الرجال والنساء جميعا وبحرت أذن بنتها الأخيرة فتسمى البحيرة، بمنزلة أمها في أنها سائبة"[1].

قال العلامة الشوكاني: "ومن المفاسد البالغة إلى حد يرمى بصاحبه إلى وراء حائط الإسلام أن كثيرا منهم يأتي بأحسن ما يملكه من الأنعام وأجود ما يحوزه من المواشي فينحره عند ذلك القبر متقربا به إليه، راجيا ما يضمر حصوله منه، فيهل به لغير الله ويتعبد به لوثن من الأوثان إذ أنه لا فرق بين نحر النحائر لأحجار منصوبة يسمونها وثنا وبين قبر لميت يسمونه قبرا.." [2].

وقال الإمام النووي :"اعلم أن الذبح للمعبود وباسمه نازلة منزلة السجود له وكل واحد منهما نوع من أنواع التعظيم والعبادة المخصوصة بالله تعالى الذي هو المستحق للعبادة فمن ذبح لغيره من حيوان أو جماد كالصنم على وجه التعظيم والعبادة لم تحل ذبيحته وكان فعله كفرا"[3].

قوله: **(والتمسوا)** أي طلبوا **(الحاجات)** دنيوية وأخروية **(من موتاهم)** الذين لم يستطيعوا تغسيل أنفسهم بل هم من غسلهم وحملهم إلى قبورهم وحفر لهم فكيف يسألونهم الحاجات وهم بهذه الدرجة من العجز؟!

(واتخذوا إلههم) أي معبودهم **(هواهم)** أي ما تهوى أنفسهم وتشتهي: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ [الجاثية 23].

قال أبو الوفاء ابن عقيل : " لما صعبت التكاليف على الجهال الطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم

(1) الصحاح 168/1.
(2) شرح الصدور بتحريم رفع القبور ص20.
(3) روضة الطالبين 205/3-206 ط المكتب الإسلامي - بيروت 1405هـ.

يدخلوا بها تحت أمر غيرهم ، قال : وهم كفار عندي بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى الشرع عنه من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالألواح، وكتب الرقاع فيها : يا مولاي افعل بي كذا وكذا وأخذ التراب تبركا"[1].

قال ابن تيمية : "فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين"[2].

قوله: **(قد صادهم)** فصاروا فريسة له **(إبليس)** عليه لعنة الله **(في فخاخه)** شركه وحبالته **(بل بعضهم)** تجاوز ذلك فـ**(قد صار)** أي أصبح **(من أفراخه)** أي أولاده وتلاميذه المطيعين القائمين مقام إبليس في ذلك **(يدعو)** بلسان حاله ولسان مقاله **(إلى عبادة الأوثان)** من المشايخ المألهين والأضرحة المعبودة من دون الله وأصحاب المقامات ومخدمي الجان والسحرة ونحو ذلك **(بالمال)**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال 36]. **(و)** يدعو بـ **(النفس وباللسان)** لسان الحال ولسان المقال.

(فليت شعري) قال الجوهري: ليتني علمت، قال سيبويه: أصله شعرة ولكنهم حذفوا الهاء[3]. **(من أباح)** أي جوز **(ذلك)** العمل المخالف لشرع الله **(وأورط الأمة)** أي أدخلهم في الورطة وهي الهلاك، قال أبو عبيد: وأصل الورطة أرض مطمئنة لا طريق فيها»[4]. **(في المهالك)** الأمور التي تسبب الدمار في الدنيا والخسران في الآخرة. **(فيا شديد الطول)** أي المن يقال منه طال عليه وتطول عليه

(1) تلبيس إبليس ص455.

(2) مجموع الفتاوى 124/1.

(3) الصحاح 570/1.

(4) الصحاح 907/1.

إذا امتن عليه[1]. **(والإنعام)** أي إسباغ النعم التي لا تحصى علينا **(إليك نشكو محنة)** أي مصيبة **(الإسلام)** فردنا إليك ردا جميلا.

الخلاصة:

1- تحريم البناء على القبور وإيقاد السرج والشموع عليها.

2- خطورة بناء المساجد على القبور لأنه سنة اليهود والنصارى، وقد لعن r فاعل ذلك.

3- النهي عن رفع القبور والأمر بتسويتها.

4- التحذير من إطرائه r كما فعلت النصارى فأطرت نبيها حتى ألهته.

5- تحريم بناء القباب والرايات والأعلام على القبور.

6- تحريم الذبح والنحر عندها.

7- التماس الحاجات من القبور من الشرك بالله.

8- فهذه من كيد الشيطان وفخاخه.

الأسئلة:

1- ما حكم البناء على القبور وتجصيصها وإيقاد الشموع عليها؟

2- هل يجوز بناء المسجد على قبر؟

3- هل ترفع القبور أم تسوى؟

4- هل يجوز إطراؤه r ؟

5- هل يجوز دعاء أصحاب القبور والذبح عندها؟

---

(1) الصحاح 1310/2.

فصل
في بيان حقيقة السحر وحد الساحر وأن منه علم التنجيم وذكر عقوبة من صدق كاهنا

وأهم مسائله:

1- حقيقة السحر وأن له تأثيرا.
2- حكم الساحر وحده شرعا.
3- حكم علم النجوم.
4- حكم حل السحر وإبطاله.
5- حكم الكهانة.

النص:

وفيه تسعة أبيات (9):

1/155 والسِّحْرُ حَقٌّ وَلَهُ تَأْثِيرُ … لَكِنْ بِمَا قَدَّرَهُ القَدِيرُ
2/156 أَعْنِي بِذَا التَّقْدِيرِ مَا قَدْ قَدَّرَهْ … فِي الكَوْنِ لاَ فِي الشِّرْعَةِ الْمُطَهَّرَهْ
3/157 واحْكُمْ عَلَى السَّاحِرِ بِالتَّكْفِيرِ … وَحَدُّهُ القَتْلُ بِلاَ نَكِيرِ
4/158 كَمَا أَتَى فِي السُّنَّةِ الْمُصَرَّحَهْ … مِمَّا رَواهُ التِّرْمِذِي وَصَحَّحَهْ
5/159 عَنْ جُنْدُبٍ وَهَكَذَا فِي أَثَرِ … أَمْرٌ بِقَتْلِهِمْ رُوِي[1] عَنْ عُمَرِ
6/160 وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ عِنْدَ مالِكْ … ما فِيهِ أَقْوَى مُرْشِدٍ لِلسَّالِكْ
7/161 هَذَا وَمِنْ أَنْواعِهِ وَشُعَبِهْ … عِلْمُ النُّجُومِ فادْرِ هَذَا وانْتَبِهْ
8/162 وَحَلُّهُ بِالوَحْيِ نَصًّا يُشْرَعُ … أَمَّا بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَيُمْنَعُ
9/163 وَمَنْ يُصَدِّقْ كاهِنًا فَقَدْ كَفَرْ … بِمَا أَتَى بِهِ الرَّسُولُ الْمُعْتَبَرْ

---

(1) بضم الراء وكسر الواو بعدها ياء ساكنة.

الشرح:

حقيقة السحر:

بدأ المصنف بالكلام على حقيقة السحر فقال: **(السحر)** وهو لغة قال الجوهري: "كل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر"[1]. وقال الأزهري: "وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره فكأن الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق وخيل الشيء على غير حقيقته فقد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه"[2]، قال تعالى: ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون 89]، قال الفراء: تصرفون وقيل السحر: إخراج الباطل في صورة الحق وقيل هو الخديعة يقال: سحرت الطفل إذا خدعته، واحتجوا بقول القائل:

فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير في هذا الأنام المسحر

كأنه أراد المخدوع[3].

إذن فأصل السحر إما الصرف وإما الخفاء وإما الخداع، واصطلاحا:

قال الأزهري: "عمل تقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه كان ذلك الأمر كينونة السحر"[4].وقال ابن العربي: "وحقيقته أنه كلام مؤلف يعظم به غير الله تعالى وتنسب إليه المقادير والكائنات"[5].

وقال الغزنوي الحنفي: "أصله طلسم يبني على تأثير خصائص الكواكب كتأثير الشمس في زئبق عصي فرعون أو تعظيم الشياطين ليسهلوا له ما عسر"[6].

وقال القرطبي: "ومنه ما يكون كلاما يحفظ ورقى من أسماء الله تعالى وقد يكون

---

(1) الصحاح للجوهري 554/1.

(2) لسان العرب 348/4 والمفردات للراغب ص: 233.

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ص: 507.

(4) لسان العرب 348/4.

(5) أحكام القرآن لابن العربي 48/1.

(6) تفسير القرطبي 31/2.

من عهود الشياطين ويكون أدوية وأدخنة وغير ذلك" [1].

وخلاصة هذا: أن السحر هو عمل خفي يقوم به الساحر من طلاسم وأوفاق وعهود على زعماء الجن ونحو ذلك مما يفعله الساحر طاعة للشياطين أو تقربا إلى الكواكب.

قوله **(حق)** أي قد حقق وجوده ووقوعه بلا خلاف بين أهل السنة، قال تعالى: ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف 116]، ولأنه r سحر كما في الصحيحين [2]، ولو لم يكن حقيقة لما ترتبت عليه العقوبة في الآخرة، والحد في الدنيا، وهذا قول عامة أهل العلم وقيل هو تخييل لا حقيقة له وبه قال المعتزلة وأبو جعفر الأستراباذي الشافعي وأبو بكر الرازي الحنفي وابن حزم الظاهري [3].

(وله تأثير) فبسببه يمرض المسحور أو يحب أو يكره أو يفرق بينه وبين زوجه قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة 103]، **(لكن)** للاستدراك تأثيره ذلك إنما هو **(بما قدره القدير)** سبحانه وتعالى أي أنه لا تاثير للسحر إلا بمشيئة الله وقضائه وقدره قال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة 103].

(أعني) أي أقصد **(بذا التقدير)** في قولي "بما قدره القدير" **(ما قد قدره في الكون)** وشاءه، أي المقصود هو القضاء الكوني لا الشرعي لذلك قال **(لا في الشرعة المطهرة)** لأن ذلك ممنوع في الشرع.

والمعنى أن السحر لا يؤثر لذاته وإنما يؤثر بقضاء الله وقدره وخلقه وتكوينه لأنه هو الذي يخلق كل شيء: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر 62].

عن عائشة g قالت: سحر رسول الله r رجل من بني زريق يقال له لبيد بن

(1) تفسير القرطبي 32/2.

(2) البخاري (3175) ومسلم (2189).

(3) فتح الباري 2557/3 والمغني لابن قدامة 299/12 والقرطبي 32/1.

الأعصم حتى كان رسول الله r يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا ودعا ثم قال: يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب، قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء، قال: في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر قال: وأين هو، قال: في بئر ذروان فأتاها رسول الله r في ناس من أصحابه فجاء فقال: «يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء وكأن نخلها رؤوس الشياطين قلت: يا رسول الله: أفلا استخرجته؟ قال: قد عافاني الله فكرهت أن أثير على الناس فيه شرا، فأمر بها فدفنت»[1].

عن أبي هريرة t عن النبي r قال: «اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[2].

وعن عمران بن حصين t أنه r قال: «ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له ومن عقد عقدة ـ أو قال عقد عقدة ـ ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد r »[3].

وعن عطية عن أبي سعيد الخدري t أنه r قال: «لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا مؤمن بالسحر ولا قاطع رحم»[4].

---

(1) البخاري (5763) واللفظ له ومسلم (2189).

(2) البخاري (2766) واللفظ له ومسلم (89).

(3) عبد الرزاق (20351) والطبراني في الكبير(14770)وقال الهيثمي 143/5 بعد أن عزاه للبزار: رجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة". وقال المنذري:" إسناده جيد" وحسنه الألباني غاية المرام (289) والصحيحة228/5.

(4)أحمد (11107) في إسناده عطية العوفي وهو ضعيف يدلس تدليس التسوية كما في الكاشف 263/2 والتقريب ص333، ورواه ابن حبان (6137) عن أبي موسى وحسنه بطرقه الألباني في غاية المرام (291) وأعله الدارقطني بالوقف.

حكم الساحر وحده شرعا:

ثم بين حكم الساحر وحده فقال:

واحكم على الساحر بالتكفير	وحده القتل بلا نكير
كما أتى في السنة المصرحه	مما رواه الترمذي وصححه
عن جندب وهكذا في أثر	أمر بقتلهم روي عن عمر
وصح عن حفصة عند مالك	ما فيه أقوى مرشد للسالك

قوله **(واحكم)** أيها المؤمن **(على الساحر)** والذي ثبت شرعا تعاطيه للسحر أو تعلمه له وإن لم يعمل به **(بالتكفير)** أي الحكم عليه بالكفر بسبب ذلك عند عامة أهل السنة والجماعة على تفاصيل كثيرة[1]لقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة 103]، وقوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة 103]، وقوله: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ [يونس 77]، وقوله: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه 69].

ثم بين حده شرعا فقال: **(وحده)** في شرع الله تعالى **(القتل)** بالسيف وما يقوم مقامه **(بلا نكير)** أي بلا إنكار من أحد لأن هذا قول عامة أهل العلم وهو مذهب مالك وأحمد وأبي حنيفة وأبي ثور وإسحاق ورواية عن الشافعي بلا استتابة، وروي عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وجندب بن عبد الله وجندب بن كعب وقيس بن سعد رضي الله عنهم وعمر بن عبد العزيز وغيرهم[2].

والدليل على ذلك جاء في كثير من الأحاديث الصحيحة **(كما أتى)** أي ورد **(في السنة)** النبوية **(المصرحة)** الموضحة بما لا يدع مجالا للشك **(مما رواه الترمذي)** أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي الضرير صاحب السنن والعلل[3] **(وصححه)** موقوفا وأعله مرفوعا في سننه والعلل الكبير **(عن جندب)**

---

(1) المغني 300/12 والقرطبي 32/1 وتبيين المسالك 476/4.

(2) المغني 302/12 وتفسير القرطبي 33/1 ونيل الأوطار 182/7.

(3) معجم البلدان 26/2-27.

t أنه r قال: «حد الساحر ضربة بالسيف»[1]. وأعله بالوقف البخاري والترمذي وأنكره ابن عدي وضعفه البيهقي وابن حجر في الفتح.

(وهكذا) ورد **(في أثر)** موقوف **(أمر بقتلهم)** يعني السحرة **(روي عن عمر)** بن الخطاب أبي حفص والأثر هو عن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة قال: فقتلنا ثلاث سواحر[2].

(وصح) الأثر **(عن حفصة)** بنت عمر بن الخطاب أم المؤمنين **(عند مالك)** في موطئه باب ما جاء في الغيلة والسحر من كتاب العقول **(ما)** أي الذي **(فيه أقوى)** دليل وحجة **(مرشد للسالك)** طريق الحق والأثر هو ما رواه مالك عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة أنه بلغه أن حفصة زوج النبي r قتلت جارية لها سحرتها وقد كانت دبرتها فأمرت بها فقتلت[3] وفي تصحيح المصنف لهذا الأثر نظر.

وعن أبي عثمان النهدي قال: كان عند الوليد رجل يلعب فذبح إنسانا وأبان رأسه فعجبوا فأعاد رأسه فجاء جندب الأزدي فقتله ثم قال: ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء 3][4].

وعن الأسود أن الوليد بن عقبة كان بالعراق يلعب بين يديه ساحر وكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيقوم خارجا، فيرتد إليه رأسه فقال الناس: سبحان الله يحيي الموتى ورآه رجل صالح من المهاجرين فنظر إليه فلما كان من الغد اشتمل على سيفه فذهب يلعب لعبه ذلك فاخترط الرجل سيفه فضرب عنقه

---

(1) عبد الرزاق (18752) والترمذي (1460) والبيهقي (16500) وضعفه والدارقطني (3179) والحاكم 360/4 وصححه ووافقه الذهبي مع أنه من طريق إسماعيل بن مسلم المكي قال الذهبي في المغني 142/1: " ساقط الحديث متروك." وانظر الضعيفة (1446).

(2) أحمد (1657) وإسناده صحيح على شرط البخاري ورواه أبو داود (3043) والطيالسي (225) والبيهقي (16498). وأصله في البخاري (3156) وانظر تحقيق المسند ط: الرسالة.

(3) الموطأ: العقول (باب (19) حديث (14) ص: 663 ووصله البيهقي (16499) من طريق عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر. وقال الهيثمي في المجمع 315/6:"رواه الطبراني 187/23 من رواية إسماعيل بن عياش عن المدنيين وهي ضعيفة وبقية رجاله ثقات."

(4) البخاري في التاريخ الكبير 222/2 والدارقطني 90/3 (3180).

وقال: إن كان صادقا فليحي نفسه، وأمر به الوليد دينارا صاحب السجن فسجنه وأعجبه نحو الرجل فقال: أتستطيع أن تهرب قال: نعم قال: فاخرج لا يسألني الله عنك أبدا»[1].

حكم علم النجوم:

ثم بين حكم علم النجوم لشدة ارتباطه بالسحر بل هو نوع منه فقال:

هـذا ومـن أنواعـه وشـعبه   علـم النجـوم فـادر هـذا وانتبـه

قوله **(هذا)** للاستفتاح **(ومن أنواعه)** يعني السحر **(وشعبه)** فروعه وأجزائه **(علم النجوم)** المقصود به الذين يعتقدون تأثير النجوم ومنهم من يتقرب إليها ومنهم من يعتقد أنها تأتي بالأمطار والرياح ونحو ذلك، ومنهم من يعمل جداول وأوفاقا ويعتقد لها تأثيرا بحسب حركة الكواكب والنجوم ومنهم من يعتقد أن حركتها دليل على الخير أو الشر، وهذا هو دين الصابئة[2]. **(فادر)** اعلم **(هذا)** الحكم **(وانتبه)** لذلك ولا تغتر بكثرة الهالكين قال ابن أبي العز: "واتفقوا كلهم على أن ما كان من جنس دعوة الكواكب السبعة أو غيرها أو خطابها أو السجود لها والتقرب إليها بما يناسبها من اللباس والخواتيم والبخور ونحو ذلك فإنه كفر وهو من أعظم أبواب الشرك"[3]. والمصنف كأنه يشير إلى حديث ابن عباس t عن النبي r قال: « ما اقتبس رجل علما من النجوم إلا اقتبس بها شعبة من السحر، ما زاد زاد»[4].

---

(1) البيهقي في الكبرى (16502).

(2) شرح الطحاوية ص: 503-505 ومختصر معارج القبول ص: 168 وتيسير العزيز الحميد ص: 327.

(3) شرح الطحاوية ص: 505 وتيسير العزيز الحميد ص: 327.

(4) أحمد (2000) ورجاله ثقات رجال الشيخين غير الوليد بن عبد الله بن أبي مغيث وهو ثقة روى له أبوداود وابن ماجه، والحديث رواه أبو داود(3905) وابن ماجه (3726) وابن أبي شيبة 602/8 وانظر تحقيق المسند ط: الرسالة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فقد صرح رسول الله r بأن علم النجوم من السحر وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه (69)] وهكذا الواقع فإن الاستقراء يدل على أن أهل النجوم لا يفلحون لافي الدنيا ولا في الآخرة"(1).

عن زيد بن خالد t قال: خرجنا مع رسول الله r عام الحديبية فأصابنا مطر ذات ليلة فصلى لنا رسول الله r الصبح ثم أقبل علينا فقال: أتدرون ماذا قال ربكم، قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: قال الله أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال: مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله فهو مؤمن بي ومن قال: مطرنا بنجم كذا وكذا فهو مؤمن بالكوكب كافر بي»(2).

وعن ابن عباس t قال: قال رسول الله r : «من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»(3).

عن أبي محجن t أنه r قال: «أخاف على أمتي بعدي ثلاثا حيف الأئمة وإيمان النجوم وتكذيب القدر»(4).

وعن طاوس عن ابن عباس t في قوم ينظرون في النجوم: «أولئك لا خلاق لهم»(5).

حكم إبطال السحر:

ثم بين حكم إبطال السحر فقال:

وحله بالوحي نصا يشرع   أما بسحر مثله فيمنع

قوله **(وحله)** أي إبطال السحر عن المسحور **(بـ)** قراءة **(الوحي)** كتابا أو سنة أو

(1) مجموع الفتاوى 193/35.

(2) البخاري (4147) واللفظ له ومسلم (71).

(3) أحمد (2840) و(2000) وإسناده صحيح رجاله رجال الشيخين غير الوليد بن عبد الله بن أبي مغيث وهو ثقة من رجال أبي داود وابن ماجه، ورواه ابن أبي شيبة 602/8 وأبو داود (3905) وابن ماجه (3726) وصححه النووي والذهبي وانظر تحقيق المسند ط: الرسالة.

(4) الروياني (1245) و ابن عساكر (1/308/16) و ابن عبد البر في الجامع ص: 298 وحسنه السيوطي والمناوي والألباني في الصحيحة 119/3.

(5) ابن أبي شيبة 414/8 بسند صحيح.

بدعاء الله عز وجل **(نصا)** أي أنه ثابت بالنص أنه **(يشرع)** أي يجوز شرعا إجماعا ومن أعظم ما يرقى به شرعا الفاتحة وآية الكرسي والمعوذات والبقرة وكل القرآن الكريم والأدعية الثابتة عنه r .

فعن عائشة g أن النبي r كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن وأمسح بيد نفسه لبركتها[1].

وعن أبي سعيد الخدري t أن ناسا من أصحاب النبي r أتوا على حي من أحياء العرب فلم يقروهم، فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك فقالوا: هل معكم من دواء أو راق؟ فقالوا: إنكم لم تقرونا ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلا فجعلوا لهم قطيعا من الشاء فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بزاقه ويتفل فبرأ فأتوا بالشاء فقالوا: لا تأخذه حتى تسأل النبي r فسألوه فضحك وقال: «وما أدراك أنها رقية خذوها واضربوا لي بسهم»[2].

وعن عائشة g قالت: كان النبي r يقول في الرقية: «بسم الله تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا»[3].

وعنها g أن النبي r كان يعوذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: «اللهم رب الناس أذهب البأس واشفه أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما»[4].

قوله **(أما)** حل السحر وإبطاله عن المسحور **(بسحر مثله)** في كونه سحرا **(فيمنع)** شرعا لما فيه من الإقرار على السحر والتقرب إلى الشيطان ومعصية الرحمن.

عن جابر بن عبدالله قال: سئل رسول الله r عن النشرة فقال: «هو من عمل الشيطان»[5]، يعني إزالة السحر بسحر آخر أو رقى أهل الجاهلية

(1) البخاري (5735) واللفظ له ومسلم (2192).

(2) البخاري (5736) واللفظ له ومسلم (2201).

(3) البخاري (5746) ومسلم (2194).

(4) البخاري (5743) ومسلم (2191).

(5) أبو داود(3868) واللفظ له وأحمد (14135) وإسناده صحيح رجاله رجال الشيخين سوى عقيل بن معقل بن منبه اليماني وهو ثقة روى له أبو داود، لذلك قوى الحديث ابن مفلح وابن حجر والألباني وانظر تحقيق المسند ط: الرسالة.

المخالفة للإسلام[1].

وقال الحسن البصري: لا يحل السحر إلا ساحر.

قال ابن العربي المالكي : "فإن تعلق قرآنا فإنه وإن كان تقاة لكنه ليس من طريق السنة وإنما السنة فيه الذكر دون التعليق وقد قيل للنبي r ألا تنشرت ، ويسمي الناس النشرة كتابا يوضع في إناء ثم يغسل ويشرب وهي بدعة من الشيطان، وقد قال الحسن النشرة من السحر، يعني أنه عمل لا يجوز"[2].

عن أبي الجناب عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي ليلى قال: كنت جالسا عند النبي r إذ جاءه أعرابي فقال: إن لي أخا وجعا قال: «ما وجع أخيك» قال: به لمم، قال: «اذهب فائتني به» قال: فذهب فجاء به فأجلسه بين يديه فسمعته عوذه بفاتحة الكتاب وأربع آيات من أول البقرة وآيتين من وسطها: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل 22]، وآية الكرسي وثلاث آيات من خاتمتها وآية من آل عمران أحسبه قال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران 18]، وآية من الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأعراف 54]، الآية، وآية من المؤمنين: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ [المؤمنون 117]، وآية من الجن: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن 3]، وعشر آيات من أول الصافات وثلاث آيات من آخر الحشر، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص 1]، والمعوذتين فقام الأعرابي قد برأ ليس به بأس». وفي رواية الحاكم: «فقام الرجل كأنه لم يشك شيئا قط» وقال الحاكم: "قد احتج الشيخان برواة هذا الحديث كلهم عن آخرهم غير أبي جناب الكلبي والحديث محفوظ صحيح ولم يخرجاه"[3].

---

(1) مرقاة المفاتيح 8/320- 321.

(2) عارضة الأحوذي 4/396.

(3) أحمد (21174) و ابن ماجه (3549) واللفظ له والحاكم (8440) 5/ 2353 وصححه!! وتعقبه الذهبي بقوله "أبو الجناب ضعفه الدارقطني ، والحديث منكر "وقال الهيثمي 5/140: "رواه أبويعلى (1591) وفيه من لم يسم وأبو الجناب وهو ضعيف لتدليسه ووثقه ابن حبان". والحديث ضعيف لضعف أبي الجناب وهو يحي بن أبي حية الكلبي واضطرابه في إسناده .

حكم الكهانة:

ثم بين حكم الكهان فقال:

ومن يصدق كاهنا فقد كفر بما أتى به الرسول المعتبر

(ومن يصدق كاهنا) قال ابن الأثير: الكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعى معرفة الأسرار[1].

وبعضهم يستخدم الخط في الرمل أو يقرأ خطوط الكف أو يستعين بالودع أو البعر أو الفنجان أو غير ذلك من مدعي علم الغيب والأصل فيه استراق الجن السمع من كلام الملائكة، فتلقيه في أذن الكاهن[2].

والمعنى أن من اعتقد صدق الكاهن في إخباره عن المغيبات **(فقد كفر)** والعياذ بالله **(بما)** أي الذي **(أتى به)** أي جاء به **(الرسول)** r **(المعتبر)** من كتاب أو سنة تبين أن الغيب لا يعلمه إلا الله مثل: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل 65]، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران 179]، و﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن 26]، وقوله: ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ [النجم 35]، وقوله: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان 34]، وقوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام 59].

عن أبي هريرة t أنه r قال: «من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد r »[3].

وعن عبد الله بن مسعود t قال: قال رسول الله r : «من أتى كاهنا أو ساحرا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد r »[4].

(1) النهاية في غريب الحديث 214/4.

(2) تيسير العزيز الحميد ص: 300.

(3) أحمد (9536) وعبد الرزاق (20348) والحاكم 8/1 وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي والعراقي والألباني في الصحيحة (3387) ووهم من عزاه لأصحاب السنن كابن حجر في الفتح وصاحب كتاب التوحيد.

(4) البزار (2067) وأبو يعلى (5408) وقواه المنذري والهيثمي.

وعن عمران بن حصين t أنه r قال: «ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد r »[1]،

فإن لم يصدقه لم تقبل صلاته مدة أربعين يوما، فعن بعض أزواج النبي r عن النبي r قال: «من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»[2].

الخلاصة:

1- السحر حق وله تأثير بإذن الله تعالى فيفرق بين المرء وزوجه مثلا.
2- الساحر كافر وحكمه القتل عند جمهور العلماء، وكذلك متعلم السحر ولو لم يمارسه.
3- ورد قتل الساحر عن عمر t وحفصة g وغيرهم من الصحابة.
4- من أنواع السحر وشعبه علم النجوم حيث يعتقدون تأثيرها في الكون ويتقربون إليها.
5- لا يجوز حل السحر بالسحر وإنما يعالج بالوحي كتابا وسنة وبالدعاء والتضرع لله تعالى.
6- الكهانة محرمة ومن صدق الكاهن فقد كفر بما أنزل على محمد r ومن سأله ولم يصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما.

---

(1)عبد الرزاق (20351) والطبراني في الكبير(14770)وقال الهيثمي 143/5 بعد أن عزاه للبزار: رجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة". وقال المنذري:" إسناده جيد" وحسنه الألباني في غاية المرام (289) والصحيحة228/5.

(2) أحمد (3210) ومسلم (2228).

فصل:
يجمع معنى حديث جبريل المشهور في تعليمنا الدين، وأنه ينقسم إلى ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان وبيان أركان كل منها:

أهم مسائله:

1- الدين قول وعمل.
2- بيان مراتب الدين الإسلامي.
3- أركان الإسلام الخمسة وبيان كل منها.
4- شرح أركان الإيمان الستة بالتفصيل.
5- إيضاح مرتبة الإحسان.

النص:

وفيه اثنان وستون بيتا (62):

1/164	اعْلَـمْ بِـأَنَّ الـدِّينَ قَـوْلٌ وَعَمَـلْ	فاحْفَظْهُ وافْهَمْ مَا عَلَيْهِ ذَا اشْتَمَلْ
2/165	كَفَـاكَ مَـا قَـدْ قالَـهُ الرَّسُـولُ	إِذْ جـــاءَهُ يَسْـــأَلُهُ جِبْرِيــــلُ
3/166	عَلَــى مَراتِــبَ ثَــلاثٍ فَصَّــلَهْ	جـاءَتْ عَلَـى جَمِيعِـهِ مُشْـتَمِلَهْ
4/167	الاسْـلامِ والإِيمَــانِ والإِحْسَــانِ	والكُــلُّ مَبْنِــيٌّ عَلَــى أَرْكَــانِ
5/168	فَقَـدْ أَتَـى الإسْـلامُ مَبْنِيًّـا عَلَـى	خَمْسٍ فَحَقِّقْ وادْرِ مَـا قَـدْ نُقِـلاَ
6/169	أَوَّلُهَا الـرُّكْنُ الأَسـاسُ الأَعْظَـمُ	وَهْوَ الصِّراطُ الْمُسْتَقِيمُ الأَقْـوَمُ
7/170	رُكْنُ الشَّهادَتَيْنِ فاثْبُتْ واعْتَصِمْ	بالعُرْوَةِ الوُثْقَى التِـي لاَ تَنْفَصِـمْ
8/171	وَثانِيًـــا إِقامَــــةُ الصَّــــلاةِ	وثالِثًــــا تَأْدِيَــــةُ الزَّكَــــاةِ
9/172	والرَّابِـعُ الصِّيامُ فاسْـمَعْ واتَّبِـعْ	والْخامِسُ الْحَجُ عَلَى مَنْ يَسْـتَطِعْ
10/173	فَتِلْــــكَ خَمْسَــــةٌ وَلِلإيمَــــانِ	سِــــتَّةُ أَرْكَــــانٍ بِــــلاَ نُكْــــرانِ

11/174 إيمانُنَــا بِــااللهِ ذِي الْجَــلالِ ... وَمَـا لَـهُ مِـنْ صِـفَةِ الكَمَـالِ

12/175 وَبِالْمَلائِـكِ الكِـرامِ البَـرَرَهْ ... وَكُتْبِـهِ الْمُنْزَلَـةِ الْمُطَهَّـرَهْ

13/176 وَرُسْـلِهِ الْهُـداةِ للأنـامِ ... مِـنْ غَيْـرِ تَفْرِيـقٍ وَلاَ إِيهـامِ

14/177 أَوَّلُهُـمْ نُـوحٌ بِـلاَ شَـكٍّ كَمَـا ... أَنَّ مُحَمَّـدًا لَهُـمْ قَـدْ خَتَمَـا

15/178 وَخَمْسَةٌ مِنْهُمْ أُولُو العَـزْمِ الأُلَـى ... فِي سُورَةِ الأَحْزابِ والشُّورَى تَلاَ

16/179 وَبِالْمَعـادِ ايْقِـنْ بِـلاَ تَـرَدُّدِ ... وَلاَ ادِّعَـا عِلْـمٍ بِوَقْـتِ الْمَوْعِـدِ

17/180 لَكِنَّنَـا نُـؤْمِنُ مِـنْ غَيْـرِ امْتِـرَا ... بِكُلِّ مَا قَدْ صَحَّ عَنْ خَيْرِ الـوَرَى

18/181 مِـنْ ذِكْـرِ آيـاتٍ تَكُـونُ قَبْلَهَـا ... وَهْـيَ عَلامـاتٌ وَأَشْـراطٌ لَهَـا

19/182 وَيَـدْخُلُ الإِيمـانُ بِـالْمَوْتِ وَمَـا ... مِـنْ بَعْـدِهِ عَلَـى العِبـادِ حُتِمَـا

20/183 وَأَنَّ كُـلاًّ مُقْعَـدٌ مَسْـؤُولُ ... مَا الرَّبُّ مَا الدِّينُ وَمَا الرَّسُـولُ

21/184 وَعِنْـدَ ذَا يُثَبِّـتُ الْمُهَـيْمِنُ ... بِثابِـتِ القَـوْلِ الـذِينَ آمَنُـوا

22/185 وَيُـوقِنُ الْمُرْتـابُ عِنْـدَ ذلِـكْ ... بِأَنَّمَـا مَـوْرِدُهُ الْمَهالِـكْ

23/186 وَبِاللِّقَـا[1] والبَعْـثِ والنُّشُـورِ ... وَبِقِيامِنَـا مِـنَ القُبُـورِ

24/187 غُـرْلاً حُفـاةً كَجَـرادٍ مُنْتَشِـرْ ... يَقُولُ ذُو الكُفْـرانِ ذَا يَـوْمٌ عَسِـرْ

25/188 وَيُجْمَـعُ الْخَلْـقُ لِيَـوْمِ الفَصْـلِ ... جَمِـيعُهُمْ عُلْـوِيُّهُمْ والسُّـفْلِي

26/189 فِـي مَوْقِـفٍ يَجِـلُّ فِيـهِ الْخَطْـبُ ... وَيَعْظُـمُ الْهَـوْلُ بِـهِ والكَـرْبُ

27/190 وَأُحْضِـرُوا لِلعَـرْضِ والْحِسـابِ ... وانْقَطَعَـتْ عَلائِـقُ الأَنْسـابِ

28/191 وارْتَكَمَـتْ سَـحائِبُ الأَهْـوالِ ... وانْعَجَـمَ البَلِيـغُ فِـي الْمَقـالِ

29/192 وَعَنَـتِ الوُجُـوهُ لِلقَيُّـومِ ... واقْتُصَّ مِنْ ذِي الظُّلْمِ لِلمَظْلُـومِ

30/193 وَسـاوَتِ الْمُلُـوكُ لِلأَجْنـادِ ... وَجِـيءَ بِالكِتـابِ والأَشْـهادِ

31/194 وَشَـهِدَتْ الاَعْضـاءُ والْجَـوارِحْ ... وَبَـدَتِ السَّـوْءاتُ والفَضـائِحْ

32/195 وابْتُلِيَـتْ هُنالِـكَ السَّـرائِرْ ... وانْكَشَفَ الْمَخْفِيُّ فِي الضَّـمائِرْ

(1) بالقصر للوزن.

33/196 وَنُشِرَتْ صَحائِفُ الأعْمالِ ... تُؤْخَذُ بالیَمِینِ والشِّمالِ

34/197 طُوبَى لِمَنْ یَأْخُذُ بالیَمِینِ ... كِتابَهُ بُشْرَى بِحُورٍ عِینِ

35/198 والوَیْلُ لِلآخِذِ بالشِّمالِ ... وَراءَ ظَهْرٍ لِلجَحِیمِ صالِ

36/199 والوَزْنُ بِالقِسْطِ فَلاَ ظُلْمَ وَلاَ ... یُؤْخَذُ عَبْدٌ بِسِوَى مَا عَمِلاَ

37/200 فَبَیْنَ ناجٍ راجِحٍ میزانُهُ ... وَمُقْرِفٍ أَوْبَقَهُ عُدْوانُهُ

38/201 وَیُنْصَبُ الْجِسْرُ بِلاَ امْتِراءِ ... كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الأَنْباءِ

39/202 یَجُوزُهُ النَّاسُ عَلَى أَحْوالِ ... بِقَدْرِ كَسْبِهِمْ مِنَ الأَعْمالِ

40/203 فَبَیْنَ مُجْتازٍ إِلَى الْجِنانِ ... وَمُسْرِفٍ یُكَبُّ فِي النِّیرانِ

41/204 والنَّارُ والْجَنَّةُ حَقٌّ وَهُمَا ... مَوْجُودَتانِ لاَ فَناءَ لَهُمَا

42/205 وَحَوْضُ خَیْرِ الْخَلْقِ حَقٌّ وَبِهِ ... یَشْرَبُ فِي الأُخْرَى جَمِیعُ حِزْبِهِ

43/206 كَذَا لَهُ لِواءُ حَمْدٍ یُنْشَرُ ... وَتَحْتَهُ الرُّسْلُ جَمِیعًا تُحْشَرُ

44/207 كَذَا لَهُ الشَّفاعَةُ الْعُظْمَى كَمَا ... قَدْ خَصَّهُ اللهُ بِهِ تَكَرُّمَا

45/208 مِنْ بَعْدِ إِذْنِ اللهِ لاَ كَمَا یَرَى ... كُلُّ قُبُورِيٍّ عَلَى اللهِ افْتَرَى

46/209 یَشْفَعُ أَوَّلاً إِلَى الرَّحْمَنِ فِي ... فَصْلِ الْقَضَاءِ بَیْنَ أَهْلِ الْمَوْقِفِ

47/210 مِنْ بَعْدِ أَنْ یَطْلُبَهَا النَّاسُ إِلَى ... كُلِّ أُولِي الْعَزْمِ الْهُداةِ الْفُضَلاَ

48/211 وَثانِیًا یَشْفَعُ فِي اسْتِفْتَاحِ ... دارِ النَّعِیمِ لأُولِي الْفَلاحِ

49/212 هَذَا وَهاتانِ الشَّفاعَتانِ ... قَدْ خُصَّتَا بِهِ بِلاَ نُكْرانِ

50/213 وَثالِثًا یَشْفَعُ فِي أَقْوامِ ... ماتُوا عَلَى دِینِ الْهُدَى الإِسْلامِ

51/214 وَأَوْبَقَتْهُمْ كَثْرَةُ الآثامِ ... فَأُدْخِلُوا النَّارَ بِذَا الإِجْرامِ

52/215 أَنْ یَخْرُجُوا مِنْهَا إِلَى الْجِنانِ ... بِفَضْلِ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي الإِحْسانِ

53/216 وَبَعْدَهُ یَشْفَعُ كُلُّ مُرْسَلِ ... وَكُلُّ عَبْدٍ ذِي صَلاحٍ وَوَلِي

54/217 وَیُخْرِجُ اللهُ مِنَ النِّیرانِ ... جَمِیعَ مَنْ ماتَ عَلَى الإِیمانِ

55/218 فِي نَهَرِ الْحَیاةِ یُطْرَحُونَا ... فَحْمًا فَیَحْیَوْنَ وَیَنْبُتُونَا

56/219 كَأَنَّمَـا يَنْبُـتُ فِـي هَيْئاتِـهِ ... حَبُّ حَمِيلِ السَّيْلِ فِي حافاتِهِ

57/220 والسَّـادِسُ الإيمـانُ بِالأَقْـدارِ ... فَـأَيْقِنَنْ بِهَـا وَلاَ تُمـارِ

58/221 فَكُـلُّ شَـيْءٍ بِقَضـاءٍ وَقَـدَرْ ... والكُلُّ فِي أُمِّ الْكِتابِ مُسْتَطَرْ

59/222 لاَ نَـوْءَ لاَ عَـدْوَى وَلاَ طَيْـرَ وَلاَ ... عَمَّا قَضَى اللهُ تَعالَى حِوَلاَ

60/223 لاَ غُـولَ لاَ هامَـةَ لاَ وَلاَ صَـفَرْ ... كَمَا بِذَا أَخْبَرَ سَيِّدُ الْبَشَرْ

61/224 وَثالِـثٌ مَرْتَبَـةُ الإحْسـانِ ... وَتِلْكَ أَعْلاهَا لَدَى الرَّحْمَنِ

62/225 وَهْيَ رُسُوخُ الْقَلْبِ فِي الْعِرْفانِ ... حَتَّى يَكُونَ الْغَيْبُ كَالْعِيانِ

تمهيد:

هذا الفصل عظيم الفائدة لأنه يشمل مراتب الدين كما وردت في حديث جبريل المشهور وهو ما رواه مسلم من طريق عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال بالقدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله r فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت: يا أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف، قال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله r ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي r فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد: أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله r : «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله r وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان

وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا» قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال: صدقت قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: «أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان» قال: ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي يا عمر: «أتدري من السائل»؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[1].

مراتب الدين:

بدأ الناظم ببيان مراتب الدين الثلاثة فقال:

اعلم بأن الدين قول وعمل	فاحفظه وافهم ما عليه ذا اشتمل
كفاك ما قد قاله الرسول	إذ جاءه يسأله جبريل
على مراتب ثلاث فصله	جاءت على جميعه مشتمله
الاسلام والإيمان والإحسان	والكل مبنيا على أركان

قوله: **(اعلم)** أيقن أيها المسلم **(بأن الدين)** الإسلامي الذي لا يقبل الله سواه ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران 19]، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران 85]. هو **(قول)** باللسان **(وعمل)** أي فعل وهو يشمل عمل القلب وهو الاعتقاد الجازم وعمل الجوارح امتثالا لأمر الله واجتنابا لنهيه وعليه فالأعمال داخلة في مسماه وهذا هو المنقول عن السلف وهو الحق الذي لا شك فيه، ثبت ذلك عن عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وأبي الدرداء وجابر بن عبد الله y وغيرهم من علماء الصحابة والحسن وعمر بن عبد العزيز وسعيد بن جبير

(1) مسلم(8) كتاب الإيمان ح (1) وأبو داود (4695) والترمذي (2610) والنسائي (4990) وابن ماجه (63) ونحوه من حديث أبي هريرة مختصرا عند البخاري (50) ومسلم (9).

وزيد بن أسلم ومجاهد وهشام بن حسان ووهب بن منبه وعبيد الله بن عبد الله بن عمر وغيرهم، ومالك بن أنس وابن الماجشون والليث بن سعد والأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز وابن جريج وسفيان بن عيينة وفضيل بن عياض ونافع بن عمر الجمحي ومحمد بن مسلم الطائفي والمثنى بن الصباح ومحمد بن إدريس الشافعي وعبد الله بن الزبير الحميدي وأبي إبراهيم المزني وسفيان بن سعيد الثوري وشريك بن عبد الله وأبي بكر بن عياش ووكيع وحماد بن سلمة وحماد بن زيد ويحيى بن سعيد القطان وعبد الله بن المبارك وأبي إسحاق الفزاري والنضر بن محمد المروزي والنضر بن شميل وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي ثور وأبي عبيد وغيرهم كثير[1].

وقال الحميدي سمعت وكيعا يقول: أهل السنة يقولون: الإيمان قول وعمل[2].

وقال أحمد بن حنبل: إن مالك بن أنس وابن جريج وشريكا وفضيل بن عياض قالوا: الإيمان قول وعمل[3]، وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم[4].

قال محمد بن إسماعيل البخاري: "كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة ولم أكتب إلا عمن قال: الإيمان قول وعمل ولم أكتب عمن قال: الإيمان قول"[5].

قال ابن عبد البر: "أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"[6].

---

(1) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة 473/1 فما بعدها والتمهيد لابن عبد البر 211/4 ومجموع الفتاوى 144/7 و330/7 فما بعدها والسنة لعبد الله بن الإمام أحمد 307/1-317 وفتح الباري 274/1 وشرح الطحاوية ص: 332.

(2) السنة للالكائي (1585).

(3) السنة للالكائي (1589) والسنة لعبد الله بن الإمام أحمد 317/1.

(4) جامع العلوم والحكم ص: 59 ومجموع الفتاوى 308/7.

(5) السنة للالكائي (1597) وصححه ابن حجر في الفتح 274/1.

(6) التمهيد لابن عبد البر 207/4 ومجموع الفتاوى 330/7.

وخالفت في ذلك الفرق الضالة على عدة أقوال:

- إقرار باللسان وتصديق بالقلب والأعمال شرط فقط: مرجئة الفقهاء كأبي حنيفة.

- تصديق بالقلب وإقرار اللسان ركن زائد ليس بأصلي: الماتريدية وروي عن أبي حنيفة.

- الإقرار باللسان فقط: الكرامية.

- المعرفة بالقلب فقط: الجهمية وابو الحسن الصالحي[1].

قال ابن رجب: "وقد أنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكارا شديدا وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولا محدثا سعيد بن جبير وميمون بن مهران وقتادة وأيوب السختياني وإبراهيم النخعي والزهري ويحيى بن أبي كثير وغيرهم، وقال الثوري: هو رأي محدث أدركنا الناس على غيره وقال الأوزاعي: كان من مضى ممن سلف لا يفرقون بين الإيمان والعمل"[2].

(فاحفظه) أي احفظ هذا المذهب الذي عليه أهل السنة **(وافهم)** بتدبر وتأمل **(ما)** الذي **(عليه ذا)** القول الصائب أن الإيمان قول وعمل **(اشتمل)** أي احتوى فهو الموافق للكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة المهتدين.

(كفاك) من الأدلة على ذلك **(ما)** الذي **(قد قاله الرسول)** r **(إذ جاءه)** من أجل أن **(يسأله)** أمام الصحابة عن مراتب الإسلام **(جبريل)** عليه السلام حيث قسم له الدين **(على مراتب)** عددها **(ثلاث فصله)** في أجوبته لجبريل بحضرة الصحابة رضي الله عنهم **(جاءت على جميعه)** أي كل الدين **(مشتملة)** محتوية، لذلك قال النبي r : «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم». أولاها **(الإسلام و)** الثانية مرتبة **(الإيمان)** وهي الوسطى **(و)** الثالثة مرتبة **(الإحسان)** وهي أعلاها

(1) شرح الطحاوية ص: 332.

(2) جامع العلوم والحكم ص: 59.

(والكل) من هذه المراتب **(مبنيا على أركان)** وسيأتي بيان كل مرتبة وتوضيح أركانها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "جعل النبي r الدين ثلاث درجات: أعلاها الإحسان وأوسطها الإيمان ويليه الإسلام فكل محسن مؤمن وكل مؤمن مسلم وليس كل مؤمن محسنا ولا كل مسلم مؤمنا"[1].

وقال: "وأما الإحسان فهو أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أصحابه من الإيمان، والإيمان أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أصحابه من الإسلام، فالإحسان يدخل في الإيمان والإيمان يدخل في الإسلام، والمحسنون أخص من المؤمنين والمؤمنون أخص من المسلمين"[2].

المرتبة الأولى : الإسلام

وهو لغة الانقياد والإذعان والخضوع[3].

وله في الشرع إطلاقان:

أ- إذا انفرد كان شاملا للدين كله مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران 19]، وقوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة 3]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران 85].

ب- إذا اجتمع بالإيمان أو ما في معناه أريد به الأعمال والأقوال الظاهرة مثل: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات 14]، وحديث جبريل المتقدم[4].

---

(1) مجموع الفتاوى 7/7.

(2) مجموع الفتاوى 10/7.

(3) الصحاح للجوهري 1442/2 ومفردات القرآن ص: 248.

(4) مجموع الفتاوى 259/7 و411/7 و551/7.

أركان الإسلام الخمسة:

وقد بين الناظم أركانه الخمسة بقوله:

فقد أتى الإسلام مبنيا على	خمس فحقق وادر ما قد نقلا
أولها الركن الأساس الأعظم	وهو الصراط المستقيم الأقوم
ركن الشهادتين فاثبت واعتصم	بالعروة الوثقى التي لا تنفصم
وثانيا إقامة الصلاة	وثالثا تأدية الزكاة
والرابع الصيام فاسمع واتبع	والخامس الحج على من يستطع

هذه هي أركان الإسلام الخمسة وهي منقسمة إلى قسمين:

أ- قولية وهي الشهادتان فقط.

ب- فعلية: وهي الصلاة والزكاة والصوم والحج.

وهي باعتبار آخر ثلاثة أنواع:

أ- بدنية وهي الصلاة والصوم.

ب- مالية: وهي الزكاة.

ج- بدنية مالية: وهي الحج.

قوله **(فقد)** حرف تحقيق **(أتى)** دين **(الإسلام)** حال كونه **(مبنيا على)** دعائم وأسس وأركان **(خمس)** باعتبار الشهادتين ركنا واحدا **(فحقق)** اعرف الحق وتأكد منه **(وادر)** اعلم واعرف **(ما)** الذي **(قد نقلا)** فهذا كله إنما هو ثابت بالنقل الصحيح وقد وردت هذه الأركان بعضها أو كلها في عدة أحاديث منها:

- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان»[1].

---

(1) البخاري (8) واللفظ له ومسلم (16).

عن طلحة بن عبيد الله t قال: جاء رجل إلى رسول الله r من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله r : «خمس صلوات في اليوم والليلة» فقال: هل علي غيرها؟ قال: «لا إلا أن تطوع» قال رسول الله r : «وصيام رمضان» قال: هل علي غيره؟ قال: «لا إلا أن تطوع» قال: وذكر له رسول الله r الزكاة، قال: هل علي غيرها، قال: «لا إلا أن تطوع» قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، قال رسول الله r : «أفلح إن صدق»[1].

عن أبي هريرة t قال: كان النبي r بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث» قال: ما الإسلام؟ قال: «الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان» قال: ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قال: متى الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربتها وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان في خمس لا يعلمهن إلا الله» ثم تلا النبي r : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان 34] الآية ثم أدبر فقال: «ردوه؟» فلم يروا شيئا، قال: «هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم»[2].

ثم شرع يشرح الأركان واحدا بعد الآخر فقال: **(أولها)** أي أركان الإسلام **(الركن)** ركن الشيء جانبه الأقوى قاله الجوهري، وقال الراغب: ركن الشيء جانبه الذي يسكن إليه[3].

(الأساس) والأس أصل البناء أو أصل كل شيء الذي يقوم عليه[4]، **(الأعظم)**

(1) البخاري (46) واللفظ له ومسلم (11).

(2) البخاري (50) ومسلم (9).

(3) الصحاح 156/2 والمفردات ص: 210.

(4) القاموس ص: 477.

أي الأشد عظمة وأهمية من غيره لأن غيره مترتب عليه، **(وهو)** أي هذا الركن هو **(الصراط)** أي الطريق الواضح **(المستقيم)** الذي لا اعوجاج فيه **(الأقوم)** الأعدل الموصل إلى المعيشة الطيبة في الدنيا والفوز بنعيم الجنان في الآخرة، ألا وهو **(ركن الشهادتين)** شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتدل الشهادة الأولى على توحيد الله بالعبادة فلا معبود بحق إلا الله. وتدل الشهادة الثانية على توحيد النبي r بالاتباع فلا نتبع دينا غير دينه.

وبهذا الركن يدخل العبد في الإسلام ويعصم دمه وماله وعرضه في الدنيا وينجو من عذاب الله ويدخل الجنة فصاحبه لا يخلد في النار أبدا، وهو كلمة الإخلاص وكلمة التقوى وكلمة الإسلام. **(فاثبت)** على هذا فهو الحق **(واعتصم)** أي استمسك **(بالعروة الوثقى)** أي الوسيلة الأقوى تشبيها لها بعروة الدلو[1]، الذي به التوصل إلى الماء الذي به حياة كل شيء، وكذلك يعتبر ركن الشهادتين شرطا لصحة جميع الأعمال والأقوال شرعا. **(التي لا تنفصم)** أي لا تنقطع وفصم الشيء كسره من غير أن يبين قال ذو الرمة يصف غزالا:

كأنه دملج من فضة نبه في ملعب من جواري الحي مفصوم[2]

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [لقمان 22]، قوله **(ثانيا)** أي الركن الثاني من أركان الإسلام هو **(إقامة الصلاة)** أي تأديتها بشروطها وأركانها وسننها وجميع لوازمها كما كان النبي r يصليها .

وأصل الصلاة في اللغة الدعاء قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة 103]، وقال الأعشى:

وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسم[3]

---

(1) القاموس ص: 1179.

(2) الصحاح 1476/2.

(3) المفردات ص: 296 والصحاح 1746/2.

واصطلاحا عبادة مخصوصة تحتوي على ركوع وسجود مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم وهي أفضل الأعمال وقد فرضت من فوق سبع سماوات وهي شعار الإسلام وأول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة وهي من أخص صفات المتقين. قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور 56]، وقال: ﴿الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة 1-3]، وقال: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت 45].

وقد اشتملت الصلاة على كل أنواع العبادة القلبية من إخلاص وانقياد لله وخشوع وخضوع ومراقبة وإقبال على الله عز وجل وإسلام الوجه إليه والتواضع التام له والصمود إليه والاطراح بين يديه. كما اشتملت على العبادات القولية من تلاوة وتشهد وتكبير وتسبيح وتحميد وتقديس وثناء وحمد وتهليل وتعوذ واستغفار واستعانة والافتقار إلى الله والاعتراف بالذنب، والصلاة على النبي ﷺ والدعاء والتضرع.

وفيها من أعمال الجوارح: القيام والركوع والسجود والرفع والخفض والاعتدال والاطمئنان والقعود. هذا بالإضافة إلى شرائطها وواجباتها من طهارة بدنية ومعنوية من الخبث والوضوء والغسل ونقل الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة وعمارة بيوت الله والإكثار من ذكر الله. لهذا وغيره قال ﷺ : «وجعلت قرة عيني في الصلاة»[1].

قوله **(وثالثا)** أي والركن الثالث هو **(تأدية الزكاة)** أي دفعها لمصارفها عن طيب نفس كما أمر الله عز وجل.

وأصل الزكاة لغة[2]: النمو والزيادة والبركة قال تعالى: ﴿أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾

---

(1) أحمد (12293) والنسائي (3939) و(3940) بسند حسن وجود إسناده العراقي، وقواه الذهبي في "الميزان" 177/2، وحسنه الحافظ في "التلخيص الحبير" 116/3.

(2) المفردات ص: 220 والصحاح 123/2.

[الكهف 19]، وقال الشاعر:

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة ... وللسبع أزكى من ثلاث وأكثر

واصطلاحا إخراج مال مخصوص بصفة مخصوصة.

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة 43]، فقرنها بالصلاة وأوجب قتال مانعيها حتى يتوبوا ويدفعوها: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآَتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة 11]. وجعلها من أبرز صفات المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون 4].

وإنما تجب الزكاة على الغني وهو من ملك نصابا وحال عليه الحول في غير الحرث، ولا تكون الزكاة إلا في الأنعام والحرث والعين وما قام مقامها من عروض التجارة وما يخرج في الزكاة هو حوالي 2,5% سنويا.

قوله: **(والرابع الصيام)** أي أن الركن الرابع هو صوم رمضان **(فاسمع)** ذلك **(واتبع)** أي امتثل ذلك حتى تكون ممن قال تعالى فيهم: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر 18].

وأصل الصوم لغة[1] الإمساك عن الفعل مطعما كان أو كلاما أو مشيا قال تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ [مريم 26]. قال النابغة الذبياني:

خيل صيام وخيل غير صائمة ... تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

وشرعا: إمساك مخصوص في زمن مخصوص بشرائط مخصوصة.

وهو السبب الأساسي للتقوى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة 183]، كما أنه مدرسة لتعليم الصبر والانضباط والتذكير بوحدة المسلمين ومساواتهم وفيه إحساس بحال الفقراء والمساكين، وراحة طبيعية لأجهزة الهضم ... وهلم جرا.

والمقصود بالصوم هو الإمساك عن كل المفطرات من شهوتي الفرج والبطن مع الإكثار من كل الطاعات والابتعاد عن كل المنهيات فتصوم العين عن النظر إلى ما

(1) الصحاح 1454/2 ومفردات القرآن ص: 301.

نهى الله عنه والأذن عن الإستماع لما حرم الله كمايصوم اللسان وسائر الجوارح.

قوله **(و)** الركن **(الخامس)** من أركان الإسلام هو **(الحج)** إلى بيت الله الحرام **(على من)** أي كل من **(يستطيع)** ذلك من المسلمين بنفسه وماله.

وأصل الحج لغة[1] القصد للزيارة، ورجل محجوج أي مقصود.

قال المخبل:

وأشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سب الزبرقان المزعفرا

واصطلاحا قصد بيت الله الحرام لأجل النسك.

وهو مؤتمر موسع للمسلمين من مشارق الأرض ومغاربها يوثق عرى الوحدة والمساواة بينهم كما أنه شكر لنعمة الله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران 97].

قوله: **(فتلك)** الأركان السابق ذكرها من شهادتين وصلاة وزكاة وصوم وحج بيت الله **(خمسة)** أي عددها خمسة لأن الشهادتين ركن واحد.

المرتبة الثانية: الإيمان

وهو لغة[2]: التصديق، وآمن بالشيء صدق وأمن كذب من أخبره قال الجوهري: وأصل آمن أأمن بهمزتين لينت الثانية.

وشرعا هو تصديق القلبِ بما جاء بِه الرسول صلى الله عليه وسلم، والإقرار بِاللسان والعمل بِه، وقد نقل الإجماع على ذلك ابن عبد البر فقال: "أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها إيمان. إلا ما ذكر عند أبي حنيفة وأصحابه فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيمانا"[3].

(1) الصحاح 282/1 والمفردات ص: 112.

(2) الصحاح 1524/2 ولسان العرب 23/13- 27 والمفردات ص: 31

(3) التمهيد لابن عبد البر 238/9، وانظر: مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى ص 152، ومقالات الإسلاميين 347/1، وشرح العقيدة الطحاوية ص 372.

وقال الراغب الأصبهاني: "إذعان النفس للحق على سبيل التصديق وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بحسب ذلك بالجوارح"[1].

وإذا ذكر الإيمان مع الإسلام أو ما في معناه دل على الاعتقادات الباطنة كما في حديث جبريل مثلا.

وإن ذكر الإيمان وحده شمل الدين كله وهذا هو الإطلاق الغالب في الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم.

مثل: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة 257]، وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال 2-4]. وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون 1-4].

وعن أبي جمرة - نصر بن عمران الضبعي- قال: كنت أقعد مع ابن عباس t يجلسني على سريره فقال: أقم عندي حتى أجعل لك سهما من مالي فأقمت معه شهرين، ثم قال: إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي r قال: «من القوم؟ أو من الوفد؟» قالوا: ربيعة قال: «مرحبا بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى» فقالوا: يا رسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة، وسألوه عن الأشربة فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع، أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس» ونهاهم عن أربع عن الحنتم والدباء والنقير والمزفت وربما قال المقير، وقال: «احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم»[2].

(1) مفردات القرآن ص: 31.

(2) البخاري (53) ومسلم (17) واللفظ للبخاري.

أركان الإيمان:

ثم شرع في بيان أركان الإيمان الستة فقال:

فتلــــك خمســــة وللإيمــــان	ســـتة أركـــان بـــلا نكـــران
إيماننـــــا بـــــالله ذي الجـــــلال	ومـــا لـــه مـــن صـــفة الكمـــال
وبالملائـــك الكـــرام الـــبرره	وكتبـــه المنزلـــة المطهـــره
ورســـــله الهـــــداة للأنـــــام	مـــن غـــير تفريـــق ولا إيهـــام

قوله **(فتلك)** الأركان المتقدمة من شهادتين وصلاة وزكاة وصيام وحج **(خمسة)** أي هذه أركان الإسلام الخمسة فاحفظها واعمل بها وعلمها لغيرك فإنه لا دين لمن فقدها كلها أو بعضها.

ثم شرع في بيان أركان الإيمان فقال: **(وللإيمان)** أي تختص به وتميزه عن غيره **(ستة أركان)** أسس ودعائم **(بلا نكران)** فلا يستطيع مسلم أن ينكر ذلك لأنه جاء مصرحا به في الحديث النبوي الشريف كما تقدم فليس لنا إلا القبول والانقياد والتسليم.

الركن الأول: الإيمان بالله

أول هذه الأركان هو **(إيماننا)** معشر المسلمين **(بالله)** ربا وخالقا ورازقا ومدبرا لكل شيء في هذا العالم لا شريك له ولا معين ولا ند فهو الأحد الصمد **(ذي الجلال)** أي صاحب العظمة والكبرياء فهو أهل أن يجل فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى.

وإيماننا بألوهيته تعالى وأنه وحده المستحق للعبادة فنخلص له جميع العبادات: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة 5].

(و) يدخل في الإيمان بالله تعالى الإيمان بكل **(ما)** الذي **(له)** سبحانه **(من صفة الكمال)** ونعوت الجلال من الأسماء والصفات الثابتة في الكتاب أو السنة فنؤمن بها جميعا من غير تكييف أو تمثيل أو تأويل أو تعطيل لأن معنى هذه الصفات

معلوم مفهوم وأما كيفيتها فلا نستطيع إدراكها فنؤمن بها على مراده سبحانه وتعالى.

الركن الثاني : الإيمان بالملائكة

(و) الركن الثاني هو إيماننا **(بالملائك)** قال الكسائي: الملك مألك بتقديم الهمزة من الألوك وهي الرسالة ثم قلبت وقدمت اللام ملأك قال الشاعر:

فلست لإنسي ولكن لملأك   تنزل من جو السماء يصوب

ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال "ملك" فإن جمع ردت إليه: ملائكة[1].

والملائكة عباد مكرمون خلقوا من نور لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون به فهم عن عائشة g أن النبي r قال: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»[2]، **(الكرام)** خلقا وخلقا **(البررة)** الطاهرين ذاتا وصفة قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء 26-27]، وقال: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات 164-166].

والملائكة مخلوقات عظيمة: ﴿مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم 6]. وعن ابن مسعود قال: رأى محمد r جبريل له ستمائة جناح قد سد الأفق[3].

ولا يعلم عددهم إلا الله لشدة كثرتهم ومما يدل على ذلك أنه في حديث الإسراء: «وهذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه...»[4].

وقد ذكرت لنا أسماء بعضهم كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومالك خازن النار ورضوان خازن الجنة والمنكر والنكير وهاروت وماروت، وأما تسمية ملك الموت عزرائيل، فلم يرد في كتاب ولا سنة صحيحة[5].

(1) الصحاح 1215/2 والقاموس ص: 838.

(2) مسلم (2996).

(3) البخاري (4856) ومسلم (177) وأحمد (3780) والنسائي في الكبرى (11476) واللفظ له.

(4) البخاري (3887) ومسلم (162).

(5) انظر البداية والنهاية لابن كثير 50/1.

وهم يعبدون الله دائما: ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت 38]، وقال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء 20].

وهم الذين يدبرون الكون بأمر الله فمنهم من ينزل بالوحي ومنهم المسؤول عن القطر ومنهم ملك الموت ومنهم المسؤول عن الرحم ومنهم المعقبات وهم الكرام الكاتبون ومنهم من يصلي على المطيعين ويدعو لهم ويلعن العاصين ويدعو عليهم إلى غير ذلك: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات 5] [1].

والإيمان بالملائكة يستلزم:

1- التصديق بهم ومعرفة صفاتهم.

2- الإيمان بهم إجمالا وبمن سمي منهم تفصيلا كجبريل.

3- البعد عن المعاصي لأنها تؤذيهم.

4 - موالاتهم والاقتدائهم في إكثارهم من الطاعات.

5 - الإيمان بما علمنا من أعمالهم.

الركن الثالث : الإيمان بالكتب

(و) الركن الثالث من أركان الإيمان هو إيماننا بـ**(كتبه)** سبحانه وتعالى **(المنزلة)** على رسله عليهم أفضل الصلوات والتسليم **(المطهرة)** أي المنزهة عن كل ما لا يليق بها والتي هي سبب لطهارة الروح والبدن.

ومعنى الإيمان بالكتب التصديق الجازم بها كلها إجمالا وبكتابنا "القرآن " تفصيلا فنتعلمه ونعمل به ولا نحكم بسواه مهما كان. وأي إعراض أو امتناع عن الحكم به فهو كفر به وبكل الكتب: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء 136]، وقال: ﴿قُولُوا آَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ

(1) انظر عمدة التفسير 632/3.

مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة 136].

وقد سمى الله لنا بعض هذه الكتب كصحف إبراهيم وتوراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود والقرآن الكريم فيجب الإيمان بهم وبكل كتاب منزل من عند الله، ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى 15].

وحقيقة الإيمان بكتابنا (القرآن) هو العمل به وتطبيقه في كل شؤون الحياة: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة 49]، وفي الحديث: «القرآن شافع مشفع وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله وراء ظهره ساقه إلى النار» [1].

الركن الرابع الإيمان بالرسل :

(و) الركن الرابع من أركان الإيمان إيماننا بـ **(رسله)** جمع رسول وهو لغة[2]: من الرسل وهو الانبعاث على التؤدة، يقال: ناقة رسلة سهلة السير، وتقول: على رسلك إذا أمرته بالرفق، ويطلق تارة على الرسالة ومنه قول كثير:

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم   بسر ولا أرسلتهم برسول

والرسول شرعا: من اصطفاه الله تعالى فأوحي إليه بشرع وأمره بتبليغه.

والرسول مع أنه بشر لكنه أكمل ذاتا وصفات من غيره من الناس فالرسل هم **(الهداة للأنام)** جمع هاد والأنام الخلق، والمراد به هداية الدعوة والإرشاد والدلالة كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد 7]، وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ﴾ [الشورى 52-53]، وأما هداية التوفيق والتثبيت والتسديد فهي خاصة به سبحانه وتعالى منفية عمن سواه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص 56]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ

---

(1) ابن حبان (1793) والبيهقي في الشعب (1954) والطبراني في الكبير (10298) وصححه الألباني في الصحيحة 31/5.

(2) مفردات الراغب ص: 202 والصحاح 1281/2.

عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة 272].

والإيمان بالرسل من أعظم أركان الإيمان: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة 285]، والكفر بواحد منهم مثل الكفر بهم كلهم لذلك قال **(من غير تفريق)** بينهم فيؤمن ببعضهم دون بعض قال تعالى عن كل من قوم نوح وهود وصالح: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء 105]، و﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء 123]، و﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء 141]، مع أن كلا منهم إنما كذب رسولا واحدا.

والمقصود بالإيمان بالرسل هو التصديق الجازم بأن الله بعثهم وأنهم صادقون فيما بلغوه عنه سبحانه وتعالى والإيمان بما جاؤوا به من عند الله لذلك قال **(ولا إيهام)** من الوهم وهو الظن بل لابد من اليقين الجازم .

واتفقت دعوتهم على الأصل وهو توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات ونفي ما يضاده والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر ونحوه من الغيبيات.

وإنما اختلفوا في فروع الشرائع كالحلال والحرام: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة 48]، وذكر الله تعالى في القرآن الكريم أسماء خمسة وعشرين منهم هم: محمد r وآدم ونوح وإدريس وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وشعيب ويونس وموسى وهارون وإلياس وزكريا ويحيى واليسع وذو الكفل وداود وسليمان وأيوب وعيسى عليهم الصلاة والسلام.

قوله **(أولهم)** أي الرسل عليهم السلام هو **(نوح)** عليه السلام وهو ابن لامك ابن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس بن يرد بن مهلاييل بن قينن بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام[1].

والمقصود أن نوحا عليه السلام هو أول الرسل بعد الاختلاف قال تعالى: ﴿إِنَّا

(1) البداية والنهاية لابن كثير 98/1.

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء 163]، وفي حديث الشفاعة: « يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبدا شكورا»[1].

(**كما أن محمدا**) ﷺ (**لهم**) أي الرسل (**قد ختما**) أي أكملهم فلا نبي بعده قال تعالى:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب 40]، قوله (**وخمسة منهم**) أي الرسل (**أولو**) أي أصحاب (**العزم الألى**) أي أرباب الثبات والحزم والصبر وهذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف 35]، فمن في قوله "من الرسل" يحتمل أنها لبيان الجنس مثل ثوب من حرير وعليه فأولو العزم هم كل الرسل عليهم السلام وممن قال بذلك ابن عباس وابن زيد واختاره علي بن مهدي، وقيل من تبعيضية وعليه فأولو العزم بعض الرسل ثم اختلفوا في تعيينهم فالمشهور أنهم الخمسة المذكورون (**في سورة الأحزاب**) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب 7]، (**و**) كذلك تم تخصيصهم بالذكر في سورة (**الشورى**) في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى 13]،

قوله (**تلا**) أي تبع، والمعنى أن هؤلاء أشد عزما من غيرهم وإلا فكل الرسل أصحاب عزم، وقيل: أولو العزم هم ثلاثة، قاله أبو العالية: وقيل: (18) المذكورين في سورة الأنعام واختاره الحسن بن الفضل، وقال السدي هم ستة وقيل غير ذلك[2].

الركن الخامس : الإيمان باليوم الآخر

ثم بين الركن الخامس من أركان الإيمان بقوله: (**وبالمعاد**) وهو المرد إلى الله تعالى

(1) البخاري (3340) ومسلم (194).

(2) انظر تفسير الطبري 302/11-303 وتفسير القرطبي 145/16 وعمدة التفسير 377/3.

والرجوع إليه **(أيقن)** أعتقد اعتقادا جازما **(بلا تردد)** أي لا يخالطه شك ولا ريب، لأن الإيمان باليوم الآخر لا بد فيه من اليقين، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة 281]، وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة 4]، وأيقن أيضا بقرب الساعة: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء 1]، وقال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر 1]، **(و)** أيقن وتأكد أن **(لا ادعا)** صحيحا لـ**(علم)** ظني أو قطعي **(بـ)** تحديد **(وقت الموعد)** الذي تقوم فيه الساعة لأنها من مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا الله قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف 187]، وتقدم في حديث جبريل قوله ﷺ : «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل».

قال ابن أبي العز: " الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز وأقام الدليل عليه ورد على منكريه في غالب سور القرآن "[1].

علامات الساعة:

(ولكننا نؤمن) إيمانا يقينيا جازما **(من غير امتراء)** أي تردد أو نقاش أو شك **(بكل ما)** أي الذي **(قد)** للتحقيق **(صح)** ثبت **(عن خير الورى)** أي الخلق وهو محمد ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى **(من ذكر آيات)** أمارات وعلامات للساعة **(تكون)** تقع **(قبلها)** كدليل على قرب وقوعها **(وهي)** أي هذه الأمارات **(علامات)** واضحة على تأكد قرب مجيء الساعة **(وأشراط)** هي العلامات والأمارات **(لها)** أي الساعة، قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد 18]، وتنقسم علامات الساعة إلى قسمين:

---

(1) شرح الطحاوية ص404.

أ- علامات كبرى تدل على شدة قرب قيام الساعة: فعن حذيفة بن أسيد الغفاري t قال: اطلع النبي r علينا ونحن نتذاكر فقال: «ما تذاكرون» قالوا: نذكر الساعة، قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»[1].

ب- علامات صغرى: وهي ثلاثة أنواع:

1- علامات وقعت وانقضت: مثل بعثة محمد r وانشقاق القمر والنار التي خرجت بالحجاز فأضاءت بالشام سنة 654هـ.

2- علامات وقعت وما زالت مستمرة: مثل إسناد الأمر إلى غير أهله وولادة الأمة ربتها وتطاول الرعاة في البنيان.

3- علامات لم تقع بعد نحو: تكليم السباع للناس، وعودة جزيرة العرب جنات وأنهارا وخروج المهدي وانحسار الفرات عن جبل من ذهب[2].

الإيمان بالموت:

قوله (**ويدخل**) في الإيمان باليوم الآخر (**الإيمان بالموت**) الذي كتبه الله على كل أحد: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن 26-27]، وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص 88]، ووقت الموت ومكانه مجهول بالنسبة لنا فلا يعلمه إلا الله.

(**و**) يدخل كذلك فيه (**ما**) الذي (**من بعده**) أي الموت (**على العباد**) إنسا وجنا (**حتما**) أي ألزموا به فليستعدوا وليتهيؤوا له (**وأن كلا**) منا (**مقعد**) في قبره من طرف الملائكة (**مسؤول**) عن ثلاثة أمور (**ما الرب**) الذي كنت تعبد (**ما الدين**) الذي كنت عليه (**وما الرسول**) الذي كنت تتبعه، كما يسأل عن كتابه وهو القرآن،

(1) مسلم (2901).

(2) انظر كتابي رفع الأعلام ببيان الأركان الإسلام (الإيمان باليوم الآخر).

(وعند ذا) الأمر العظيم **(يثبت)** الله **(المهيمن)** الذين آمنوا **(بثابت القول)** أي بالقول الثابت في الحياة الدنيا **(الذين آمنوا)** أي أن ثباتهم بسبب الإيمان **(ويوقن)** يتأكد **(المرتاب)** من الكفار والمنافقين **(عند ذلك)** الموقف **(بأنما مورده)** ومثواه ومصيره إلى **(المهالك)** من شدة العذاب لأن القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار.

عن قتادة عن أنس بن مالك t أنه حدثهم أن رسول الله r قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمد r فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا، ـ قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له في قبره ـ ثم رجع إلى حديث أنس قال: وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال: لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين»[1].

وعن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r : «إذا قبر الميت (أو قال أحدكم) أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان: ما تقول في هذا الرجل فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله؛ أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم. فيقولان: نم نومة العروس لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقا قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله، لا أدري. فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض التئمي عليه، فتلتئم عليه فتختلف فيها أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»[2].

(1) البخاري (1374) ومسلم (2870).

(2) سنن الترمذي (1071) والسنة لابن أبي عاصم (864) وحسنه الترمذي والألباني في الصحيحة (1391).

قوله **(و)** يدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان **(باللقا)** أي الإيمان بلقاء الله عز وجل: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف 110]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق 6]، وعن أبي موسى t عن النبي r : «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»[1].

البعث والنشور:

(و) يدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بـ**(البعث والنشور)** والنشر لغة إحياء الميت كالنشور والإنشار[2] أي إعادة خلق جميع المخلوقات كما كانت: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء 104]، وقال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة 28].

وعن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r : «ما بين النفختين أربعون» قالوا: يا أبا هريرة: أربعون يوما؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهرا، قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة قال: أبيت، «ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيئ إلا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة»[3].

(و) يكون النشر **(بقيامنا من القبور)** بعد النفخ في الصور وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام نفخة الفزع والصعق ثم ينفخ فيه نفخة البعث والقيام من القبور قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل 87]، وقال جل ذكره: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ

---

(1) البخاري (6508) ومسلم (2686).

(2) القاموس ص: 434.

(3) البخاري (4814) ومسلم (2955).

نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر 68]،

عن عبد الله بن عمرو بن العاصي t قال: جاء أعرابي إلى النبي r فقال: ما الصور؟ قال: «قرن ينفخ فيه»[1].

وعن أبي سعيد الخدري t أن النبي r قال: «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه وأصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر»، فقالوا: يا رسول الله وما تأمرنا؟ قال: «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل»[2].

قال الحافظ ابن عبد البر :"قد أجمع المسلمون على أن من أنكر البعث فلا إيمان له ولا شهادة، وفي ذلك ما يغني ويكفي مع ما في القرآن من تأكيد الإقراربالبعث بعد الموت"[3].

ويقول البهوتي :"وإذا جحد البعث كفر لتكذيبه للكتاب والسنة وإجماع الأمة"[4].

ثم بين المصنف صفات الناس يوم البعث والنشور حين خروجهم من القبور بقوله: **(غرلا)** الغرلة بالضم القلفة، والأغرل الأقلف[5]وهو غير المختون . **(حفاة)** الحفا: رقة القدم والخف والحافر حفي حفا فهو حف وحاف والاسم الحفوة بالضم والكسر والحفية والحفاية بكسرهما، و هو المشي بغير خف ولا نعل واحتفى مشى حافيا[6].

---

(1) أحمد (6507) وإسناده صحيح ورجاله ثقات والترمذي (2430) و (3244) وحسنه والنسائي في الكبرى (11312) وابن حبان (7312) والحاكم 436/2 وصححه ووافقه الذهبي والألباني في الصحيحة (1080).

(2) أبو يعلى (1084) وابن حبان (823) وإسنادهما صحيح على شرط الشيخين و أحمد (11039) والترمذي (2431) وحسنه وصححه الألباني في الصحيحة (2079).

(3) التمهيد لابن عبد البر116/9.

(4) كشاف القناع 136/6.

(5) القاموس ص: 934.

(6) القاموس ص: 1148.

عن ابن عباس t عن النبي r قال: «إنكم ملاقو الله حفاة عراة مشاة غرلا»[1].

والمعنى أن الناس يبعثون بالصفة التي خلقوا عليها غرلا غير مختونين، حفاة لا نعال ولاخفاف لهم، **(كجراد منتشر)** في كثرتهم وذهاب عقولهم من شدة الخوف والفزع **(يقول)** عندما يعاين ذلك **(ذو)** أي صاحب **(الكفران)** الكافر الذي لم يكن يؤمن بالله ولا باليوم الآخر هـ**(ذا)** اليوم **(يوم عسر)** يوم عسير وعسر وأعسر شديد العسر وهو ضد اليسر[2].

قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر 6-8]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة 4]، وقال: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر 8-10]، عن ابن عباس t قال: قام فينا النبي r يخطب فقال: «إنكم تحشرون حفاة عراة غرلا ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء 104] الآية.. »[3].

وعن أبي هريرة t عن النبي r قال: «يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين وراهبين واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، تحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا»[4].

جمع الناس:

ثم بين جمع الناس يوم القيامة:

(1) صحيح البخاري (6524) ومسلم (2860).
(2) القاموس ص: 396.
(3) البخاري (6526) ومسلم (2860).
(4) البخاري (6522) ومسلم (2861).

ويجمع الخلق ليوم الفصل جميعهم علويهم والسفلي
في موقف يجل فيه الخطب ويعظم الهول به والكرب

قوله (**ويجمع الخلق**) أي جميع المخلوقات أولهم وآخرهم (**لـ**) أجل (**يوم الفصل**) أي يوم القيامة سمي بذلك لأنه يفصل الله فيه بين الخلائق.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء 87]، وقال: ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ لِيَوْمِ الْفَصْلِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات 12-15].

(**جميعهم**) أي كلهم طرا (**علويهم**) كأهل السماوات (**والسفلي**) وهم عوالم الأرضين (**في موقف**) خطير (**يجل**) يعظم (**فيه الخطب**) الشأن والأمر[1] ذو الأهوال الجسام، (**ويعظم الهول**) هاله هولا: أفزعه كهوله فاهتال، والهول: المخافة من الأمر لا يدري ما هجم عليه منه، جمعه أهوال وهؤول كالهيلة[2]. (**به**) أي فيه (**و**) يعظم يومئذ (**الكرب**) وهوالحزن يأخذ بالنفس كالكربة[3].

قال تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج 1-2]، وقال: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾ [غافر 18]، وقال: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين 4-6].

العرض والحساب:

ثم بين العرض والحساب بقوله:

وأحضروا للعرض والحساب وانقطعت علائق الأنساب

(1) القاموس ص: 76.

(2) القاموس ص: 967.

(3) القاموس ص: 120.

وارتكمـــت ســـحائب الأهـــوال وانعجـــم البليـــغ في المقـــال
وعنـــــت الوجـــــوه للقيـــــوم واقـتص مـن ذي الظلـم للمظلـوم

قوله (**أحضروا**) أي جمعوا في صعيد واحد (**للعرض والحساب**) لأجله حيث تعرض كل الخلائق عرضا عاما شاملا على الله جل جلاله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة 18]، وهنالك العرض الخاص حيث يعرض على المؤمن ما عمل من المعاصي ويقرر بها ثم يغفرها الله له وهو الحساب اليسير، فعن ابن أبي مليكة أن عائشة g كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي r قال: «من حوسب عذب» قالت عائشة g : فقلت: أوليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق 8]، قالت: فقال: «إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك»[1].

وأما غير المؤمن فيحاسب حسابا عسيرا على كل صغير وكبير، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر 92-93]، وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ [الانشقاق 10-12].

(**و**) من شدة أهوال ذلك اليوم كل إنسان مشغول بنفسه، لذلك (**انقطعت علائق الأنساب**) والقرابات فيفر الإنسان من أقرب الناس إليه قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون 101]، وقال: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس 34-37]، وقال: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ [المعارج 10-14].

قوله: (**وارتكمت**) الركم جمع شيء فوق آخر حتى يصير ركاما مركوما كركام الرمل وبالتحريك السحاب المتراكم كالركام[2]. (**سحائب الأهوال**) هاله هولا

(1) البخاري (103) ومسلم (2876).
(2) القاموس ص: 1006.

أفزعه كهوله فاهتال، والهول المخافة من الأمر لا يدري ما هجم عليه منه جمعه أهوال وهؤول[1].

(وانعجم) انبهر وسكت فلم يتكلم خوفا ورعبا **(البليغ)** الرجل الفصيح الذي كان في الدنيا مقتدرا على البلاغة والفصاحة، **(في المقال)** أي الكلام ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه 108]، وقال: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود 105].

(وعنت الوجوه) ذلت وخضعت واستكانت واستسلمت **(للقيوم)** سبحانه وتعالى:﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ [طه 111]. **(واقتص)** أي يقاد يوم القيامة **(من ذي)** أي صاحب **(الظلم)** والجور **(للمظلوم)** أي ممن ظلمه قال تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه 112]، وقال: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر 17]، قال r : «لتؤدن الحقوق حتى يقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»[2]، وعن أبي هريرة t أنه r قال: «من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئاته فطرحت عليه»[3].

إحضار الأشهاد :

ومن أهوال يوم القيامة إحضار الأشهاد كلهم والمساواة بين الناس قال:

وساوت الملوك للأجناد	وجيء بالكتاب والأشهاد
وشهدت الاعضاء والجوارح	وبدت السوءات والفضائح
وابتليت هنالك السرائر	وانكشف المخفي في الضمائر

(وساوت الملوك) والرؤساء والأمراء والكبراء **(للأجناد)** والرعايا التي كانت تابعة مطيعة لهم، أي استووا جميعا في الموقف والذعر والخوف والفزع والسؤال

(1) القاموس ص: 967.

(2) مسلم (2582).

(3) البخاري (6534) .

والعرض والحساب وغير ذلك من مواقف ذلك اليوم العظيم، ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر 16]، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة 4]، ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار 19].

قوله **(جيء بالكتاب)** الذي كتبت فيه جميع الأعمال صغيرها وكبيرها، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف 49]، وقال: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الإسراء 13].

(و) جيء أيضا بـ **(الأشهاد)** وأعظم الأشهاد هو الله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء 79]، كما تشهد الرسل عليهم السلام، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء 41]، كما تشهد الملائكة: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق 21].

(و) كذلك **(شهدت)** على كل جاحد **(الأعضاء)** كل عضو من أعضاء جسده **(و)** شهدت **(الجوارح)** من يد ورجل ولسان وعين وأذن بل وكل جلد، **(وبدت)** أي ظهرت **(السوءات)** جمع سوءة وهي القبيح من القول والفعل[1] **(والفضائح)** التي كانت مستورة في الدنيا قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس 65]، وقال: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت 19 - 21].

وعن أنس بن مالك t قال: كنا عند النبي r فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال رسول الله r : «أتدرون مم أضحك؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال r : «من مخاطبة العبد ربه يوم القيامة يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم، قال فيقول: بلى

(1) القاموس ص 43.

فيقول: لا أجير على نفسي إلا شاهدا مني، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا، وبالكرام الكاتبين شهودا، فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بعمله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول: بعدا وسحقا فعنكن كنت أناضل»[1].

قوله **(وابتليت)** امتحنت واختبرت **(هنالك)** يوم القيامة في ذلك الموقف العظيم **(السرائر)** جمع سريرة وهي ضد العلانية **(وانكشف)** ظهر وبدا **(المخفي)** المستور **(في الضمائر)** أي في القلوب كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق 9-10]، وقال: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ [العاديات 9-11].

نشر الصحف:

ومن أهوال يوم القيامة نشر صحائف الأعمال قال رحمه الله:

ونشرت صحائف الأعمال ... تؤخذ باليمين والشمال

طوبى لم يأخذ باليمين ... كتابه بشرى بحور عين

والويل للآخذ بالشمال ... وراء ظهر للجحيم صال

قوله **(ونشرت)** أي عرضت **(صحائف)** كتب وسجلات **(الأعمال)** من حسنات وسيئات قال تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير 10]. **(تؤخذ)** أي الصحف **(بـ)** اليد **(اليمين)** بالنسبة للمؤمن التقي **(و)** تؤخذ بـ **(الشمال)** بالنسبة للكافر الشقي، ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء 13-14]. **(طوبى)** فعلى من الطيب أي أطيب لك، وطوبى أيضا اسم شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام[2]. **(لمن)** أي لكل الذي **(يأخذ باليمين كتابه)** وهو المؤمن **(بشرى)** أي أعظم بشارة له **(بـ)** شتى أنواع النعيم الذي منه **(حور)** جمع

---

(1) مسلم (2969) وابن حبان (7358).

(2) الصحاح 186/1.

حوراء والحور شدة بياض العين في شدة سوادها يقال امرأة حوراء بينة الحور ويقال احورت عينه احورارا[1]. **(عين)** مفرده عيناء واسعة العين ومنه قيل لبقر الوحش عين[2]. والمقصود غاية جمال العيون،

وذلك لأن المؤمن عندما يأخذ كتابه بيمينه يحاسب حسابا يسيرا ثم ينقلب إلى أهله في الجنة مسرورا فرحا قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق 7-9]، فإذا رأى المؤمن ما في كتابه نادى من شدة الفرح والسرور. ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة 19-23].

قوله **(والويل)** كلمة عذاب وهلاك وقيل الويل واد في جهنم[3]. **(للآخذ بالشمال)** كتابه من **(وراء ظهر)** أي الهلاك والعذاب للكافر أو الفاسق الذي يعطى كتابه بيده اليسرى من وراء ظهره فهو **(للجحيم صال)** اسم فاعل من صلى النار يصلاها إذا احترق من شدة حرها[4] قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ [الانشقاق 10-12]، وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة 25-32].

الميزان:

ثم بين ما يتعلق بالميزان وهو من أعظم أهوال القيامة فقال:

والوزن بالقسط فلا ظلم ولا يؤخذ عبد بسوى ما عملا

---

(1) الصحاح 526/1.

(2) الصحاح 1589/2.

(3) الصحاح 1371/2.

(4) الصحاح 1747/2.

فبين ناج راجح ميزانه ومقترف أوبقه عدوانه

قوله (**والوزن**) أي وزن العباد وأعمالهم وصحائفها (**بالقسط**) أي العدل (**فلا ظلم**) لأحد بأن ينقص من حسناته أو يزاد في سيئاته. قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء 47]،

قوله (**ولا يؤخذ**) أي يعاقب (**عبد**) أو أمة (**بسوى ما عملا**) من الأعمال، ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم 38-39]، وبهذا الوزن العادل ينقسم العباد قسمين (**فبين ناج**) من عذاب الله فائز بنعيم الجنان لأنه (**راجح**) قد ثقل (**ميزانه**) قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف 8]، (**و**) القسم الثاني (**مقترف**) مكتسب[1] للذنوب والمعاصي (**أوبقه**) حبسه وأصابه بالدواهي والقوارع والفواجع[2]. (**عدوانه**) أي ذنوبه وخطاياه التي ارتكبها ظلما وعدوانا فهذا النوع تخف موازينه لكثرة معاصيه فيهوى في نار جهنم قال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف 9].

قال أبو إسحاق الزجاج: "أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال، وأنكرت المعتزلة الميزان وقالوا: هو عبارة عن العدل فخالفوا الكتاب والسنة"[3].

وهو ميزان عظيم فعن سلمان t عن النبي r قال: «يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعهن، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»[4].

---

(1) الصحاح 1082/2.

(2) الصحاح 1107/2.

(3) فتح الباري 3375/3.

(4) الحاكم (8739) والآجري في الشريعة (895) والزهد لابن المبارك (1357) وصححه الألباني في الصحيحة (941).

وتوزن الأعمال وأصحابها كما توزن صحائف الأعمال[1] فعن أبي الدرداء t عن النبي r قال: «ما يوضع في الميزان يوم القيامة أثقل من حسن الخلق»[2].

وعن أبي هريرة t عن النبي r قال: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»[3].

ومما يدل على وزن أصحاب الأعمال: حديث أبي هريرة t أنه r قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال: اقرؤوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف 105]»[4].

وعن علي t قال: أمر النبي r ابن مسعود t فصعد على شجرة أمره أن يأتيه منها بشيء فنظر أصحابه إلى ساق عبد الله بن مسعود حين صعد الشجرة فضحكوا من حموشة ساقيه فقال رسول الله r : «ما تضحكون؟! لرِجْل عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد»[5].

كما توزن صحائف الأعمال فعن أبي عبد الرحمن الحبلي قال: سمعت عبد الله بن عمرو t يقول: قال رسول الله r : «يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول الله عز وجل: هل تنكر من هذا شيئا، فيقول: لا يا رب، فيقول: أظلمك كتبتي الحافظون، فيقول: لا، ثم يقول: ألك عن ذلك حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول: لا، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنات وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله

---

(1) انظر شرح الطحاوية ص: 417-418.

(2) أبو داود (4799) والترمذي (2003) وصححه ابن حبان (481) .

(3) البخاري (7563) ومسلم (2694).

(4) البخاري (4729) ومسلم (2785).

(5) ابن أبي شيبة 114/12 و البخاري في الأدب المفرد (237) وأبو يعلى (539) وأحمد (920) ورجاله رجال الشيخين غير أم موسى سرية علي قيل اسمها فاختة وقيل حبيبة، التهذيب 702/4. قال العجلي: كوفية تابعية ثقة، وثقها الهيثمي وقواها الدارقطني وغيره، فحديثها حسن وللحديث شواهد تصححه منها: عن ابن مسعود قال الحافظ ابن كثير تفرد به أحمد وإسناده جيد قوي. النهاية 29/2. وانظر تحقيق المسند ط: الرسالة.

إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله قال: فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول: إنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة»[1].

وعن أبي مالك الأشعري t قال: قال r : «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض»[2].

وعن أبي هريرة t عن النبي r قال: «من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده كان شبعه وريه وروثه وبوله حسنات في ميزانه يوم القيامة»[3].

الصراط :

ثم تكلم على الصراط وهو من أعظم أهوال القيامة وأخطرها فقال:

وينصب الجسر بلا امتراء كما أتى في محكم الأنباء
يجوزه الناس على أحوال بقدر كسبهم من الأعمال
فبين مجتاز إلى الجنان ومسرف يكب في النيران

(و) من معالم يوم القيامة أنه **(ينصب)** أي يبنى ويرفع **(الجسر)** أي المعبر والمقصود به الصراط الذي يجعل على متن جهنم **(بلا امتراء)** دون شك أو ريب **(كما أتى)** ثبت **(في محكم الأنباء)** من الآيات والأحاديث **(يجوزه)** يمر فوقه **(الناس)** كلهم **(على أحوال)** كثيرة متفاوتة وذلك **(بقدر كسبهم)** في الحياة الدنيا **(من الأعمال)** الصالحة أو السيئة **(فبين مجتاز)** أي مار **(إلى الجنان)** وهم المؤمنون فمنهم من يمر عليه كالبرق الخاطف وكطرف العين وكالريح وكالطير

(1) أحمد (6994) ورجاله ثقات رجال الصحيح غير إبراهيم بن إسحاق الطالقاني فقد روى له مسلم في المقدمة ووثقه ابن معين ويعقوب بن شيبة وقال أبو حاتم صدوق مع أنه قد توبع ورواه الترمذي (2639) وحسنه وابن ماجه (4300) وصححه ابن حبان(225) والحاكم (9) على شرط مسلم ووافقه الذهبي والألباني في الصحيحة (135). وانظر تحقيق المسند ط: الرسالة.

(2) مسلم (223).

(3) البخاري (2853).

وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش ناج مرسل.

والقسم الثاني (**مسرف**) على نفسه في الذنوب والمعاصي فلا يمر فوق الصراط بل (**يكب في النيران**) يعذب فيها أشد العذاب. ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم 71-71]، وفي حديث أبي هريرة t وحذيفة t أنه r قال: «... وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا فيمر أولهم كالبرق، قال: قلت بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق قال: ألم تر إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة تأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار»[1].

وفي حديث أبي سعيد الخدري t أنه r قال: «... ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم، قلنا: يا رسول الله: وما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفة تكون بنجد يقال لها السعدان المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحبا...»[2].

الجنة والنار:

والمسلم يجوز الصراط إلى الجنة والكافر والفاجر يسقط في النار التي تحته لذلك أتبع الصراط بالكلام على الجنة والنار فقال:

والنار والجنة حق وهما ... موجودتان لا فناء لهما

(**والنار**) التي أعدها لعقوبة الكافرين والفاسقين (**والجنة**) التي هي دار

(1) صحيح مسلم (195) واللفظ له.

(2) البخاري (7439) واللفظ له ومسلم (183).

الكرامة التي أزلفت للمؤمنين المتقين فيها كل أنواع النعيم **(حق)** ثابت بالكتاب والسنة والإجماع الذي لاشك فيه **(وهما)** أي الجنة والنار **(موجودتان)** حقيقة، قال ابن أبي العز: «فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن»[1]، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران 133]، وقال: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [النجم 14-15].

وعن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r : «قال الله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة 17][2].

وعن عبد الله بن عمر t قال: قال رسول الله r : «إذا مات أحدكم فإنه يعرض عليه مقعده غدوة وعشية إما النار وإما الجنة فيقال: هذا مقعدك حتى تبعث إليه»[3].

وعن أبي هريرة t أن رسول الله r قال: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرئ منهم زوجتان كل واحدة منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن يسبحون الله بكرة وعشيا، لا يسقمون ولا يمتخطون ولا يبصقون، آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب، ووقود مجامرهم الألوة -قال أبو اليمان يعني العود- ورشحهم المسك»[4].

وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة 24]، وقال: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان 11]، وقال:

(1) انظر شرح الطحاوية ص: 420.

(2) البخاري (3244) واللفظ له ومسلم (2824).

(3) البخاري (6515) واللفظ له و(1379) و(3240) ومسلم (2866).

(4) البخاري (3246) واللفظ له ومسلم (2834).

﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان 31].

عن عمران بن حصين t عن النبي r قال: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء»[1].

وعن أبي هريرة t عن النبي r قال: «إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم، واشكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء ونفس في الصيف أشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير»[2].

قوله (**لا فناء لهما**) بل هما باقيتان دائمتان بإجماع أهل السنة على الصحيح، وقال بفناء الجنة والنار الجهم بن صفوان وليس له سلف في ذلك[3].

قال ابن حزم الأندلسي: "وأن البعث حق والحساب حق والجنة حق والنار حق داران مخلوقتان مخلدتان هما ومن فيهما بلا نهاية، يجمع الله تعالى يوم القيامة بين الأرواح والأجساد، كل هذا إجماع أهل الإسلام، من خرج عنه خرج عن الإسلام"[4].

قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة 100]، وقال: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر 48]، وقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص 54]، وقال: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان 56]، وقال تعالى: ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر 36] وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء 56]، وقال: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن 23].

---

(1) البخاري (3241) واللفظ له ومسلم (2738).

(2) البخاري (536) و(537) واللفظ له ومسلم (617).

(3) شرح الطحاوية بتحقيق الألباني ص: 424.

(4) الدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم ص207 ط مكتبة التراث ـ مكة المكرمة 1408 هـ.

وقال: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف 54-55].

عن أبي سعيد الخدري t قال: قال رسول الله r : «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه، ثم ينادي يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم 39]»[1].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [المائدة 37]، وقال: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة 20].

الحوض :

ثم بين الإيمان بالحوض الذي هو جزء من الإيمان باليوم الآخر فقال:

وحوض خير الخلق حق وبه … يشرب في الأخرى جميع حزبه

(و) مما يدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بـ**(حوض خير الخلق)** محمد r الذي أعطاه الله إياه، ويكون في عرصات القيامة وهو **(حق)** ثابت لا شك فيه **(وبه)** أي الحوض **(يشرب)** منه **(في)** الدار **(الأخرى جميع حزبه)** أي كل المؤمنين قبل الصراط على ما رجحه ابن تيمية والقرطبي وابن كثير والغزالي وأبو الحسن القابسي والقاري وابن أبي العز وغيرهم، خلافا لما قال القاضي عياض وصاحب القوت ومال إليه ابن حجر العسقلاني والسيوطي من أنه يكون بعد الصراط[2].

---

(1) البخاري (4730) واللفظ له ومسلم (2849).

(2) النهاية لابن كثير ص 236 وشرح الهراس للواسطية ص: 243 وفتح الباري 2907/3، وشرح الطحاوية ص: 229 ومرقاة المفاتيح 509/9 والتذكرة للقرطبي ص: 279 و البدور السافرة للسيوطي ص 259.

وأحاديث الحوض متواترة عن أكثر من خمسين صحابيا منهم الخلفاء الأربعة وقد ذكر ابن كثير أكثرها وخرجها كلها السيوطي وغيره[1].

وهو حوض عظيم ومورد كريم يمد من شراب الجنة من نهر الكوثر وهو أشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وأحلى من العسل وأطيب ريحا من المسك وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، من شرب منه لم يعطش بعد ذلك [2].

عن عبد الله بن عمرو t قال: قال رسول الله r : «حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدا»[3].

عن أبي ذر t قال: قلت يا رسول الله ما آنية الحوض قال: «والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، ألا في الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة، من شرب منها لم يظمأ، آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى أيلة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل»[4].

عن أنس t عن النبي r قال: «إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء»[5].

وعن ثوبان t أن نبي الله r قال: «إني لبعقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال: من مقامي إلى عمان وسئل عن شرابه فقال: أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل يغُتُّ فيه ميزابان

---

(1)النهاية لابن كثير ص 236 وشرح الطحاوية ص: 228 و البدور السافرة للسيوطي ص 241.

(2) شرح الطحاوية ص: 228.

(3) البخاري (6579) ومسلم (2292) واللفظ له.

(4) مسلم (2300) واللفظ له.

(5) البخاري (6580) واللفظ له ومسلم (2303).

يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق»[1].

وعن أبي هريرة t عن النبي r قال: «يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض فأقول: يا رب أصحابي؟ فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقهرى»[2].

قال أبو عبد الله القرطبي: «قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبعدون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق وقتل أهله وإذلالهم والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع»[3].

لواء الحمد :

ومن تكريم الله لمحمد r أفضل الأنبياء والمرسلين لواء الحمد الذي يعطيه الله له يوم القيامة:

كـــذا لـــه لـــواء حمـــد ينشـــر وتحتـــه الرســـل جميعـــا تحشـــر

قوله (**كذا**)لك (**له**) r (**لواء حمد**) واللواء هو العلم والراية والجمع ألوية وجمع الجمع ألويات[4]. واسم هذا اللواء "لواء الحمد" أي الثناء والمدح والشكر لله تعالى (**ينشر**) يرفع يوم القيامة أمام كل الناس (**وتحته**) أي هذا اللواء (**الرسل جميعا**) أحرى من دونهم (**تحشر**) يوم القيامة يعني أن كل الرسل تبع له وتحت رايته العظيمة.

---

(1) مسلم (2301) واللفظ له.

(2) البخاري (6585) و(6586).

(3) التذكرة للقرطبي ص: 283.

(4) الصحاح 1804/2 والقاموس ص: 1199.

عن أبي سعيد الخدري t قال: قال رسول الله r : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر»[1].

وعن أنس t عن النبي r قال: «إني لأول الناس تنشق الأرض عن جمجمتي يوم القيامة ولا فخر وأعطى لواء الحمد ولا فخر وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة ولا فخر.... » الحديث[2].

وعن عبد الله t قال: قال رسول الله r : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع ومشفع بيدي لواء الحمد تحتي آدم فمن دونه»[3].

الشفاعة:

ثم بين المصنف أنواع الشفاعة وأحكامها وهي من أعظم معالم اليوم الآخر فقال:

كذا له الشفاعة العظمى كما قد خصه الله به تكرما

من بعد إذن الله لا كما يرى كل قبوري على الله افترى

يشفع أولا إلى الرحمن في فصل القضاء بين أهل الموقف

من بعد أن يطلبها الناس إلى كل أولي العزم الهداة الفضلا

(1) أحمد (10987) والترمذي (3615) واللفظ له وابن ماجه (4308) وفيه علي بن زيد بن جدعان وفيه ضعف لكنه صححه الترمذي وحسنه بشواهده الألباني في الصحيحة (1571) والأرنؤوط في تحقيقه للمسند 10/17.

(2) أحمد (12469) والدارمي(52) وأبو يعلى (4130) والنسائي في الكبرى (7690) وقال الألباني في الصحيحة 100/4: سنده جيد رجاله رجال الشيخين.

(3) أحمد (2546) والطيالسي (2711) وأبو يعلى (2328) وفيه ابن جدعان ولكن له شاهد عن عبد الله بن سلام عند أبي يعلى(7493) و صحيح ابن حبان (6487) وقال الألباني إسناده صحيح كما الصحيحة (1571).

وثانيا يشفع في استفتاح	دار النعيم لأولي الفلاح
هذا وهاتان الشفاعتان	قد خصتا به بلا نكران
وثالثا يشفع في أقوام	ماتوا على دين الهدى الإسلام
وأوبقتهم كثرة الآثام	فأدخلوا النار بذا الإجرام
أن يخرجوا منها إلى الجنان	بفضل رب العرض ذي الإحسان
وبعده يشفع كل مرسل	وكل عبد ذي صلاح وولي
ويخرج الله من النيران	جميع من مات على الإيمان
في نهر الحياة يطرحونا	فحما فيحيون وينبتونا
كأنما ينبت في هيئاته	حب حميل السيل في حافاته

قوله **(كذا)**لك من أعظم معالم اليوم الآخر أنه **(له)** r **(الشفاعة العظمى)** وهي المقام المحمود الوارد في قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء 79].

(كما قد خصه) r **(الله بها)** دون سواه من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين **(تكرما)** أي بمحض فضله تعالى وكرمه. فعن جابر بن عبد الله t أن النبي r قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[1].

وعن جابر بن عبد الله t أن النبي r قال: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة»[2].

---

(1) البخاري (335) واللفظ له ومسلم (521).

(2) البخاري (614) واللفظ له و(4719).

قوله (**من بعد إذن الله**) أي أن هذه الشفاعة العظمى لا تقع إلا بعد إذن الله تعالى له ﷺ حينما يخر ساجدا تحت العرش ويحمد الله ويمجده (**لا كما**) أي مثلما (**يرى**) ويظن (**كل قبوري**) نسبة إلي القبور لعبادته لها مؤلها لأصحابها معتقدا شفاعتهم في مثله من المشركين، والصواب القبري لأن النسبة إنما تكون للمفرد. (**على الله افترى**) وكذب بنسبته للقدرة والإرادة وجلب النفع ودفع الضر والتحكم في الشفاعة إلى غير الله، قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة 255]، وقال: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس 3]، وقال: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ 23]، وقال: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم 26]، والمقصود أن الشفاعة ملك لله فلا تسأل إلا منه ولا تكون إلا لمن أذن له فيمن يرضى تعالى عنه.

فالناس في الشفاعة أهل إفراط وهم النصارى وأكثر الصوفية الذين يجعلون شفاعة مشايخهم وسادتهم كالشفاعة المعروفة في الدنيا حيث يتم الضغط من الشفيع حتى تقبل شفاعته وأهل تفريط وهم المعتزلة والخوارج المنكرون لشفاعة نبينا محمد ﷺ في أهل الكبائر وتوسط أهل السنة فأثبتوا الشفاعة لكن بعد إذنه تعالى ورضاه عن المشفوع فيه.

ثم الشفاعة أنواع كثيرة، أولها وأعظمها المقام المحمود وهو الشفاعة الكبرى وإليها أشار بقوله:

يشفع أولا إلى الرحمن في ... فصل القضاء بين أهل الموقف

من بعد أن يطلبها الناس إلى ... كل أولي العزم الهداة الفضلا

وإنما قدم هذه الشفاعة لأنها تقع قبل غيرها يوم القيامة، قوله (**يشفع**) محمد ﷺ (**أولا**) قبل الشفاعات الأخرى (**إلى**) عند (**الرحمن**) سبحانه وتعالى (**في فصل القضاء**) أي من أجل أن يحكم (**بين**) الناس (**أهل الموقف**) أي الموجودين في عرصات القيامة وهم كل الناس (**من بعد أن يطلبها**) أي الشفاعة (**الناس**) كلهم

(إلى كل أولي العزم) من الرسل ـ على المشهور ـ بل وغيرهم كآدم عليه السلام **(الهداة)** للخلق **(الفضلا)** فهم أفضل المخلوقات.

عن أنس بن مالك t عن النبي r قال: «يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أما ترى الناس، خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء، اشفع لنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم، ويذكر لهم خطيئته التي أصاب، ولكن ائتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون نوحا، فيقولون: لست هناك ويذكر خطيئته التي أصاب ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناكم ويذكر لهم خطاياه التي أصابها، ولكن ائتوا موسى عبدا آتاه الله التوراة وكلمه تكليما، فيأتون موسى فيقول: لست هناكم، ويذكر لهم خطيئته التي أصابها ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمته وروحه، فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمدا r عبدا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي عليه فإذا رأيت ربي وقعت له ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال لي: ارفع محمد وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع، فأحمد ربي بمحامد علمنيها ثم أشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة.

ثم ارفع فإذا رأيت ربي وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال: ارفع محمد وقل يسمع وسل تعطه، واشفع تشفع، فأحمد ربي بمحامد علمنيها ثم أشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة، ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال ارفع محمد وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع، فأحمد ربي بمحامد علمنيها ثم أشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة.

ثم أرجع فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود، قال النبي r : «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة»[1].

(1) البخاري (7410) واللفظ له ومسلم (193).

وعن أبي هريرة t قال: أتى النبي r بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منه نهسة ثم قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذاك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم، فيأتون آدم r فيقولون له: أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحا فيقول: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي عز وجل قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات - فذكرهن أبو حيان في الحديث- نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبيا: اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول عيسى: إن ربي قد غضب

اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله - ولم يذكر ذنبا - نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد r . فيأتون محمدا r فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي عز وجل ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب أمتي يا رب أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبصرى»[1].

ثم بين الشفاعة الثانية بقوله:

وثانيا يشفع في استفتاح	دار النعيم لأولي الفلاح
هذا وهاتان الشفاعتان	قد خصتا به بلا نكران

قوله **(وثانيا)** أي النوع الثاني من الشفاعة، وإنما ثنى به لأنه عام لكل الناس نفعه، خاص به r فضله وفعله، حيث **(يشفع)** فَيُشَفَّع **(في استفتاح)** أي طلب فتح **(دار النعيم)** وهي الجنة جعلنا الله وإياكم من أهلها **(لأولي)** أصحاب **(الفلاح)** أي الفوز بالجنة والنجاة من النار، فإنهم إذا تجاوزوا الصراط واقتص بعضهم من بعض وقفوا بباب الجنة حتى يأتي محمد r فيفتح لهم.

عن أنس بن مالك t قال: قال رسول الله r : «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت، فأقول محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»[2].

وعن أنس t عن النبي r قال: «أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة وأنا أول من

(1) البخاري (4712) واللفظ له ومسلم (194).

(2) صحيح مسلم (197) قال الألباني في الصحيحة (774): «وهذا إسناد صحيح وهو على شرط البخاري أيضا ولكنه لم يخرجه».

يقرع باب الجنة»[1].

قوله **(هذا)** للاستفتاح **(وهاتان الشفاعتان)** الأولى الشفاعة العظمى في فصل القضاء بين الناس والثانية الشفاعة في دخول الجنة **(قد خصتنا به)** أي محمد r لا يشاركه فيهما ملك مقرب ولا نبي مرسل **(بلا نكران)** من أحد من أهل السنة لأنه محل إجماع ولا عبرة بمن خالف من أهل الأهواء والضلال.

ثم ذكر النوع الثالث من الشفاعة وهو أن يشفع r فيمن دخل النار من عصاة المسلمين حتى يخرجوا منها ويدخلوا الجنة قال:

وثالثـــا يشـــفع في أقـــوام	مـاتوا علـى ديـن الهـدى الإسـلام
وأوبقتـــهم كثـــرة الآثـــام	فـأدخلوا النـار بـذا الإجـرام
أن يخرجـوا منـها إلى الجنـان	بفضـل رب العـرض ذي الإحسـان

قوله **(وثالثا)** أي وثالث أنواع الشفاعة هو أن **(يشفع)** محمد r **(في أقوام)** من عصاة المسلمين **(ماتوا)** حال كونهم **(على دين الهدى)** الذي هو **(الإسلام)** الذي لا يقبل الله تعالى غيره، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران 19]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران 85].

قوله **(وأوبقتهم)** أي مع إسلامهم قد حبستهم وأهلكتهم[2] **(كثرة الآثام)** والذنوب والمعاصي التي ارتكبوها **(فأدخلوا النار)** لما خفت موازينهم ورجحت سيآتهم لكثرتها على حسناتهم **(بذا الإجرام)** أي بسبب هذه الجرائم والمعاصي التي ارتكبوها. **(أن يخرجوا منها)** أي يشفع فيهم لكي يخرجوا من النار **(إلى الجنان)** فيدخلوا الجنة **(بفضل)** الله **(رب العرش)** العظيم **(ذي)** صاحب **(الإحسان)** على كل المسلمين.

عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r: «لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من

(1) مسلم (196).

(2) انظر القاموس ص 834.

مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا»[1].

عن حماد عن عمرو عن جابر t عن النبي r قال: «يخرج من النار بالشفاعة كأنهم الثعارير» قلت: ما الثعارير[2]، قال: الضغابيس[3] وكان قد سقط فمه، فقلت لعمرو بن دينار أبا محمد سمعت جابر t يقول: سمعت النبي r يقول: «يخرج بالشفاعة من النار قال: نعم»[4].

وشفاعاته r كثيرة منها زيادة على ما تقدم شفاعته في رفع درجات بعض أهل الجنة ومنها شفاعته في تخفيف عذاب بعض أهل النار ومنها شفاعته في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب... [5] وهلم جرا.

ولما أكمل الكلام على شفاعته r أشار إلى شفاعة غيره من المؤمنين بقوله:

وبعده يشفع كل مرسل   وكل عبد ذي صلاح وولي

قوله: **(وبعده)** أي بعد شفاعته r **(يشفع)** بعد إذنه تعالى **(كل مرسل)** ونبي عليهم أفضل الصلوات وأتم التسليم، **(وكل عبد)** من عباد الله **(ذي)** صاحب **(صلاح وولي)** والولي هو كل مؤمن تقي قال تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس 62-63].

ومن الأولياء الذين يشفعون يوم القيامة الشهداء.

فعن المقدام بن معدي كرب t قال: قال رسول الله r : «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعه، ويرى مقعده في الجنة ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه»[6].

---

(1) البخاري (6304) ومسلم (199) واللفظ له.

(2) جمع ثعرور وهو الغثاء الصغير أو أصل العنصل... انظر القاموس ص 324.

(3) الضغابيس صغار الغثاء ... مفردها ضُغْبوس انظر القاموس ص 498.

(4) البخاري 6558) واللفظ له ومسلم (191).

(5) انظر شرح الطحاوية ص: 232 فما بعدها.

(6) أحمد (17182) وابن ماجه (2799) وعبد الرزاق (9559) وفيه إسماعيل بن عياش وقد اضطرب فيه لكن تابعه بقية ـ وهومدلس وقد عنعن ـ عند الترمذي (1663) وتابعه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ـ وفيه ضعف ـ عند أحمد (17783).

وعن عمران بن عتبة قال: دخلنا على أم الدرداء ونحن أيتام فقالت أبشروا فإني سمعت أبا الدرداء t يقول: قال رسول الله r : «يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته»[1].

قوله (**ويخرج الله**) سبحانه وتعالى (**من النيران**) بسبب الشفاعات (**جميع**) كل (**من**) موصولة بمعنى الذي آمن بقلبه ولسانه وأركانه و (**مات على الإيمان**) أي على دين الإسلام ولكنه دخل النار لكثرة ذنوبه ومعاصيه فهذا لا يخلد في النار، بل يخرج منها بعد أن احترق ثم (**في نهر الحياة**) في الآخرة (**يطرحونا**) حال كونهم (**فحما**) أي حمما (**فيحيون**) حياة أبدية سرمدية (**وينبتون**) ثم بين صفة ذلك بقوله: (**كأنما ينبت في هيآته**) أي صفاته (**حب حميل السيل**) وهو الذي يكون بجانبه "والحِبة بالكسر بزور البقول وحَب الرياحين وقيل هو نبت صغير ينبت في الحشيش فأما الحبة بالفتح فهي الحنطة والشعير ونحوهما[2]" (**في حافاته**) أي جوانبه وأرجائه.

عن أبي سعيد الخدري t عن النبي r قال: «يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحيا أو الحياة ـ شك مالك ـ فينبتون كما تنبت الحِبة في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية»[3].

عن أنس t عن النبي r قال: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير»[4].

---

(1) أبو داود (2522) والبزار (4085) والآجري في الشريعة (813) والبيهقي (18527) وصححه الألباني.

(2) النهاية في غريب الحديث 326/1 وانظر الفتح 285/1.

(3) البخاري (22) ومسلم (183) واللفظ للبخاري.

(4) البخاري (44) واللفظ له ومسلم (193).

الركن السادس: الإيمان بالقدر

ثم بين الناظم الركن السادس من أركان الإيمان وهو الإيمان بالقدر فقال:

والسـادس الإيمـان بالأقـدار   فـأيقنن بهـا ولا تمـار
فكـل شـيء بقضـاء وقـدر   والكـل في أم الكتـاب مسـتطر
لا نـوء لا عـدوى ولا طـير ولا   عمـا قضـى الله تعـالى حـولا
لا غـول لا هامـة لا ولا صـفر   كمـا بـذا أخـبر سـيد البشـر

تعريفه:

قوله **(و)** الركن **(السادس)** من أركان الإيمان هو **(الإيمان بالأقدار)** جمع قدر أي الإيمان بالقدر وهو لغة: قال الجوهري: والقدَر والقدْر أيضا ما يقدره الله عز وجل من القضاء وأنشد الأخفش:

ألا يـا لقـومي للنوائـب والقـدر   وللأمر يأتي المرء من حيث لا يدري[1]

واصطلاحا: الإيمان اليقيني الجازم أنه لا يقع شيء في هذا الكون إلا بعد علمه تعالى وكتابته ومشيئته وإرادته.

قال ابن حجر العسقلاني: "المراد أن الله علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد فكل محدث صادر عن علمه وقدرته"[2].

قوله **(فأيقنن بها)** أي آمن بقضاء الله وقدره إيمانا يقينيا لا شك فيه **(ولا تمار)** أي لا تجادل في ذلك فإنه أصل أصيل من أصول الإيمان دلت عليه الآيات والأحاديث الكثيرة، **(فكل شيء)** يقع في هذا الكون فهو **(بقضاء وقدر)** علمه الله وكتبه وأراده، **(والكل)** أي كل شيء **(في أم الكتاب)** أي اللوح المحفوظ **(مستطر)** مكتوب بكل تفاصيله والمقصود أن الإيمان بالقدر خيره وشره لا بد منه لصحة الإيمان قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر 49]، وقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب 38]، وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان 2].

---

(1) الصحاح 635/1 والمصباح ص: 293.

(2) فتح الباري 2911/3.

أركانه:

وللإيمان بالقدر أركان هي:

1- الإيمان بعلم الله الشامل: المحيط بكل شيء ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه 7]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [القصص 69]، وقال: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق 12]، وقال: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الحشر 22]، وقال: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ 3]، بل كل مخلوق فهو دليل على علمه تعالى، قال ابن أبي العز: «المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان ما يستلزم علم الفاعل لها لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير علم»[1].

2- الإيمان بأن الله كتب في اللوح المحفوظ كل شيء: وذلك قبل خلق المخلوقات كلها كما في حديث عبد الله بن عمرو t أنه r قال: كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، ولفظ الترمذي: «قدر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة»[2].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ [الحج 70]، وقال: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس 12]، وقال: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام 59]، وقال: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد 22].

وعن عبادة بن الصامت t قال: قال رسول الله r: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب. فقال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد»[3].

---

(1) شرح الطحاوية ص: 141.

(2) مسلم (2653) والترمذي (2156) وقال حسن صحيح.

(3) الترمذي (2155) وأبو داود (4700) والطيالسي (578) وأحمد (22707) والبيهقي(20875) وصححه الألباني.

3- الإيمان بمشيئة الله الشاملة وقدرته الكاملة: فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود 107]، وقال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان 30]، وقال: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس 82]، وقال: ﴿مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام 39].

4- الإيمان بأن الله خالق كل شيء: فهو خالق المخلوقات وخالق أفعالها وأقوالها: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات 96]، وقال: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر 62]، وقال: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر 52]، وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر 86]، وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام 1].

ثمرات الإيمان بالقدر:

1- الحث على المسارعة في الأعمال الصالحة: فعن علي t قال: كان النبي r في جنازة فأخذ شيئا فجعل ينكت به الأرض فقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده في النار ومقعده في الجنة، قالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، فأما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل 5-6] الآية[1].

2- طريق الخلاص من الشرك:

فالمجوس جعلوا إلهين أحدهما للخير والآخر للشر، والفلاسفة جعلوا الخير من صنعه تعالى والشر من صنع غيره.

ولا يوحد الله إلا من أقر أن الله وحده خالق كل شيء في الكون، وأن إرادته نافذة ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فكل مكذب بالقدر قد أشرك مع الله غيره.

---

(1) البخاري (4949) واللفظ له ومسلم (2647).

3- معين على الصبر والاستقامة في السراء والضراء:

فالإيمان بالقدر يجعل الإنسان على منهج سوى لا تبطره النعمة وتيئسه المصيبة فهو يؤمن بأن كل شيء أصابه من خير أو شر من الله وقد كتبه الله قبل خلقه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آَتَاكُمْ﴾ [الحديد 22]، وقال: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل 53].

4- المؤمن بالقدر دائما على حذر:

فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، والأعمال بالخواتيم، ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف 99].

5- الثبات في الأزمات والمصائب:

لأن المؤمن بالقدر يعلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن الدنيا جميعا لا تملك له نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة وأن الناس لو اجتمعوا على نفعه أو ضره ما استطاعوا إلا بإذنه تعالى.

فعن ابن عباس t أنه r قال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»[1].

---

(1) أحمد (2669) وفيه قيس بن الحجاج -وهو الكلاعي السُّلفي المصري- روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال أبو حاتم: صالح، وقال في "التقريب": صدوق، وحديثه عند الترمذي وابن ماجه، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين غير حنش الصنعاني -وهو ابن عبد الله- فمن رجال مسلم. و رواه الترمذي (2516) وقال هذا حديث حسن صحيح وأبو يعلى (2556) والحاكم 541/3، انظر تحقيق المسند ط: الرسالة.

المذاهب في مسألة القدر:

ومع وضوح الأدلة الشرعية في باب القضاء والقدر فقد اختلف الناس فيه إلى مذاهب منها أهل إفراط ومنها أهل تفريط وفاز أهل السنة بالوسط :

أ- القدرية: وهم الذين نفوا القدر بل زعموا أن الله لا يعلم الأمور قبل وقوعها وأنه أمر العباد ونهاهم ولا يعلم من سيطيع ممن يعصي؟!! وأول من قال بذلك معبد الجهني ثم غيلان الدمشقي وعنه أخذته رؤوس المعتزلة كواصل بن عطاء الغزال وعمرو بن عبيد والجعد بن درهم وأضرابهم.

وهؤلاء أهل التفريط بل هم مجوس هذه الأمة وقد تبرأ منهم الصحابة ونص على كفرهم غير واحد من الأئمة كمالك والشافعي وأحمد[1].

ب- الجبرية: وقد غلوا في إثبات القدر حتى أنكروا أن يكون للعبد فعل حقيقة بل هو في زعمهم لا حرية له ولا اختيار ولا فعل كريشة في مهب الرياح، وعندهم أن إسناد الأفعال إليه مجازي، فهذا غاية الإفراط بل هو اتهام الشارع بالعبث في تكليف العباد وإبطال للحكمة من الأمر والنهي ألا ساء ما يحكمون[2].

ج- مذهب أهل السنة وهم الوسط العدل الخيار:

قال ابن تيمية: "مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب ما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان وهو أن الله خالق كل شيء ومليكه وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد، وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلا يكون شيء إلا بمشيئته وقدرته لا يمتنع عليه شيء بل هو القادر على كل شيء ولا يشاء شيئا إلا وهو قادر عليه. وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم وقدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وكتب

(1) الفرق بين الفرق ص 18-19 ومجموع الفتاوى 288/8 وعقيدة السفاريني 301/1.

(2) الملل والنحل للشهرستاني ص 69.

ذلك وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة.

فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء وقدرته على كل شيء ومشيئته لكل ما كان وعلمه بالأشياء قبل أن تكون وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون"[1].

ثم ذكر المصنف بعض المسائل المنافية للإيمان بالقدر فقال: **(لا نوء)** قال الجوهري: "ناء ينوء نوءا نهض بجهد ومشقة وناء سقط وهو من الأضداد... إلى أن قال: والنوء سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته في كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوما وهكذا كل نجم منها إلى انقضاء السنة، ما خلا الجبهة فإن لها أربعة عشر يوما.

قال أبو عبيد: لم نسمع في النوء أنه السقوط إلا في هذا الموضع.

وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والبرد إلى الساقط منها وقال الأصمعي إلى الطالع منها في سلطانه فتقول: مطرنا بنوء كذا والجمع أنواء ونوآن مثل عبد وعبدان»[2].

والمقصود إبطال ما كان عليه أهل الجاهلية من الاعتقاد في النجوم فإنهم يعتقدون أن لمطالع الكواكب ومغاربها وسيرها وانتقالها وافتراقها تأثيرا في هبوب الرياح وسكونها وفي مجيء المطر وتأخره وفي رخص الأسعار وغلائها وغير ذلك فإذا وقع شيء من الحوادث نسبوه إلى الثريا أو المريخ أو المشتري وهلم جرا.

عن زيد بن خالد الجهني t أنه قال: صلى لنا رسول الله r صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب»[3].

---

(1) مجموع الفتاوى 449/8 - 450.

(2) الصحاح للجوهري 114/1 والنهاية في غريب الحديث 122/5.

(3) البخاري (846) واللفظ له ومسلم (71).

قوله (**لا عدوى**) إشارة إلى حديث أبي هريرة t عن النبي r قال: «لا عـدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم كما تفر من الأسد»[1].

المراد بنفي العدوى أن شيئا لا يعدي بطبعه نفيا لما كانـت الجاهليـة تعتقـده أن الأمراض تعدي بطبعها من غير إضافة إلى الله تعالى، فأبطل الـنبي صـلى الله عليـه وسلم اعتقادهم ذلك، وأكل مع المجذوم ليبين لهم أن الله هـو الـذي يمـرض ويشـفي ونهاهم عن الدنو منه ليبين لهم أن هذا من الأسباب الـتي أجـرى الله العـادة بأنهـا تفضي إلى مسبباتها، ففي نهيه إثبات الأسباب وفي فعله إشارة إلى أنها لا تستقل، بل الله هو الذي إن شاء سلبها قواها فلا تؤثر شيئا وإن شاء أبقاها فأثرت»[2].

والمقصود أن نفي العدوى مطلق على عمومـه وفيـه إفـراد الله سـبحانه وتعـالى بالتصرف في خلقه، وأنه مالك الخير والشر وبيده النفع والضر، لا مانع لمـا أعطـى ولا معطي لما منع، ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، وفي ذلك تقوية لقلوب المؤمنين وإمداد لهم بقوة التوكل وصحة اليقين[3].

عن أبي هريرة t عن النبي r قـال: «لا عـدوى ولا صـفر ولا هامـة» فقـال أعرابي: يا رسول الله: فما بال إبلـي تكـون في الرمـل كأنهـا الظبـاء فيـأتي الـبعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها فقال: «فمن أعدى الأول»[4].

قوله (**ولا طير**) هذا إشـارة إلى الحـديث السـابق: «لا عـدوى ولا طـيرة ... » الحديث. قال ابن الأثير: "الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن هـي التشـاؤم بالشيء وهو مصدر تطير، يقال: تطير طيرة وتخير خيرة، ولم يجئ من المصـادر هكـذا غيرهما وأصله فيما يقال التطير بالسوائح والبوارح من الطـير والظبـاء وغيرهمـا، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع وأبطله، ونهى عنه وأخبر أنه ليس له

(1) البخاري (5707) واللفظ له ومسلم (2220).

(2) انظر فتح الباري 2532/3.

(3) انظر مختصر معارج القبول ص: 249.

(4) البخاري (5717) واللفظ له ومسلم (2220).

تأثير في جلب نفع أو دفع ضر"[1].

عن ابن مسعود t قال قال رسول الله r : «الطيرة شرك الطيرة شرك الطيرة شرك ثلاثا »[2].

وعن عمران بن حصين t أنه r قال: «ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد r »[3].

والمقصود إبطال ما كانت تفعله أهل الجاهلية من التشاؤم ببعض الحيوانات أو الكلمات أو الأوقات أوالأمكنة أوالأحوال أو غير ذلك

قوله **(ولا عما)** موصولة بمعنى الذي **(قضى الله)** حكم وأراد **(تعالى)** تنزه وتقدس **(حولا)** وسيلة لصرفه ودفعه بل لا حول ولا قوة إلا بالله، ما شاء الله كان فهو ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج 16].

قوله **(لا غول)** قال ابن الأثير: "الغول أحد الغيلان وهي جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس فتتغول تغولا أي تتلون تلونا في صور شتى وتغولهم أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم فنفاه النبي r وأبطله، وقيل: قوله: لا غول، ليس نفيا لعين الغول ووجوده وإنما فيه إبطال زعم العرب في تلونه بالصور المختلفة واغتياله»[4].

والمقصود أن الغول: كائن خيالي خرافي لا وجود له في الواقع، ومن المعلوم أن الإسلام جاء لتصحيح عقائد الناس وإبطال الخرافات والخزعبلات.

قوله **(لا هامة لا)** الهامة من طير الليل وذلك أنهم في الجاهلية كانوا يتشاءمون

---

(1) النهاية في غريب الحديث 152/2 وانظر الصحاح 592/1 والمصباح ص: 228.

(2) أبو داود (3910) والترمذي (1614) وأحمد (3687) ورجاله رجال الشيخين غير علي بن عاصم الأسدي وهو ثقة روى له أصحاب السنن عدا النسائي.

(3) عبد الرزاق (20351) والطبراني (14770) وقال الهيثمي (11715) رجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة، وحسنه الألباني في غاية المرام (289).

(4) النهاية لابن الأثير 396/3 والصحاح للجوهري 1331/2 والقاموس ص: 937 وفتح الباري 2532/3.

بها وقيل هي البومة، وكانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامة فتزقو عند قبره تقول: اسقوني، اسقوني، فإذا أدرك بثأره طارت وهذا المعنى هو ما أراد الشاعر بقوله:

ومنا الذي أبكى صدي بن مالك ونفر طيرا عن جعادة وقعا

يقول: قتل قاتله فنفرت الطير عن قبره.

وقيل: كانوا يزعمون أن عظام الميت وقيل روحه تصير هامة فتطير ويسمونها الصدى فنفاه الإسلام ونهاهم عنه[1] لأنه خرافات مخالفة للعقل والشرع.

قوله **(ولا صفر)** قال ابن الأثير: "كانت العرب تزعم أن في البطن حية يقال لها الصفر تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه، وأنها تعدي بل هي أعدى من الجرب، فأبطل الإسلام ذلك" وهذا هو قول الجمهور أبو عبيدة والبخاري ،

وقيل: أراد به النسيء الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية وهو تأخير المحرم إلى صفر ويجعلون صفر هو الشهر الحرام، فأبطله الإسلام وهذا مروي عن مالك[2].

(كما) مثل الذي **(أخبر)** الصادق المصدوق الذي هو **(سيد البشر)** r في الحديث المتفق عليه.

مرتبة الإحسان

وثالث مرتبة الإحسان وتلك أعلاها لدى الرحمن

وهي رسوخ القلب في العرفان حتى يكون الغيب كالعيان

(وثالث) أي وثالث المراتب بعد الإسلام والإيمان هي **(مرتبة الإحسان)** وهو لغة الإخلاص و الإتقان تقول أحسنت كذا إذا أتقنته [3]، وهي غاية استشعار مراقبة الله للعبد في كل أعماله وأقواله. **(وتلك)** المرتبة هي **(أعلاها)** أي أعلى المراتب الثلاث **(لدى)** عند **(الرحمن)** سبحانه وتعالى وإنما كانت مرتبة الإحسان أعلى من

(1) الصحاح 1518/2 والنهاية لابن الأثير 283/5 والقاموس ص: 1057.

(2) النهاية لابن الأثير 35/3 وفتح الباري 2536/3.

(3) انظر لسان العرب 117/13

الإسلام والإيمان لأنك لا تصل إلى هذه المرتبة حتى تحصل على المرتبتين السابقتين لهذا كان أهل هذه المرتبة أقل من أهل مرتبة الإيمان وأهل مرتبة الإيمان أقل من أهل مرتبة الإسلام، وأما خصال مرتبة الإحسان فهي أكثر من سابقتيها لترتبها عليهما.

ثم عرفها بقول: **(وهي)** أي مرتبة الإحسان **(رسوخ القلب)** أي تجذره وزيادته **(في العرفان)** بسبب الإخلاص لله تعالى مع الخشوع والخضوع له وعظيم مراقبة المعبود والإكثار من النوافل مع الفرائض **(حتى يكون)** يصير **(الغيب كالعيان)** إشارة لقوله ﷺ ـ في حديث عمر المتقدم ـ : «أن تعبد الله كأنك تراه».

لقد جاء الإحسان مقرونا بالإيمان كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف 30]، و مقرونا بالإسلام نحو: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [لقمان 22]، و مقرونا بالتقوى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل 128]، وقد يذكر مفردا كقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس 26].

ولمرتبة الإحسان مقامان هما:

1- مقام الإخلاص: وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه واطلاعه عليه وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله لأن استحضار ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بالعمل، أي أن يستحضر أن الحق مطلع عليه يرى كل ما يعمل وهو قوله: «فإنه يراك».

2- مقام المشاهدة: وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله بقلبه وهو أن يتنور القلب بالإيمان وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب كالعيان والمشاهدة.

أي أن تغلب عليه مشاهدة الحق بقلبه حتى كأنه يراه بعينه وهو قوله: «كأنك تراه» أي وهو يراك[1].

(1) جامع العلوم والحكم ص: 80-81 وفتح الباري 305/1-306.

الخلاصة:

1- الدين (الإيمان) قول وعمل ويزيد وينقص

2- مراتب الدين ثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان.

3- الإسلام له خمسة أركان هي: الشهادتان والصلاة والزكاة والصوم والحج.

4- للإيمان ستة أركان هي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر.

5- الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه.

الأسئلة:

1- كم مراتب الدين الإسلامي؟

2- ما هي أركان الإسلام؟ عرف كلا منها؟

3- كم عدد أركان الإيمان؟ اشرح كلا منها؟

4- هل الإيمان قول فقط؟

5- ما هو الإحسان؟

6- ماهي أنوع الشفاعات؟

7- 8- ما أنواع علامات الساعة؟

9- تحدث عن معالم يوم القيامة.

10 ما هي المذاهب في مسألة القدر؟

فصل
في كون الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وأن فاسق أهل الملة لا يكفر بذنب دون الشرك إلا إذا استحله، وأنه تحت المشيئة وأن التوبة مقبولة ما لم يغرغر

أهم المسائل:

1- زيادة الإيمان ونقصانه.
2- تفاضل أهل الإيمان فيه.
3- لا يكفر المسلم بما دون الشرك ما لم يستحله.
4- المؤمن الفاسق لا يخلد في النار.
5- المؤمن الفاسق تحت مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه.
6- التوبة مقبولة ما لم يغرغر العبد.
7- يغلق باب التوبة بطلوع الشمس من مغربها.

النص:

وفيه أحد عشر بيتا (11):

226/1 إيمانُنَا يَزِيدُ بالطَّاعاتِ ... وَنَقْصُهُ يَكُونُ بِالزَّلَّاتِ

227/2 وَأَهْلُهُ فِيهِ عَلَى تَفاضُلِ ... هَلْ أَنْتَ كَالأَمْلاكِ أَوْ كالرُّسُلِ

228/3 والفاسِقُ الْمِلِّيُّ ذُو العِصْيانِ ... لَمْ يُنْفَ عَنْهُ مُطْلَقُ الإيمانِ

229/4 لَكِنْ بِقَدْرِ الفِسْقِ والْمَعاصِي ... إيمانُهُ مَا زالَ فِي انْتِقاصِ

230/5 وَلاَ نَقُولُ إنَّهُ فِي النارِ ... مُخَلَّدٌ بَلْ أَمْرُهُ لِلبارِي

231/6 تَحْتَ مَشِيئَةِ الإلَهِ النَّافِذَهْ ... إنْ شَا[1] عَفَا عَنْهُ وإنْ شَا آخَذَهْ

232/7 بِقَدْرِ ذَنْبِهِ إلَى الْجِنانِ ... يُخْرَجُ إنْ ماتَ عَلَى الإيمانِ

---

(1) (إن شا) بحذف الهمزة في الموضعين للوزن.

233/8 والعَرْضُ تَيْسِيرُ الْحِسابِ فِي النَّبَا وَمَـنْ يُنَاقَشِ الْحِسَابَ عُـذِّبَا
234/9 وَلاَ نُكَفِّـرْ[1] بِالْمَعاصِـي مُؤْمِنَـا إلاَّ مَـعَ اسْـتِحْلالِهِ لِمَـا جَنَـى
235/10 وَتُقْبَـلُ التَّوْبَـةُ قَبْـلَ الغَرْغَـرَهْ كَمَا أَتَى فِـي الشِّـرْعَةِ الْمُطَهَّـرَهْ
236/11 أَمَّـا مَتَـى تُغْلَـقُ عَـنْ طالِبِهَـا فَبِطُلُـوعِ الشَّـمْسِ مِـنْ مَغْرِبِهَـا

الشرح:

زيادة الإيمان :

(إيماننا) معشر المسلمين **(يزيد)** بسبب فعل **(الطاعات)** اعتقادية أو قولية أو فعلية **(و)** في المقابل **(نقصه)** أي الإيمان **(يكون بـ)** سبب ارتكاب **(الزلات)** من الذنوب والمعاصي.

وزيادة الإيمانه ونقصانه محل إجماع بين أهل السنة والجماعة، وهو المنقول عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين[2].

وهذه المسألة مترتبة على مسألة هل تدخل الأعمال في مسمى الإيمان، كما هو مذهب أهل السنة ؟ أم لا تدخل فيه فمن قال بدخول الأعمال في الإيمان قال بزيادة الإيمان وهو الحق الذي لا شك فيه قال تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح 4]، وقال: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر 31]، وقال: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة 124]، وقال: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال 2]، وقال: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ [آل عمران 173]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد 17].

وعن أبي هريرة t أنه r قال: «الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان»[3]. ولمسلم: «الإيمان بضع وسبعون -أو بضع وستون- شعبة فأفضلها قول

(1) جزمه الناظم مع تجرده من الجازم للوزن ولو قال " لا تكفر" لكان أفضل معنى ووزنا.

(2) التمهيد لابن عبد البر 211/4.

(3) البخاري (09) ومسلم (35).

لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»[1].

وفي حديث ابن عباس t في قصة وفد عبد القيس أنه r قال لهم: «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس...»[2].

وعن أنس t عن النبي r قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[3].

وعن أبي هريرة t أن رسول الله r قال: «فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده»[4].

وعن أنس t أنه r قال: «آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار»[5].

وعن عبد الله بن مسعود t أن رسول الله r قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[6].

وعن أبي سعيد الخدري t أنه r قال: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[7].

(1) مسلم (35/153).
(2) البخاري (53) ومسلم (17).
(3) البخاري (13) ومسلم (45).
(4) البخاري (14) ومسلم (44).
(5) البخاري (17) ومسلم (74).
(6) مسلم (50).
(7) صحيح مسلم (49).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والمأثور عن الصحابة وأئمة التابعين وجمهور السلف وهو مذهب أهل الحديث وهو المنسوب إلى أهل السنة أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وأنه يجوز الاستثناء فيه"[(1)].

تفاضل أهل الإيمان:

ثم بين مسألة تفاضل أهل الإيمان فيه وهي كسابقتها مبنية على مسألة دخول الأعمال في مسمى الإيمان فقال:

وأهلــه فيــه علــى تفاضــل هــل أنــت كــالأملاك أو كالرســل

قوله **(وأهله)** أي الإيمان **(فيه)** أي في درجاته ومراتبه **(على تفاضل)** بحسب إكثارهم من الطاعات وبعدهم عن السيئات فمنهم السابقون المقربون ومنهم الأبرار أهل اليمين: ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ [الجن 11]. **(هل أنت)** أيها المؤمن **(كالأملاك)** جمع ملك **(أوك)** مثل **(الرسل)** في قوة الإيمان وزيادته؟! كما تدعيه المرجئة زورا وبهتانا لأن الإيمان عندهم شيء ذهني لا يزيد ولا ينقص لأنه مجرد اعتقاد لا يصاحبه عمل.

والنصوص الكثيرة تدل على تفاضل أهل الإيمان فيه:

قال تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة 7-11]، وقال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر 32]، وقال: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين 18-21].

وعن أبي موسى الأشعري t قال: قالوا يا رسول الله: أي الإسلام أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»[(2)].

(1) مجموع الفتاوي 505/7.

(2) البخاري (11) ومسلم (42)

وعن عبد الله بن عمرو t أن رجلا سأل النبي r أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»[1].

عن أبي سعيد الخدري t قال: قال رسول الله r : «بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره» قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: «الدين»[2].

والمقصود أن المؤمنين متفاوتون في الدين بتفاوت الإيمان في قلوبهم متفاضلون فيه بحسب ذلك، فأفضلهم أولو العزم من الرسل وأدناهم المخلطون من أهل التوحيد وبين ذلك مراتب ودرجات كثيرة لا يعلمها إلا الله.

كما يتفاوتون في مبلغ الإيمان من قلوبهم يتفاوتون في الأعمال الظاهرة، بل يتفاضلون في فعل عمل واحد في وقت واحد، فإن الجماعة التي نراها تصلي في صف واحد يتفاوتون في الخشوع والخضوع والتلاوة والركوع والسجود ...إلخ

ولما تفاضل عمل أهل الإيمان تفاوتت مراتبهم في الجنة يوم القيامة، حتى إنهم يتراءون أهل الغرف فوقهم كما نرى النجم في أفق السماء، وتفاوتت أيضا مراتبهم في المرور فوق الصراط بحسب ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "اسم الإيمان يستعمل مطلقا ويستعمل مقيدا، وإذا استعمل مطلقا فجميع ما يحبه الله ورسوله من أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة يدخل في مسمى الإيمان عند عامة السلف والأئمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم الذين يجعلون الإيمان قولا وعملا يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويدخلون جميع الطاعات فرضها ونفلها في مسماه وهذا مذهب الجماهير من أهل الحديث والتصوف والكلام والفقه من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم"[3].

---

(1) البخاري (12) ومسلم (39).

(2) البخاري كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ح(23) ومسلم (2390).

(3) مجموع الفتاوي 642/7.

حكم الفاسق الملي :

ثم بين المصنف حكم الفاسق "العاصي" وأنه مؤمن ناقص الإيمان فقال:

والفاسق الملي ذو العصيان — لم ينف عنه مطلق الإيمان
لكن بقدر الفسق والمعاصي — إيمانه ما زال في انتقاص
ولا نقول إنه في النار — مخلد بل أمره للباري
تحت مشيئة الإله النافذه — إن شا عفا عنه وإن شا أخذه
بقدر ذنبه إلى الجنان — يخرج إن مات على الإيمان

قوله **(و)** المؤمن **(الفاسق)** العاصي **(الملي)** نسبة إلى الملة أي الديانة والمقصود الدين الإسلامي **(ذو)** صاحب **(العصيان)** وهو ارتكاب الذنوب والمعاصي **(لم ينف عنه)** عند أهل السنة والجماعة من السلف والخلف **(مطلق الإيمان)** فهو مؤمن لكنه ناقص الإيمان لذلك قال **(لكن)** للاستدراك **(بقدر)** ارتكابه **(الفسق)** الأصغر **(والمعاصي)** من الكبائر والصغائر **(إيمانه ما زال)** دائما **(في انتقاص)** أي ينقص إيمانه بحسب ارتكابه للمعاصي، فكلما ازدادت ذنوبه ضعف إيمانه لكنه لا يخرج من مطلق الإيمان كما لا يصدق عليه الإيمان المطلق لأنه ليس مؤمنا كامل الإيمان[1].

قوله **(ولا نقول)** معاشر أهل السنة **(إنه في النار مخلد)** كما تقول الوعيدية من الخوارج والمعتزلة. **(بل)** حرف إضراب **(أمره للباري)** أي الخالق سبحانه وتعالى لأنه ما زال في مطلق الإيمان فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه بذنوبه **(تحت مشيئة)** وإرادة **(الإله)** سبحانه **(النافذة)** التي لا راد لها: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس 82]. **(إن شا)** الله تعالى **(عفا عنه)** بمحض فضله وكرمه قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ **(وإن شا آخذه)** أي عاقبه بعدله وإحسانه **(بقدر ذنبه)** تكون المؤاخذة والمعاقبة، ثم بعد أن يدخل في النار بحسب ذنوبه ومعاصيه **(إلى الجنان)** يدخل بعد

(1) التمهيد لابن عبد البر 211/4.

أن (**يخرج**) من النار بشرط (**إن**) كان قد (**مات على الإيمان**) سالما من الشرك.

واعلم أن المذاهب في هذه المسألة ثلاثة: إفراط وتفريط ووسط، فالإفراط مذهب الخوارج الذين يكفرون بالذنوب والمعاصي والمعتزلة الذين يعتبرون الفاسق ليس مؤمنا وإنما هو منزلة بين الإيمان والكفر.

والتفريط مذهب المرجئة الذين قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا تنفع مع الكفر طاعة، واعتبروا الفاسق مؤمنا كامل الإيمان.

وتوسط أهل السنة والجماعة تأسيا بالسلف الصالح فقالوا: الفاسق من أهل الملة لا ينفى عنه مطلق الإيمان بفسوقه ولا يوصف بالإيمان التام بسبب فسقه بل هو مؤمن ناقص الإيمان، أو قل مؤمن بإيمانه فاسق بعصيانه، فلا يعطى الاسم المطلق، (المؤمن) ولا يسلب مطلق الاسم (مؤمن)[1].

قال ابن تيمية: "والتحقيق أن يقال إنه مؤمن ناقص الإيمان مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ولا يعطى اسم الإيمان المطلق، فإن الكتاب والسنة نفيا عنه الاسم المطلق واسم الإيمان يتناوله فيما أمر الله به ورسوله لأن ذلك إيجاب عليه وتحريم عليه وهو لازم له كما يلزمه غيره، وإنما الكلام في اسم المدح المطلق"[2].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات 6]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة 282].

وعن أبي سعيد الخدري t أنه r قال: «يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحيا أو الحياة -شك مالك- فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية»[3].

---

(1) التمهيد لابن عبد البر 211/4 ومجموع الفتاوى 353/07.

(2) مجموع الفتاوى 241/7.

(3) البخاري (22) واللفظ له ومسلم (183).

حكم التكفير بالمعاصي :

ثم بين حكم الفاسق وأنه لا يكفر بالمعاصي ما لم يستحلها فقال:

ولا نكفـــر بالمعاصـــي مؤمنـــا إلا مـــع اســـتحلاله لمـــا جـــنى

قوله (**ولا نكفر**) نحن أهل السنة (**بـ**) سبب (**المعاصي**) التي دون الكفر ولو كانت كبائر (**مؤمنا**) لا يشرك بالله شيئا (**إلا**) أداة استثناء (**مع استحلاله**) أي اعتباره حلالا (**لما**) أي للذي (**جنى**) أي ارتكب من المعاصي المعلومة من الدين بالضرورة كالزنا وشرب الخمر والسرقة والمعنى أن أهل السنة لا يكفرون الفاسق بارتكابه للمعاصي غير المكفرة ما لم يستحلها، فإن استحلها كان كافرا من جملة الكفار.

واعلم أن المعاصي غير المكفرة التي يكفر باستحلالها هي المعلوم من الدين بالضرورة المجمع عليه أو المشهور المنصوص، قال في المراقي:

والكـــافر الجاحـــد مـــا قـــد أجمعـــا عليـــه ممـــا علمـــه قـــد وقعـــا

عـــن الضـــروري مـــن الـــديني ومثلـــه المشـــهور في القـــوي

إن كـــان منصوصـــا وفي الغـــير اختلـــف إن قـــدم العهـــد بالاســـلام الســـلف

قال الشنقيطي: "يعني أن الذي يوجب الكفر هو إنكار ما علم من الدين بالضرورة أنه يعلمه كل أحد من غير قبول التشكيك فيه بحال كوجوب الصلاة وحرمة الزنا -إلى أن قال- وإنما حكم بتكفير منكر ما علم من الدين بالضرورة لأنه مكذب لرسول الله r "[1].

غلق باب التوبة :

ثم ختم هذا الباب ببيان متى يغلق باب التوبة وهي المسألة السادسة والأخيرة فقال:

وتقبـــل التوبـــة قبـــل الغرغـــره كمـــا أتـــى في الشـــرعة المطهـــره

أمـــا مـــتى تغلـــق عـــن طالبـــها فبطلـــوع الشـــمس مـــن مغربهـــا

(1) نثر الورود 2/439 - 440.

(وتقبل التوبة) من كل من تاب إلى الله تعالى توبة صحيحة مستوفية شروطها التالية:

1- أن تكون خالصة لوجه الله.

2- الندم الشديد على فعل الذنب.

3- الإقلاع عن الذنب.

4- العزم الجازم الأكيد.

5- استبدال المعصية بالطاعة وقرناء السوء بالرفقة الطيبة الصالحة.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر 53-54]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران 135]، وقال: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور 31].

وعن أبي هريرة t عن النبي r أنه قال: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خيرٍ منهم، وإن تقرب إلي بشبرٍ تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقرّبت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة »[1].

قوله **(قبل الغرغره)** وهي تردد الروح في الحلق[2]، أي حشرجة الروح في الصدر **(كما أتى في الشرعة المطهرة)** كتابا وسنة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ

(1) البخاري (7405) واللفظ له ومسلم (2675).

(2) الصحاح 623/1.

عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء 17-18]،

وعن ابن عمر t عن النبي r قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»[1].

فهذا توقيت انتهاء التوبة في حق كل فرد من العباد، وأما وقت إغلاق باب التوبة في حق عمر الدنيا فبينه بقوله **(وأما متى)** أي الوقت الذي **(تغلق)** أبواب التوبة **(عن طالبها)** الذي جاء نادما منكسرا **(فـ)** يكون **(بطلوع الشمس من مغربها)** التي هي من علامات الساعة الكبرى المؤذنة بفناء هذا الكون.

فعن أبي موسى t عن النبي r قال: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»[2].

وعن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r : «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾ [الأنعام 158] ثم قرأ الآية»[3].

---

(1) أحمد (6160) و(6408) ورجاله ثقات سوى عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وهو حسن الحديث، ورواه الترمذي (3537) وابن ماجه (4253) وصححه ابن حبان (628) والحاكم (257/4، وحسنه الترمذي والألباني وله شاهد عن ابن عمرو عند أحمد (6920) انظر تحقيق المسند ط: الرسالة.

(2) مسلم (2759).

(3) البخاري (4636) ومسلم (157).

تكميل:

أولا: نواقض الإيمان[1]:

فكما أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل فكذلك نواقضه تكون بالاعتقاد، أو القول، أو العمل فأي أمر يمس دين الإسلام، أو تشريعه، أو رسوله صلى الله عليه وسلم، أو سنته ؛ بطعن، أو تنقيص، أو استهزاء، أو تكذيب، أو شك، يعتبر ناقضاً من نواقض الإيمان، وردة عن الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (66)﴾ التوبة.

وعرفه ابن حزم بقوله: "صفة من جحد شيئا مما افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق إليه، بقلبه دون لسانه أو بلسانه دون قلبه أو بهما معا، أو عمل عملا جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان"[2].

وللزيادة في الإيضاح؛ نذكر بعض الأمثلة - على سبيل المثال لا الحصر - لأقسام نواقض الإيمان الثلاثة: الاعتقاد، والفعل، والقول.

الأول: نواقض الإيمان الاعتقادية:

وهي كثيرة نذكر منها:

1- الجحد، أو الشك في وجود الله سبحانه وتعالى، أو الاعتقاد بأن لله تعالى

(1) انظر كتاب نواقض الإيمان القولية والعملية للشيخ عبد العزيز عبد اللطيف، والإيمان: حقيقته، خوارمه، نواقضه: د عبد الله بن عبد الحميد الأثري، ونواقض الإيمان الاعتقادية للوهيبي، وشرح منظومة الإيمان للشيخ بشير محمد عصام المراكشي.

(2) إحكام الأحكام لابن حزم 65/1.

شريكاً في ربوبيته أو ألوهيته جل وعلا.

2- التكذيب أو الشك في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم أوجحد عموم رسالته، أوختمه للنبوة، أو إنكار بعض ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم أو الطعن فيه بعد ثبوته.

3- الاعتقاد بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً مما أوحى الله تعالى إليه وهو مأمور بتبليغه، أو بلغه لبعض المسلمين دون بعض.

4- التكذيب أو الشك في شيء من أركان الإسلام الخمسة، أو أركان الإيمان الستة، كالجنة والعقاب، أو الملائكة.

5- إنكار شيء من القرآن، أو اعتقاد زيادة فيه، أو الاعتقاد أن للقرآن ظاهراً وباطناً، وأن باطنه يخالف ظاهره، وأن هذا الباطن مخصوص للبعض دون بعض.

6- الإيمان بشريعة غير الإسلام، أواعتقاد صلاحيتها للبشر والعمل بها، أوتطبيقها.

7- اعتقاد عدم كفر الكفار من الملحدين والمشركين والمرتدين، أو الشك في كفرهم، أو موالاتهم على حساب الدين.

8- الاعتقاد بأن الكنائس بيوت الله - جل وعلا - ، وأن ما يفعله اليهود والنصارى عبادة لله، وطاعة له - سبحانه - ولأنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام.

9 - جحد وجوب شيء معلوم من الدين بالضرورة؛ كوجوب التحاكم إلى شرع الله وحده ووجوب الصلوات الخمس، والزكاة، والصوم، والحج وغيرها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه أو حرم الحلال المجمع عليه أو بدل الشرع المجمع عليه كان كافرا باتفاق الفقهاء»[1].

10- اعتقاد تحريم مباح معلوم من الدين بالضرورة؛ كالبيع والنكاح، أو اعتقاد إباحة محرم معلوم من الدين بالضرورة؛ كالقتل، والزنا، والربا، أو إعطاء غير الله

(1) مجموع الفتاوى 267/3.

تعالى حق الأمر والنهي، وحق التحليل والتحريم، وحق التشريع، أو اعتقاد جواز الاحتكام إلى غيره تعالى. . قال صاحب المراقي:

والكافر الجاحد ما قد أجمعا ... عليه مما علمه قد وقعا

عن الضروري من الديني ... ومثله المشهور في القوي

وقال المؤلف عند شرحه لهذين البيتين: «يعني أنهم كفَّروا إجماعا جاحد الحكم المجمع عليه المعلوم أي المقطوع كونه من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة والصوم والزكاة والحج ووجوب اعتقاد التوحيد والرسالة وتحريم الخمر والزنا ولو كان مندوبا أو جائزا كحلية البيع والإجارة»[1].

11- ادعاء أن غير الله يعلم الغيب المطلق أو أنه يوحى إليه عن طريق الكشف والإلهام أو غير ذلك .

12- اعتقاد أن الحدود أوغيرها من أحكام الشرع فيها همجية أوعنف أو تخلف أوالأفضل استبدالها بغيرها.

قال محمد قطب: "بل هم يكفرون بالتشريع ولو لم يرتكبوا المعصية بأنفسهم، فالذي يقول بلسانه أو بفعله إن الله أمر بقطع يد السارق ولكنني أرى أن العقوبة المناسبة للسارق هي السجن -وهو ما تفعله العلمانية الجاهلية- فقد كفر بذلك، وإن لم يسرق بنفسه، ولم يفكر في السرقة. والذي يقول –بلسانه أو بفعله- إن الله أمر برجم الزاني المحصن وجلد الزاني غير المحصن ولكنني أرى أنه لا عقوبة على الزنا إن كان برضا الطرفين البالغين الراشدين –أي إن لم تكن الفتاة قاصرا ولم تكن شكوى من أحد الزوجين فإن كان هناك اغتصاب أو اشتكى أحد الزوجين فالعقوبة هي السجن - وهو ما تفعله العلمانية الجاهلية- فقد كفر بذلك وإن لم يرتكب الفاحشة بنفسه ولم يفكر في ارتكابها، وكذلك كل شرع من شرع الله من اعتقد بأفضلية غيره عليه أو حتى مساواته معه فعدل عنه إلى غيره أو رضي بغيره ولم

(1) نشر البنود لسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم 245/2. وانظر نثر الورود لمحمد الأمين الشنقيطي 439/2.

يجاهده بيده أو بلسانه أو بقلبه فقد خرج من دائرة الإيمان وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم"[1].

13- الاعتقاد بأن البعض يسعه الخروج عن شريعة الإسلام، أوأنه يجوز للشخص أن يلتزم بدين آخر غير الإسلام.

14- الاعتقاد بأن جمهور الصحابة - رضي الله عنهم - ارتدوا، أو فسقوا؛ بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

15- الرضا بالكفر، أوالعزم على الكفر، أو تعليق الكفر بأمر مستقبل.

16- من ضحك لمن تكلم بالكفر مع الرضا به.

17- اعتقاد جواز سن تشريعات في الأموال والأنفس تخالف شرع الله،

قال سيد قطب : " فالجاهلية الحاضرة تتصرف كذلك في الأموال بما لم يأذن به الله وعندئذ تلتقي في الشرك مع الجاهليات القديمة، تلتقي في الأصل والقاعدة فالجاهلية هي كل وضع يتصرف في شؤون الناس بغير شريعة من الله، ولا عبرة بعد ذلك باختلاف الأشكال التي يتمثل فيها هذا التصرف "[2].

18- اعتقاد وحدة الوجود أو حلول الله في خلقه كلهم أو بعضهم أو اتحاده معهم تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

19- اعتقاد أن كلام المخلوق أفضل من كلام الله أو يساويه.

20- اعتقاد أن بعض الأولياء أو الأقطاب يتصرفون في الكون أو يحيبون عن أتباعهم الملائكة أو يدخلونهم الجنة مهما عملوا من الذنوب.

إلى غير ذلك من نواقض الإيمان الاعتقادية.

---

(1) مذاهب فكرية معاصرة، لمحمد قطب، ص: 498- 499.

(2) في ظلال القرآن 1218/3.

الثاني: نواقض الإيمان القولية:

من أمثلتها ما يلي:

1- سب الله تعالى، أو انتقاصه ، أو سب الرسول صلى الله عليه وسلم أو أحد الرسل - عليهم السلام - أو سب الملائكة، أو سب دين الإسلام تصريحا أوتلميحا.

2- دعاء الأولياء والصالحين، والاستغاثة بهم عند الكرب والشدة، وسؤالهم ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، وكذلك الاستعاذة بهم.

3- الاستهزاء بالله تعالى، أو بكلامه وكتابه (القرآن العظيم) ، أو سائر كتبه، أو بآية من آياته، أو بالرسول صلى الله عليه وسلم مثل: الطعن في صدقه، أو في أمانته، أو عفته، أو الاستهزاء والاستخفاف به، أو بسنته صلى الله عليه وسلم.

4-كذلك السخرية من أسماء الله تعالى، أو بوعده بالجنة أو وعيده بالنار؛ كقول بعضهم: لو أعطاني الله الجنة ما دخلتها، لو شهد عندي الأنبياء والرسل بكذا ما قبلت شهادتهم.

5- قوله: أنا لا أخاف الله، أو أنا لا أحب الله تعالى.

6- القول: إن الدين لا صلة له بالدولة، وسائر شؤون الحياة، قال العلامة أحمد محمد شاكر: "والقرآن مملوء بأحكام وقواعد جلية في المسائل المدنية والتجارية وأحكام الحرب والسلم وأحكام القتال والغنائم والأسرى وبنصوص صريحة في الحدود والقصاص فمن زعم أنه الدين عبادة فقد أنكر كل هذا وأعظم على الله الفرية، وظن أن لشخص كائنا من كان ألوهية كائنة ما كانت أن تنسخ ما أوجب الله من طاعته و العمل بأحكامه وما قال هذا مسلم قط ولا يقوله، ومن قال هذا فقد خرج عن الإسلام جملة ورفضه كله وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم "[1].

7- القول لمن عمل بدين الإسلام: أنت رجعي أو متخلف أو متأخر.

8- القول: إن دين الإسلام وتعاليمه؛ هو سبب تأخر المسلمين.

9- قول شخص عن عدوه: لو كان ربي ما عبدته، أو لو كان نبياً ما آمنت به.

(1) الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدرا للقانون في مصر ص: 89.

10- قول شخص عن ولده أو زوجته: هو أحب إلي من الله، أو من رسوله صلى الله عليه وسلم.

11- ادعاء الوحي، وإن لم يدع معه النبوة.

12- القول: إن الأنسب في هذا العصر هو النظام الديموقراطي أوغيره من النظم البشرية. قال U: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة 44). قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي: "كل من اتبع تشريعا غير التشريع الذي جاء به سيد ولد آدم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه فاتباعه لذلك التشريع المخالف كفر بواح مخرج من الملة الإسلامية"[1].

13- قول من صلى في رمضان فقط، ثم قال: هذا أيضاً كثير، أو هذا يكفي وزيادة. أو قول الفاسق إذا قيل له صل حتى تجد حلاوة الصلاة: لا أصلي حتى أجد حلاوة الترك.

15- من طعن في عدالة الصحابة، أو جمهورهم، كأن يقول عنهم: فساق، أو ضلال.

16- من قال بألوهية علي - رضي الله عنه - أو نبوته.

17- ادعاء أن جبريل - عليه السلام - خان الأمانة؛ فأنزل الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم بدلاً من أن ينزله على علي.

18- قذف أم المؤمنين عائشة بنت الصديق - g - بما برأها الله تعالى منه من فوق سبع سموات.

19- القول بأن كل من تكلم بالشهادتين فهو من أهل الجنة ولا يدخل النار:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" ومن قال إن كل من تكلم بالشهادتين ولم يؤد الفرائض ولم يجتنب المحارم يدخل الجنة و لايعذب أحد منهم بالنار فهو كافر مرتد يجب أن يستتاب فإن تاب إلا قتل، بل الذين يتكلمون بالشهادتين أصناف منهم منافقون في الدرك الأسفل من النار.."[2].

20- نفي صفات الله أو تشبيهها بصفات المخلوقين أو الطعن فيها .

إلى غير ذلك من الأقوال القبيحة المناقضة للإيمان والإسلام.

(1) أضواء البيان 439/3.

(2) مجموع الفتاوى 106/35.

الثالث: نواقض الإيمان الفعلية:

1- السجود لغير الله تعالى، أوالنذرأوالـذبح أو النحـر لغـير الله سـبحانه، أو صرف أي عبادة لغيره تعالى كالدعاء .

2- السخرية باسم من أسماء الله تعالى، أو بـأمره، أو وعيـده، أو ذكـر اسـم الله تعالى عند تعاطي الخمر والزنا والدخان؛ استخفافاً به.

3- الاستهانة بالمصحف الشريف، أو إلقاؤه في القـاذورات، أو دوسـه بالقـدم متعمداً، أو الإشارة إليه باليد أو بالقدم أو بالشفة؛ إشارة استهانة، أو قراءتـه علـى ضرب الدف على سبيل الاستخفاف، وهكذا فعل أمثال هذه الأشياء بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

4- الطواف بالأضرحة وقبور الأولياء والصالحين؛ من أجل التقرب إليهم.

5- إظهار المقت والكراهية عند ذكر الله تعالى، أو عند ذكـر رسـوله صـلى الله عليه وسلم، أو عند ذكر الإسلام، أو عند الدعوة إليه.

6- لبس شيء من شعائر الكفار؛ كالصليب، أو قلنسوة المجوس، ونحوه ممـا هـو خاص بشعائرهم الدينية.

7- مشاركة أهل الكفر في عباداتهم؛ كصلاتهم ونحوها.

8 - هدم معالم الإسلام؛ كهدم المساجد لأجل ما يفعل فيها من العبادة.

9 - بناء دور العبادة للكفار، أو إعانتهم على ذلك؛ كبناء الكنائس ونحوها.

10- أن يعمل فعلاً أجمع المسلمون على أنه لا يصدر إلا من كافر.

11- تعلم السحر، وتعاطيه، وتعليمه.

12- الإعراض التام عن دين الإسلام لا يتعلمه ولا يعمل به.

13- عدم تكفير الكفار مـن الملحـدين والمشـركين والمرتـدين، ومـوالاتهم، أو إظهار موافقتهم على دينهم، والتقرب إليهم بالأقوال والأفعال.

14- عدم إفراد الله تعالى بـالحكم والتشـريع كـالحكم بغـير مـا أنـزل الله، أو التشريع المخالف لشرع الله، أوتطبيقه، والإلزام به:

قال I : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى 21]، ويقول المودودي: "إن في هذه الآية دلالة واضحة على أن الذين يرون ما وضعه رجل أو طائفة من الناس من قانون أو شرعة أو رسم هو قانون شرعي من غير أن يستند إلى أمر من الله تعالى فهم يشركون ذلك الشارع بالله تعالى في الألوهية"[1].

وقال I : ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة 44]، ويدخل في هذا دخولا أوليا البرلمانات الديمقراطية التي هي تأليه للبشر وجعله أربابا من دون الله: وقال I : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة 31].

وعن عدي t أنه سمع النبي r يقرأ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الآية، قال: فقلت له إنا لسنا نعبدهم قال: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟ ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ فقلت: بلى، فقال: تلك عبادتهم»[2].

و قال U: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران).

قال سيد قطب: "إن الناس في جميع النظم الأرضية يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله يقع هذا في أرقى الديمقراطيات كما يقع في أحط الدكتاتوريات سواء .. إن أول خصائص الربوبية هو حق تعبيد الناس، حق إقامة النظم والمناهج والشرائع والقوانين والقيم والموازين.. وهذا الحق في جميع الأنظمة الأرضية يدعيه بعض الناس – في صورة من الصور- ويرجع الأمر فيه إلى مجموعة من الناس – على أي وضع من الأوضاع – وهي المجموعة التي

---

(1) المصطلحات الأربعة للمودودي ص: 22

(2) الترمذي (3095) والبيهقي 116/10 والطبري في تفسيره 80/10 وحسنه الألباني في الصحيحة (9293).

تخضع الآخرين لتشريعها وقيمها وموازينها وتصوراتها هي الأرباب الأرضية التي يتخذها بعض الناس أربابا من دون الله ويسمحون لها بادعاء خصائص الألوهية والربوبية وهم بذلك يعبدونها من دون الله وإن لم يسجدوا لها ويركعوا فالعبودية عبادة لا يتوجه بها إلا لله"[1].

16- التحاكم إلى غير شرع الله: قال I : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء 60] عن ابن عباس t قال: "كان أبو برزة الأسلمي كاهنا يقضي بين اليهود فيما يتنافرون إليه فتنافر إليه ناس من المسلمين فأنزل الله الآية»[2].

وعن ابن عباس t قال لما أنزلت: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمدا قولوا له: فما تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال وما ذبح الله -يعني الميتة- فهو حرام، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام 121]، قال: وإن الشياطين من فارس وأوليائهم من قريش»[3].

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي: "ولما كان التشريع وجميع الأحكام شرعية كانت أو كونية أو قدرية من خصائص الربوبية كما دلت عليه الآيات المذكورة كان كل من اتبع تشريعا غير تشريع الله قد اتخذ ذلك المشرع ربا وأشركه مع الله، والآيات الدالة على هذا كثيرة"[4].

وقال العلامة أحمد محمد شاكر:" ومن المفهوم البديهي الذي لا يحتاج إلى دليل: أن الذين أمر رسول الله e بمشاورتهم - ويأتسي به فيه من يلي الأمر من بعده –

(1) في ظلال القرآن 407/1.

(2) الطبراني (12045) وقال الهيثمي 42/7 بعد أن عزاه للطبراني: "رجاله رجال الصحيح" .

(3) الطبراني (13825) والطبري (13805) وصححه أحمد شاكر وأصله عند أبي داود(2818) و(2819) والترمذي (3069).

(4)أضواء البيان 109/7.

هم الرجال الصالحون القائمون على حدود الله المتقون لله المقيمون الصلاة، المؤدون الزكاة المجاهدون في سبيل الله الذين قال فيهم رسول الله e (ليلني منكم أولو الأحلام والنهى) ليسوا هم الملحدين ولا المحاربين لدين الله ولا الفجار الذين لا يتورعون عن منكر ولا الذين يزعمون أن لهم أن يضعوا شرائع وقوانين تخالف دين الله وتهدم شريعة الإسلام هؤلاء وأولئك - من بين كافر وفاسق – موضعهم الصحيح تحت السيف أو السوط لا موضع الاستشارة وتبادل الآراء"[1].

هذه هي بعض نواقض الإيمان الاعتقادية، والقولية، والفعلية؛ التي يعتبر العبد بملابسة أحدها كافراً كفراً مخرجاً من الملة؛ وإن السخرية والاستهزاء بشيء مما سبق من نواقض الإيمان، ولو على سبيل المزاح كفر.

فيجب على كل مسلم أن يحتاط لدينه؛ فتلا يتلفظ بشيء فيه ما ينقض الإيمان أو يؤدي إلى ذلك من قريب أو بعيد؛ كما يجب على من وقع منه شيء من ذلك؛ النطق بالشهادتين فوراً، والاتستغفار والندم على ما صدر منه، والعزم على أن لا يعود لمثله أبداً، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء، الآية: 36].

وعن أبي هريرة t ، أنه سمع رسول اللَّه r يقول: «إِن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين فيها، يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق»[2]

وفي رواية «إِن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان اللّه، لا يلقي لها بالا، يرفعه اللَّه بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط اللَّه، لا يلقي لها بالا، يهوي بها في جهنم»[3].

وفي رواية أنه r «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوي بها

(1) عمدة التفسير 383/1-384 طبعة دار الوفاء.

(2) البخاري (6477) ومسلم (2988) وزاد مسلم « والمغرب».

(3) البخاري (6478).

سبعين خريفا في النار»[1]

وفي حديث الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة t ، عن النبي r قال: " من حلف، فقال في حلفه : باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا اللَّه، ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك، فليتصدق " متفق عليه، ولمسلم «من حلف باللات والعزى..»[2].

أقوال أئمة أهل السنة والجماعة وفقهاء المذاهب الأربعة الدالة على أن الكفر يكون بكل من الاعتقاد أو القول أو الفعل:

قال الإمام سفيان بن عيينة - رحمه الله تعالى - عندما سئل عن الإرجاء:

"يقولون: الإيمان قول، ونحن نقول: الإيمان قول وعمل، والمرجئة أوجبوا الجنة لمن شهد أن لا إله إلا الله؛ مصراً بقلبه على ترك الفرائض، وسموا ترك الفرائض ذنباً بمنزلة ركوب المحارم، وليس بسواء؛ لأن ركوب المحارم من غير استحلال معصية، وترك الفرائض متعمداً من غير جهل ولا عذر هو كفر"[3] .

قال الإمام الشافعي - رحمه الله - حين سئل عمن هزل بشيء من آيات الله تعالى: (هو كافر) واستدل بقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ (65) لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة : 65 - 66][4].

وقال الإمام عبد الله بن الزبير الحميدي رحمه الله:

"أخبرت أن ناساً يقولون: من أقر بالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، ولم يفعل من ذلك شيئاً حتى يموت، أو يصلي مستدبر القبلة حتى يموت؛ فهو مؤمن ما لم يكن

(1) أحمد (7215) والترمذي (2314) وابن حبان (5706).

(2) أحمد (8087) والبخاري (6650) ومسلم (1647).

(3) كتاب السنة لعبد الله بن أحمد: 1/ 347 (745) .

(4) الصارم المسلول ابن تيمية: 3/ 956 .

جاحداً .. إذا كان يقر بالفرائض واستقبال القبلة؛ فقلت: هذا الكفر الصراح، وخلاف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفعل المسلمين، قال عز وجل:﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة الآية: 5] "[1] .

وقال الإمام إسحاق بن راهويه رحمه الله:

"ومما أجمعوا على تكفيره، وحكموا عليه كما حكموا على الجاحد؛ فالمؤمن الذي آمن بالله تعالى، وبما جاء من عنده، ثم قتل نبياً، أو أعان على قتله، وإن كان مقراً، ويقول: قتل الأنبياء محرم؛ فهو كافر، وكذلك من شتم نبياً، أو رد عليه قوله من غير تقية ولا خوف"[2] .

وقال الإمام الفقيه أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي رحمه الله:

"فاعلم - يرحمنا الله وإياك - أن الإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح. وذلك أنه ليس بين أهل العلم خلاف في رجل لو قال: أشهد أن الله - عز وجل - واحد، وأن ما جاءت به الرسل حق، وأقر بجميع الشرائع، ثم قال: ما عقد قلبي على شيء من هذا، ولا أصدق به؛ أنه ليس بمسلم. ولو قال: المسيح هو الله، وجحد أمر الإسلام، وقال: لم يعتقد قلبي على ذلك؛ أنه كافر بإظهار ذلك، وليس بمؤمن"[3] .

وقال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - عندما سأله ابنه عبد الله عن رجل قال لرجل: يا ابن كذا وكذا أنت ومن خلقك:(هذا مرتد عن الإسلام) وسأله: تضرب عنقه؟ قال: (نعم تضرب عنقه)[4] .

وقال الموفق ابن قدامة:

---

(1) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي:5/ 957 (1594) والسنة للخلال 586/3.

(2) تعظيم قدر الصلاة للمروزي: 2/ 930، (991) .

(3) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي: 932/4 (1590).

(4) مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله: 1291/2.

"ومن جحد الله أو جعل له شريكا أو صاحبة أو ولدا أو كذب الله تعالى أو سبه أو كذب رسوله أو سبه أو جحد نبيا أو جحد كتاب الله أو شيئا منه أو جحد أحد أركان الإسلام أو أحل محرما ظهر الإجماع على تحريمه فقد ارتد إلا أن يكون ممن تخفى عليه الواجبات والمحرمات فيعرف ذلك فإن لم يقبل كفر"[1].

وقال الإمام محمد بن سحنون المالكي :

" أجمع العلماء أن شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المنتقص له؛ كافر، والوعيد جار عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة: القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر "[2].

وقال الصديق حسن خان القنوجي :

"وقد نقل ابن المنذر الإجماع على أن من سب النبي - صلى الله عليه وسلم - وجب قتله. ونقل أبو بكر الفارسي - أحد أئمة الشافعية - في كتاب الإجماع أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم بما هو قذف صريح؛ كفر باتفاق العلماء، فلو تاب لم يسقط عنه القتل؛ لأن حد قذفه القتل، وحد القذف لا يسقط بالتوبة. وخالفه القفال؛ فقال: كفر بالسب، فيسقط القتل بالإسلام. قال الخطابي: لا أعلم خلافا في وجوب قتله إذا كان مسلما. وإذا ثبت ما ذكرنا في سب النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ فبالأولى من سب الله - تبارك وتعالى -؛ أو سب كتابه أو الإسلام، أو طعن في دينه وكفر؛ من فعل هذا لا يحتاج إلى برهان"[3].

وقال الإمام البربهاري رحمه الله:

"ولا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام، حتى يرد آية من كتاب الله عز وجل، أو يرد شيئاً من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو يذبح لغير الله، أو يصلي لغير الله، وإن فعل شيئاً من ذلك؛ فهو مؤمن ومسلم بالاسم لا بالحقيقة "[4].

(1) عمدة الفقه لابن قدامة ص143.

(2) الشفا بتعريف حقوق المصطفى القاضي عياض: 2 / 542.

(3) الإشراف لابن المنذر3/160 والروضة الندية 2/223 والاقناع لابن المنذر 2/584

(4) شرح السنة البربهاري: ص 73 (50) دار السلف.

وقال الإمام النووي - رحمه الله - في تعريف الردة :

"هي قطع الإسلام، ويحصل ذلك تارة بالقول الذي هو كفر، وتارة بالفعل، والأفعال الموجبة للكفر هي التي تصدر عن تعمد واستهزاء بالدين صريحاً؛ كالسجود للصنم أو للشمس، وإلقاء المصحف في القاذورات، والسحر الذي فيه عبادة الشمس ونحوها، قال الإمام: في بعض التعاليق عن شيخي إن الفعل بمجرده لا يكون كفراً، قال: وهذا زلل عظيم من المعلق ذكرته للتنبيه على غلطه، وتحصل الردة بالقول الذي هو كفر؛ سواء صدر عن اعتقاد أو عناد أو استهزاء" [1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"إن من سب الله، أو سب رسوله كفر ظاهراً وباطناً؛ سواءً كان الساب يعتقد أن ذلك محرم، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده، هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل" [2].

وقال الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

"فقد يترك دينه، ويفارق الجماعة، وهو مقر بالشهادتين، ويدعي الإسلام؛ كما إذا جحد شيئاً من أركان الإسلام، أو سب الله ورسوله، أو كفر ببعض الملائكة، أو النبيين، أو الكتب المذكورة في القرآن مع العلم بذلك" [3] .

وقال خليل بن إسحاق المالكي:

"الردة: كفر المسلم بصريح أو لفظ يقتضيه أو فعل يتضمنه: كإلقاء مصحف بقذر وشد زنار وسحر وقول بقدم العالم أو بقائه أو شك في ذلك أو بتناسخ الأرواح أو في كل جنس نذير أو ادعى شركا مع نبوته صلى الله عليه وسلم أو بمحاربة نبي أو جوز اكتساب النبُوة أو ادعى أنّه يصعد للسماء أو يعانق الحور"[4].

---

(1) روضة الطالبين للنووي: 388/8 ط دار الفكر.

(2) الصارم المسلول ابن تيمية: 955/3 .

(3) جامع العلوم والحكم ابن رجب ص 231 .

(4) مختصر خليل المالكي ص238. .

وفي مختصر خليل المالكي ممزوجا بشرح الدردير:" (الردة كفر المسلم) المتقرر إسلامه بالنطق بالشهادتين مختارا ويكون بِأحد أمور ثلاثة (بصريحٍ) من القول كقوله أشرك أو أكفر بالله (أو لفظ) أَي قول (يقتضيه) كقوله اللَّه جسم متحيز وكجحده حكما علم من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة وحرمة الزنا (أو فعل يتضمنه) أي يقتضي الكفر ويستلزمه استلزاما بينا (كإلقاء مصحف بقذر) ولو طاهرا كبصاق أو تلطيخه به والمراد بالمصحف ما فيه قرآن ولو كلمة، ومثل ذلك تركه به أي عدم رفعه إن وجده به؛ لأن الدوام كالابتداء فأراد بالفعل ما يشمل الترك إذ هو فعل نفسي ومثل القرآن أسماء اللّه وأسماء الأنبياء، وكذا الحديث كما هو ظاهر وحرق ما ذكر إن كان على وجه الاستخفاف فكذلك، وإن كان على وجه صيانته فلا ضرر بل ربما وجب وكذا كتب الفقه إن كان على وجه الاستخفاف بالشريعة فكذلك وإلا فلا (وشد زنار) بضم الزاي وتشديد النون حزام ذو خيوط ملونة يشد به الذمي وسطه ليتميز به عن المسلم والمراد به ملبوس الكافر الخاص به أي إذا فعله حبا فيه وميلا لأهله وأما إن لبسه لعبا فحرام وليس بكفر (وسحر) عرفه ابن العربي بأنه كلام يعظم به غير اللّه وينسب إليه المقادير والكائنات ذكره في التوضيح وعلى هذا فقول الإمام - رضي اللّه عنه - إن تعلم السحر وتعليمه كفر، وإن لم يعمل به ظاهر في الغاية إذ تعظيم الشياطين ونسبة الكائنات إليها لا يستطيع عاقل يؤمن باللَّه أن يقول فيه إنه ليس بكفر[1]"

وفي الإنصاف لعلاء الدين المرداوي الحنبلي ما نصه :

"قوله (فمن أشرك باللَّه، أو جحد ربوبِيته، أو وحدانيّته، أو صفة من صفاته، أو اتّخذ للّه صاحبة، أو ولدا، أو جحد نبيا، أَو كتابا من كتب اللّه، أو شيئا منه، أو سب اللّه أو رسوله: كفر) بلا نزاعٍ في الجملة. ومراده: إذا أتى بذلك طوعا، ولو هازلا"[2].

(1) حاشية الدسوقي على الدردير4/465- 466 .

(2) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف 326/10 .

وفي البحر الرائق لابن نجيم الحنفي:

" والكفر لغة الستر وشرعا تكذيب محمد - صلَّى اللّه عليه وسلم - في شيء مما يثبت عنه ادعاؤه ضرورة وفي المسايرة ولاعتبار التعظيم المنافي للاستخفاف كفر الحنفية بألفاظ كثيرة وأفعال صدر من المتهتكين لدلالتها على الاستخفاف بالدين كالصلاة بلا وضوء عمدا بل بالمواظبة على ترك سنة استخفافا بها بسبب أنه إنما فعلها النّبي صلى الله عليه وسلم زيادة أَو استقباحها كمن استقبح من آخر جعل بعض العمامة تحت حلقه أَو إحفاء شاربه "[1].

---

(1) البحر الرائق 129/5.

ثانيا: الفرق بين التكفير المطلق وتكفير المعين: (كفر النوع وكفر العين)

أ- التكفير المطلق: هو تنزيل الحكم بالكفر على السبب المجرد ـ أي الإتيان بقول أو فعل أو اعتقاد مكفر ـ فيقال من قال كذا كفر أو من فعل كذا كفر.

أي معرفة الحكم مطلقا دون تنزيل الحكم بالكفر على شخص معين وإن كان قد أتى بهذا السبب.

ب- تكفير المعين: وهو الحكم بالكفر على الشخص المعين الذي فعل السبب ـ من قول أو فعل أو اعتقاد مكفر ـ وهذا يستلزم النظر في ثبوت هذا السبب على فاعله وخلوه من موانع الأحكام وبعبارة أخرى يمكن القول بأن الفرق بين النوعين هو:

1- أن التكفير المطلق هو تجريم الفعل وينظر فيه إلى أمر واحد وهو السبب المكفر مجردا، من حيث استيفاؤه لشروطه و وصفه بأنه مكفر من جهة الدليل الشرعي ومن جهة قطعية دلالة الفعل نفسه.

2- أما تكفير المعين فهو تجريم الفاعل وينظر فيه إلى أمرين: تجريم الفعل كما سبق، والنظر في حال فاعله من حيث ثبوت الفعل عليه وانتقاء موانع الحكم في حقه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين وإن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه »[1].

وقال الإمام الطحاوي : «ثم إذا كان القول في نفسه كفرا قيل إنه كفر و القائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع»[2].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «ومسألة تكفير المعين مسألة معروفة

---

(1) مجموع الفتاوي 12/487- 488.

(2) شرح الطحاوية ص 319 لابن أبي العز الحنفي، الدار الإسلامي، عمان ، الأردن، ط الأولى 1419هـ .

إذا قال قولا يكون القول به كفرا فيقال من قال بهذا القول فهو كـافر ولكـن الشخص المعين إذا قال ذلك لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفـر تاركها»[1].

وتنقسم موانع التكفير إلى قسمين:

أ- موانع سماوية: أي من قدر الله تعـالى لا دخـل للعبـد في اكتسـابها كالصـغر والجنون والعته ونحو ذلك.

وهذه الموانع السماوية تقابلها شروط: كالصغر يقابله البلوغ، والجنـون والعتـه يقابلهما العقل.

فمن شروط تكفير المعين أن يكون بالغـا عـاقلا وفي صـحة ردة الصـبي المميـز خلاف ومن قال بصحتها كالحنابلة قالوا لا يعاقب حتى يبلغ ويستتاب[2].

ب- موانع مكتسبة: وهي التي لاختيار العبد دخل في اكتسابها بنفسـه أو من غيره وإن كان كل شيء من قدر الله قال U : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر).

ومن هذه الموانع ما يلي:

1ـ مانع الخطأ:

و الخطأ : «هو ما ليس للإنسان فيه قصد »[3].

والمقصود هنا ما يؤديه سبق اللسان: فينطق بالكفر وهو لا يقصده وهذا المـانع يبطل شرط العمد، ودليل اعتبار الخطإ كمانع قوله U :: ﴿ وَلَـيْسَ عَلَـيْكُمْ جُنَـاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (الأحزاب5).

وعن أنس بن مالك t قال قال رسول الله e : «لله أشد فرحـا بتوبـة عبـده

(1) الدرر السنية 244/8.

(2) انظر البحر المحيط 345/1 وشرح مختصر الروضة 180/1 وشـرح التلـويح علـى التوضـيح 348/2-420 وشرح الكوكب المنير 498/1-513.

(3) التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني ص 88، دار الفضيلة،القاهرة، محمد صديق المنشاوي، .

حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح»[1].

وقرائن الحال لها دخل في اعتبار هذا المانع من عدمه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق وقد تكون عنده ولم تثبت عنده أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها.

فمن كان من المؤمنين مجتهدا في طلب الحق وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائنا ما كان سواء كان في المسائل النظرية أو العملية هذا الذي عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وجماهير أئمة الإسلام. وما قسموا المسائل إلى مسائل أصول يكفر بإنكارها ومسائل فروع لايكفر بإنكارها »[2].

وقال صدر الشريعة البخاري الحنفي: « ومنها الخطأ، ويصلح عذرا في سقوط حق الله تعالى، إذا حصل عن إجتهاد، ويصلح شبهة في العقوبة، حتى لا يأثم إثم القتل ولا يؤاخذ بحد ولا قصاص لأنه جزاء كامل فلا يجب على المعذور»[3].

قال الصيرفي:

«الخطأ والنسيان لايقع الأمر فيه ولا النهي عنه لامتناع الأمر بما لا يتهيأ قصده»[4].

---

(1) مسلم (2747) ونحوه عن ابن مسعود t عند البخاري (6308) و (مسلم 2744)

(2) مجموع الفتاوي 346/23.

(3) شرح التلويح على التوضيح 411/2 المتن وشرحه لصدر الشريعة البخاري الحنفي والشرح لسعد الدين التفتزاني الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط: الأولى تحقيق زكريا عميرات ، بدون تاريخ.

(4) البحر المحيط 352/1، محمد بن بهادر الزركشي ط وزارة الأوقاف الكويتية، دارالصفوة بالغردقة ط الثانية 1413هـ .

2ـ مانع التأويل:

و التأويل هو: «صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله بدليل» [1].

والمقصود به هنا وضع الدليل الشرعي في غير موضعه باجتهاد أو شبهة تنشأ عن عدم فهم دلالة النص فيقدم المكلف على فعل الكفر ولا يراه كفرا محتجا بدليل أخطأ في فهم معناه فينتفي بهذا الخطإ شرط العمد ويكون الخطأ في التأويل مانعا من تكفيره.

والتأويل الذي يعذر به هو ما نشأ عن النظر في دليل شرعي أخطأ في فهمه[2] كما في حادثة قدامة بن مظعون t حيث استحل شرب الخمر متأولا قوله I : ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ فقال له عمر t : أخطأت التأويل إنك إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله عليك فأمر عمر t بقدامة t فجلد[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أو غلط فظن أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يستثنون من تحريم الخمر كما غلط في ذلك الذين استتابهم عمر t وأمثال ذلك فإنهم يستتابون وتقام الحجة عليهم فإن أصروا كفروا حينئذ ولا يحكم بكفرهم قبل ذلك كما لم يحكم الصحابة بكفر قدامة بن مظعون t وأصحابه لما غلطوا فيما غلطوا فيه من التأويل »[4].

وقد دلت هذه الحادثة على أن الخطأ في التأويل مانع من التكفير بإجماع الصحابة كما أنه داخل في عموم قوله U : ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ (الأحزاب 5).

---

(1) نثر الورود 328/1 والتعريفات للجرجاني ص 46.

(2) قال ابن حزم في المحلى 346/12 «صنف تأولوا تأويلا يخفى وجهه على كثير من أهل العلم كمن تعلق بآية خصتها أخرى أو بحديث قد خصه آخر أو نسخها نص آخر فهؤلاء كما قلنا معذورون حكمهم حكم الحاكم المجتهد.. ».

(3) هذه القصة رواها عبد الرزاق في مصنفه (17076) بسند صحيح والنسائي في الكبرى (5270) والبيهقي في الكبرى(17516) وصححها ابن حجر في الفتح 3206/3.

(4) مجموع الفتاوي 610/7.

قال الموفق ابن قدامة : «وقد عرف من مذهب الخوارج تكفير كثير من الصحابة ومن بعدهم و استحلال دمائهم وأموالهم، واعتقادهم التقرب بقتلهم إلى ربهم و مع هذا لم يحكم الفقهاء بكفرهم لتأويلهم وكذلك يخرج في كل محرم استحل بتأويل مثل هذا، وقد روي أن قدامة بن مظعون t شرب الخمر مستحلا لها فأقام عمر عليه الحد ولم يكفره»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأما من كان في قلبه الإيمان بالرسول وما جاء به وقد غلط في بعض ما تأوله من البدع فهذا ليس بكافر أصلا والخوارج كانوا من أظهر الناس بدعة وقتالا للأمة وتكفيرا لها ولم يكن في الصحابة من يكفرهم لا علي t ولا غيره بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين»[2].

وقال البخاري في صحيحه: في (78)كتاب الأدب : "(74)باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولا أو جاهلا" واستدل على ذلك بعدة أحاديث.

وقال ابن أبي العز:« والمقصود هنا أن البدع هي من هذا الجنس، فإن الرجل يكون مؤمنا باطنا وظاهرا ولكن تأول تأويلا أخطأ فيه إما مجتهدا وإما مفرطا مذنبا، فلا يقال إن إيمانه حبط لمجرد ذلك إلا أن يدل على ذلك دليل شرعي، بل هذا من جنس قول الخوارج والمعتزلة»[3].

وأما التأويل الذي نشأ عن محض الرأي والهوى دون استناد إلى دليل شرعي فلا يعتبر مانعا من التكفير لأنه تأويل فاسد بعيد بل هو مجرد لعب قال U:: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (التوبة 65-66). قال الشيخ سيدي عبد الله في المراقي معرفا التأويل :

---

(1)المغني لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة **276/12** ، دار عالم الكتب، ط السادسة **1428**هـ، تحقيق عبد الله التركي.

(2) مجموع الفتاوي **217/7-218**.

(3) شرح الطحاوية ص**318**.

حمل لراجح على المرجوح واقسمه للفاسد والصحيح
صحيحه وهو القريب ما حمل مع قوة الدليل عند المستدل
وغيره الفاسد والبعيد وما خلا فلعبا يفيد [1]

❖تنبيه: القصد المعتبر في التكفير هو قصد العمل المكفر أي تعمده لا قصد الكفر به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وبالجملة فمن قال أو فعل ما هو كُفْر كَفَر بذلك وإن لم يقصد أن يكون كافرا إذ لا يقصد الكفر أحد إلا ما شاء الله »[2].

وقال البخاري في كتاب الإيمان من صحيحه: «باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، وقال إبراهيم التيمي ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذِّبا، وقال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين من أصحاب النبيe كلهم يخاف النفاق على نفسه .. »[3].

3ـ مانع الجهل:

والجهل: «عدم العلم » أو هو: «اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه »، وقيل: «عدم العلم عما من شأنه أن يكون عالما » [4]،

قال في المراقي:

والجهل جا في المذهب المحمود هو انتفاء العلم بالمقصود [5]

والجهل المعتبر في التكفير هو الجهل الذي لا يتمكن المكلف من إزالته لأسباب من جهته أو لأسباب من جهة مصادر العلم، فإذا كان متمكنا من التعلم وإزالة الجهل فقصر فهو غير معذور ويعتبر عالما حكما وإن كان جاهلا حقيقة.

(1) نثر الورود على مراقي السعود 328/1، محمد الأمين الشنقيطي، دار المنارة ط: الأولى1415هـ.
(2) الصارم المسلول 128/1، شيخ الإسلام ابن تيمية، دار الفكر، بيروت لبنان، ط الأولى 1419هـ.
(3) فتح الباري 301/1 ط:بيت الأفكار الدولية.
(4) البحر المحيط 71/1-73 والتعريفات للجرجاني ص 72.
(5) نثر الورود شرح مراقي السعود 74/1.

قال ابن اللحام : «فإذا قلنا يعذر إنما محله إذا لم يقصر ويفرط في تعلم الحكم أما إذا قصر أو فرط فلا يعذر جزما»[1].

وقال القرافي في الفرق الرابع والتسعين : «وضابط ما يعفى عنه من الجهالات، الجهل الذي يتعذر الاحتراز عنه عادة، وما لا يتعذر الاحتراز عنه ولا يشق لم يعف عنه » [2]

ويقابل مانع الجهل شرط العلم ودليل هذا المانع قوله U: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء15).

عن حذيفة t عن النبي e قال: «كان رجل ممن كان قبلكم يسيء الظن بعمله فقال لأهله إذا أنا مت فخذوني فذروني في البحر في يوم صائف ففعلوا به فجمعه الله ثم قال: ما حملك على الذي صنعت؟ قال ما حملني عليه إلا مخافتك فغفر له»[3].

ولمسلم من حديث أبي هريرة t مرفوعا : « فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا»[4]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«فهذا الرجل ظن أن الله لا يقدر عليه إذا تفرق هذا التفرق فظن أنه لا يعيده إذا صار كذلك وكل واحد من إنكاره قدرة الله وإنكار معاد الأبدان وإن تفرقت كفر لكنه كان مع إيمانه بالله وإيمانه بأمره وخشيته منه جاهلا بذلك ضالا في هذا الظن مخطئا فغفر الله له ذلك»[5].

---

(1) القواعد لأبي الحسن علي بن محمد بن اللحام **199/1** مكتبة الرشد- الرياض، تحقيق عائض الشهراني ط: الأولى **1423**هـ .

(2) الفروق للقرافي**155/2**.

(3) البخاري (**6480**).

(4) البخاري (**3481**) ومسلم (**2756**).

(5) مجموع الفتاوى **409/11**.

وقال شمس الدين ابن القيم: «وأما جحود ذلك جهلا أو تأويلا يعذر فيه صاحبه فلا يكفر صاحبه به كحديث الذي جحد قدرة الله عليه وأمر أهله أن يحرقوه ويذروه في الريح، ومع هذا فقد غفر الله له ورحمه لجهله إذ كان ذلك الذي فعله علمه»[1].

وقال الإمام الخطابي : «فإن قلت كيف يغفر له وهو منكر للقدرة على الإحياء ؟ قلت ليس بمنكر إنما هو رجل جاهل ظن أنه إذا صنع به هذا الصنيع ترك فلم ينشر ولم يعذب، وحيث قال من خشيتك علم أنه رجل مؤمن فعل ما فعل من خشية الله ولجهله حسب أن هذه الحيلة تنجيه»[2].

وقال شمس الدين الذهبي : «فلا يأثم أحد إلا بعد العلم وبعد قيام الحجة عليه والله لطيف و رؤوف بهم قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء15) وقد كان السادة من الصحابة بالحبشة وينزل الواجب والتحريم على النبي e فلا يبلغهم إلا بعد أشهر فهم في تلك الأمور معذورون بالجهل حتى يبلغهم النص، وكذا يعذر بالجهل من لم يعلم حتى يسمع النص والله أعلم»[3].

وقال القاضي ابن العربي: «الجاهل والمخطئ من هذه الأمة لو عمل من الكفر والشرك ما يكون صاحبه مشركا أو كافرا فإنه يعذر بالجهل والخطأ حتى تبين له الحجة التي يكفر تاركها بيانا واضحا ما يلتبس على مثله أو ينكر ما هو معلوم بالضرورة من دين الإسلام مما أجمعوا عليه إجماعا جليا قطعيا يعرفه كل المسلمين من غير نظر وتأمل كما سيأتي بيانه إن شاء الله ولم يخالف في ذلك إلا أهل البدع»[4].

---

(1) مدارج السالكين 593/1 أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية ، دار طيبة، الرياض، ط الأولى 1423هـ، تحقيق عبد العزيز بن ناصر الجليل.

(2) عمدة القاري 62/16.

(3) الكبائر للذهبي ص12.

(4) محاسن التأويل161/2 لجمال الدين القاسمي، ط الأولى: 1418هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر ويقاتل؟ سبحانك هذا بهتان عظيم»[1].

وقال العلامة أبو محمد ابن حزم : «وكذلك من قال إن ربه جسم من الأجسام فإنه إن كان جاهلا أو متأولا فهو معذور لا شيء عليه ويجب تعليمه فإذا قامت عليه الحجة من القرآن والسنن فخالف ما فيها عنادا فهو كافر»[2].

وقال الإمام الشافعي: «لله أسماء وصفات لا يسع أحدا ردها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر ، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل،لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الروية والفكر»[3].

وقال الإمام ابن جرير الطبري: "فإن هذه المعاني التي وصفت ونظائرها مما وصف الله به نفسه ورسوله مما لا يثبت حقيقة علمه بالفكر والروية، لا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهائها إليه»[4].

تنبيه:

لا يعذر بالجهل إلا المؤمن أما الكافر الأصلي فهو كافر قبل بلوغ الدعوة وبعدها قال **U**:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ (التوبة 6)، وقال**U**: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ (التغابن 2). لكنه لا

(1) مصباح الظلام ص: 43. عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، تقديم ومراجعة إسماعيل بن سعد بن عتيق.بدون ذكر طبعة ولا تاريخها .

(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم 269/2 دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية 1420هـ

(3) الذهبي في مختصرالعلو ص 177 وابن القيم في اجتماع الجيوش ص59 وابن حجر في فتح الباري 3318/3.

(4) اجتماع الجيوش الإسلامية ص 161، لابن القيم ، ط دار الفكر بيروت لبنان، 1415هـ تحقيق رضوان جامع.

يعاقب في الدنيا ولا يعذب في الآخرة إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسالة قال U: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء15). وقال U: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (القصص 47).

وقال U: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ (طه 134).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فهذا يبين أنه لم يكن ليعذب الكفار حتى يبعث إليهم رسولا، وبين أنهم كانوا قبل الرسول قد اكتسبوا الأعمال التي توجب المقت والذم وهي سبب للعذاب لكن شرط العذاب قيام الحجة عليهم بالرسالة»[1].

وقال شمس الدين ابن القيم: «الواجب على العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير دين الإسلام فهو كافر وأن الله I لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول هذا في الجملة والتعيين موكل إلى علم الله وحكمه هذا في أحكام الثواب والعقاب أما في أحكام الدنيا فهي جارية على ظاهر الأمر، فأطفال الكفار ومجانينهم كفار في أحكام الدنيا لهم حكم أوليائهم وبهذا التفصيل يزول الإشكال في المسألة»[2].

وقال العلامة الشنقيطي: «والآيات القرآنية مصرحة بكثرة على عدم الاكتفاء بما نصب من الأدلة وما ركز من الفطرة بل إن الله تعالى لايعذب أحدا حتى يقيم عليه الحجة بإنذار الرسل فمن ذلك قوله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء15) فإنه قال فيها ﴿حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ولم يقل حتى نخلق عقولا وننصب أدلة ونركز فطرة»[3].

فائدة: العوم الجهال الذين ينتسبون لمن بدعته مكفرة من الفرق الضالة هل يكفرون؟

(1) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح **316/1**.

(2) طريق الهجرتين ص:**472** لابن القيم ، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ط: الأولى **1420**هـ تحقيق الفضيلي .

(3) أضواء البيان **251/2**.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما المتتسبون إلى الشيخ يونس فكثير منهم كافر بالله ورسوله لايقرون بوجوب الصلوات الخمس وصيام شهر رمضان وحج البيت العتيق ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله بل لهم من الكلام في سب الله ورسوله والقرآن والإسلام ما يعرفه من عرفهم.

وأما من كان فيهم من عامتهم لايعرف أسرارهم وحقائقهم فهذا يكون معه إسلام عامة المسلمين الذي استفاده من سائر المسلمين لا منهم، فإن خواصهم مثل الشيخ سلول وجهلان و الصهباني وغيرهم فهؤلاء لم يكونوايوجبون الصلاة بل ولا يشهدون للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة وفي أشعارهم كشعر الكوجلي وغيره من سب النبي صلى الله عليه وسلم وسب القرآن والإسلام ما لا يرضى به لا اليهود ولا النصارى » [1].

4ـ مانع الإكراه:

والإكراه هو : « حمل الغير على ما يكرهه بالوعيد»[2]. أو هو« إلزام الغير بما لا يريده»[3]. أو « المكره هو الذي لم يخل وتصريف إرادته في متعلقاتها المحتملة لها»[4].

ويقابله كشرط الاختيار. والإكراه المانع من الكفر هو الذي يكون بالتهديد بالقتل أو القطع أو أن يقع على المكلف تعذيب شديد وهذا قول الجمهور وهو الراجح[5].

قال الدسوقي: « والإكراه يكون بالقتل أو بضرب يؤدي إليه، وكذا بإتلاف عضو من أعضائه أو بضب يؤدي إليه، أي بقيد أو سجن شديدين على أظهر القولين لسحنون»[6].

(1) مجموع الفتاوي 106/2 - 107.

(2) التعريفات للجرجاني ص 31.

(3) فتح الباري 3094/3.

(4) أحكام القرآن لابن العربي160/3.

(5) انظر أحكام القرآن لابن العربي160/3 والبحر المحيط 352/1 وفتح الباري 3094/3.

(6) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير548/4 ، دار الفكر بيروت، 1424هـ.

ويجعل ابن قدامة من الحنابلة السب والشتم في حق ذوي المروءات من صور الإكراه المعتبر.

والحبس اليسير والضرب الخفيف يعتبره الحنفية من الإكراه المعتبر بالنسبة لذوي المروءات ويعتبره المالكية مطلقا وهو قول للشافعية[1]

ودليل هذا المانع قوله U:﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ (النحل 106) . وعن ابن عباس t أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر t حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد e فوافقهم على ذلك مكرها وجاء معتذرا إلى النبي e فأنزل الله هذه الآية [2].

قال ابن كثير: «ولهذا اتفق العلماء على أنه يجوز أن يوالي المكره على الكفر إبقاء لمهجته»[3].

لكن الأفضل للمكره على الكفر الصبر على القتل وغيره من الأذى:

قال ابن بطال: «أجمعوا على أن من أكره على الكفر واختار القتل أنه أعظم أجرا عند الله ممن اختار الرخصة، وأما غير الكفر فإن أكره على أكل الخنزير وشرب الخمر مثلا فالفعل أولى » [4].

تنبيه: لايجوز للمكره قتل الغير أو الاعتداء عليه أو انتهاك حرمته:

قال الجصاص: «وقالوا فيمن أكره على قتل رجل أو على الزنا بامرأة لا يسعه الإقدام عليه لأن ذلك من حقوق الناس وهما متساويان في الحقوق فلا يجوز إحياء نفسه بقتل غيره بغير استحقاق، وكذلك الزنا بالمرأة فيه انتهاك لحرمتها بمعنى لا تبيحه الضرورة وإلحاقها بالشين والعار» [5].

(1) مواهب الجليل شرح مختصر خليل 434/8، للحطاب، دار الكتب العلمية، ط الأولى 1416هـ، والمغني لابن قدامة 447/13 - 448 وحاشية ابن عابدين 130/6 والمجموع للنووي 42/21.

(2) الطبري في تفسيره(21944) والحاكم في المستدرك (3362) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي والبيهقي في السنن الكبرى(16896)362/8 - 363 وقواه بمجموع طرقه ابن حجر في الفتح 3094/3.

(3) تفسير ابن كثير 588/2 و عمدة التفسير لأحمد شاكر 353/2.

(4) فتح الباري 3096/3 وانظر المجموع للنووي 42/21 وأحكام القرآن لابن العربي162/3.

(5)أحكام القرآن للجصاص 16/5.

ونحوه لابن العربي لكن حكى الخلاف في جواز إقدام المكره على الزنا وقال: «والصحيح أنه يجوز له الإقدام عليه ولا حد عليه خلافا لابن الماجشون»(1).

ملاحظة: السكر الذي يزول معه العقل اختلف أهل العلم في اعتباره مانعا من التكفير واختار ابن القيم

اعتباره وهو قول الأحناف وبعض الحنابلة وبعض الشافعية(2).

فائدة:

العوام الجهال الذين ينتسبون لمن بدعته مكفرة من الفرق الضالة هل يكفرون؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما المنتسبون إلى الشيخ يونس فكثير منهم كافر بالله ورسوله لايقرون بوجوب الصلوات الخمس وصيام شهر رمضان وحج البيت العتيق ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله بل لهم من الكلام في سب الله ورسوله والقرآن والإسلام ما يعرفه من عرفهم.

وأما من كان فيهم من عامتهم لايعرف أسرارهم وحقائقهم فهذا يكون معه إسلام عامة المسلمين الذي استفاده من سائر المسلمين لا منهم، فإن خواصهم مثل الشيخ سلول وجهلان و الصهباني وغيرهم فهؤلاء لم يكونوايوجبون الصلاة بل ولا يشهدون للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة وفي أشعارهم كشعر الكوجلي وغيره من سب النبي صلى الله عليه وسلم وسب القرآن والإسلام ما لا يرضى به لا اليهود ولا النصارى"(3).

---

(1)أحكام القرآن لابن العربي 160/3، دار الفكر،بيروت،الطبعة الأولى 1425هـ تحقيق محمد عبد القادر عطا.

(2) انظرالمجموع للنووي 42/21 و إعلام الموقعين 39/4 والمغني مع الشرح الكبير 109/10 والبحر المحيط 356/1 وشرح ابن النجار510/1.

(3) مجموع الفتاوي 106/2 - 107

الخلاصة:

1- الإيمان قول وفعل ويزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

2- أهل الإيمان متفاضلون فيه بحسب الإيمان والعمل الصالح.

3- الفاسق لا يخرج من مطلق الإيمان فهو مؤمن فاسق ناقص الإيمان ولا ينال شرف الإيمان المطلق.

4- ولا يخلد هذا الفاسق في النار بل هو داخل في المشيئة إن شاء الله عفا عنه وإن شاء عاقبه.

5- العرض هو الحساب اليسير، أما من نوقش الحساب فسوف يهلك.

6- لا يكفر بالمعاصي التي دون الكفر إلا من استحلها.

7- تقبل توبة العبد ما لم يغرغر.

8- يغلق باب التوبة بطلوع الشمس من مغربها.

9- لايكفر المعين إلا بعد توفر الأسباب وانتفاء الموانع.

الأسئلة:

1- هل يزيد الإيمان وينقص؟

2- هل يتفاضل أهله فيه؟

3- ما حكم الفاسق الملي؟

4- هل هو مخلد في النار؟

5- ما هو العرض؟

6- متى يكفر بالمعاصي؟

7- متى يغلق باب التوبة؟

8- ما هي موانع التكفير؟

9- ما الفرق بين التكفير المطلق وتكفير المعين؟.

فصل

في معرفة نبينا محمد r وتبليغه الرسالة وإكمال الله لنا به الدين، وأنه خاتم الأنبياء وسيد ولد آدم أجمعين، وأنه من ادعى النبوة بعده فهو كاذب

أهم المسائل:

1- معرفة نسب نبينا محمد r ومولده .
2- إثبات نبوته ورسالته.
3- سن نزول الوحي عليه r .
4- دعوته r إلى دين الله.
5- خلوته في غار حراء قبل النبوة.
6- حادثة الإسراء والمعراج.
7- هجرته r نحو المدينة.
8- فرض الجهاد في سبيل الله.
9- وفاته والتحاقه بالرفيق الأعلى.
10- الشهادة له بالتبليغ.
11- أنه خاتم الأنبياء وأفضل الناس.

النص:

وفيه تسعة عشر بيتا (19):

237/1 نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ مِنْ هاشِمِ ... إلَى الذَّبِيحِ دُونَ شَكٍّ يَنْتَمِي

238/2 أَرْسَلَهُ اللهُ إلَيْنَا مُرْشِدَا ... وَرَحْمَةً لِلْعالَمِينَ وَهُدَى

239/3 مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ الْمُطَهَّرَهْ ... هِجْرَتُهُ لِطَيْبَةَ الْمُنَوَّرَهْ

240/4 بَعْدَ ارْبَعِينَ[1] بَدَأَ الوَحْيُ بِهِ ... ثُمَّ دَعَا إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ

241/5 عَشْرَ سِنِينَ أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا ... رَبًّا تَعَالَى شَأْنُهُ وَوَحِّدُوا

242/6 وَكَانَ قَبْلَ ذاكَ فِي غارِ حِرَا ... يَخْلُو بِذِكْرِ رَبِّهِ عَنِ الوَرَى

243/7 وَبَعْدَ خَمْسِينَ مِنَ الأَعْوامِ ... مَضَتْ لِعُمْرِ سَيِّدِ الأَنامِ

244/8 أَسْرَى بِهِ اللهُ إِلَيْهِ فِي الظُّلَمْ ... وَفَرَضَ الْخَمْسَ عَلَيْهِ وَحَتَمْ

245/9 وَبَعْدَ أَعْوامٍ ثَلاثَةٍ مَضَتْ ... مِنْ بَعْدِ مِعْراجِ النَّبِيِّ وانْقَضَتْ

246/10 أُوذِنَ بِالْهِجْرَةِ نَحْوَ يَثْرِبَا ... مَعْ كُلِّ مُسْلِمٍ لَهُ قَدْ صَحِبَا

247/11 وَبَعْدَهَا كُلِّفَ بِالْقِتالِ ... لِشِيعَةِ الكُفْرانِ والضَّلالِ

248/12 حَتَّى أَتَوْا لِلدِّينِ مُنْقادِينَا ... وَدَخَلُوا فِي السِّلْمِ مُذْعِنِينَا

249/13 وَبَعْدَ أَنْ قَدْ بَلَّغَ الرِّسالَهْ ... واسْتَنْقَذَ الْخَلْقَ مِنَ الْجَهالَهْ

250/14 وَأَكْمَلَ اللهُ بِهِ الإِسْلامَا ... وَقامَ دِينُ الْحَقِّ واسْتَقامَا

251/15 قَبَضَهُ اللهُ العَلِيُّ الأَعْلَى ... سُبْحانَهُ إِلَى الرَّفِيقِ الأَعْلَى

252/16 نَشْهَدُ بِالْحَقِّ بِلاَ ارْتِيابِ ... بِأَنَّهُ الْمُرْسَلُ بِالكِتابِ

253/17 وَأَنَّهُ بَلَّغَ مَا قَدْ أُرْسِلاَ ... بِهِ وَكُلَّ مَا إِلَيْهِ أُنْزِلاَ

18/254 وَكُلُّ مَنْ مِنْ بَعْدِهِ قَدِ ادَّعَى ... نُبُوَّةً فَكاذِبٌ فِيمَا ادَّعَى

19/255 فَهْوَ خِتامُ الرُّسْلِ بِاتِّفاقِ ... وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ عَلَى الإِطْلاقِ

الشرح:

(نبينا) هو **(محمد)** بن عبد الله ﷺ سيد الأنبياء وإمام المرسلين، وصاحب المقام المحمود وسيد ولد آدم. وهو **(من)** بني **(هاشم)** بن عبد مناف بن قصي فمن زعم أنه ليس من بني هاشم فهو كافر[2]، **(إلى الذبيح)** يعني إسماعيل بن إبراهيم عليهما أفضل الصلاة والتسليم **(دون شك)** أي ريب وظن **(ينتمي)** ينتسب.

وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.

(1) بجعلها همزة وصل للوزن.

(2) انظر فتح الباري 1605/2.

ونسبة النبي r لإسماعيل بن إبراهيم محل إجماع، وإنما اختلفوا في عدد وأسماء آبائه فيما بين عدنان وإسماعيل عليه السلام[1].

فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسمه شيبة بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصي واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسمه عامر بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[2].

فهذا مجمع عليه واختلفوا فيما بين عدنان وإسماعيل قال أبو عمر بن عبد البر: "والذي عليه أئمة هذا الشأن في نسب عدنان قالوا: عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام وهكذا ذكر محمد بن إسحاق"[3].

ومنع مالك الزيادة على عدنان وروي ذلك عن عمر وابن عباس وابن مسعود وعروة وأبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة وغيرهم ورجحه النووي[4].

وعن واثلة بن الأسقع t قال: سمعت رسول الله r يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم»[5].

قوله (**مولده**) r كان (**بمكة المطهره**) يوم الاثنين في ربيع الأول عام الفيل.

قال النووي: "واتفقوا على أنه ولد يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، واختلفوا هل هو في اليوم الثاني أم الثامن أم العاشر أو الثاني عشر، فهذه أربعة أقوال مشهورة"[6].

---

(1) انظر فتح الباري 1606/2 والبداية والنهاية 164/2 وتهذيب الأسماء واللغات 49/1.

(2) سيرة ابن هشام 07/1 وفتح الباري 1606/2 وتهذيب الأسماء واللغات 49/1.

(3) البداية والنهاية 165/2 وانظر سيرة ابن هشام 07/1 والاستيعاب 23/1.

(4) البداية 165/2 وتهذيب الأسماء واللغات 49/1.

(5) صحيح مسلم (2276).

(6) تهذيب الأسماء واللغات 50/1.

وجزم الخوارزمي بأنه ولد في الثامن وأقره ابن عبد البر، ونقل الذهبي عن شيخه الدمياطي أن الصحيح أنه ولد في العاشر وأقره على ذلك وهو المروي عن أبي جعفر محمد بن علي[1]

(هجرته) r **(لـ)** أي إلى **(طيبة)** أي المدينة **(المنورة)** شرفها الله وبهذه الهجرة تأسست الدولة الإسلامية، وبدأ التاريخ الهجري.

و**(بعد أربعين)** سنة من عمره r **(بدأ الوحي)** ينزل **(به)** أي عليه فنبئ بسورة العلق **(ثم)** أرسل بسورة المدثر فـ**(دعا إلى سبيل ربه)** بالحكمة والموعظة الحسنة **(عشر سنين)** الأولى فكان يقول للناس **(أيها الناس)** فيشمل الثقلين الجن والإنس **(اعبدوا ربا تعالى)** تعاظم **(شأنه)** وحده دون غيره **(ووحدوا)** الله تعالى: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف 59].

والمقصود أنه r ركز في هذه السنوات العشر الأول على الدعوة إلى التوحيد فقط، ثم ركز عليه بعد ذلك مع غيره. ومن هنا ندرك أن كل دعوة لا تبدأ بالتوحيد أو لا تركز عليه محكوم عليها بالفشل فضلا عن مخالفتها لهدي النبي r .

(وكان) r **(قبل ذاك)** أي قبل نزول الوحي عليه **(في غار)** أي كهف في جبل **(حرا)** يقيم مدة طويلة لكي **(يخلو بذكر ربه)** سبحانه وتعالى تعبدا وتفكرا في مخلوقاته جل وعلا، بعيدا **(عن الورى)** أي الخلق الذين كانوا أهل جاهلية.

عن عائشة g أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله r من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني

(1) الاستيعاب 16/1 والسيرة للذهبي ص 7

فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْـرَأْ وَرَبُّـكَ الْـأَكْرَمُ﴾ [العلق 1-3]... الحديث»[1].

وعن أنس بن مالك t قال: كـان رسـول الله r لـيس بالطويـل البـائن ولا بالقصير ولا بالأبيض الأمهق، وليس بالآدم وليس بالجعد القطط ولا بالسبط، بعثه الله على رأس أربعين سنة فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينـة عشـر سـنين، فتوفـاه الله وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء»[2].

قولـه **(وبعد)** اثنـتين و **(خمسـين مـن الأعـوام)** أي السـنوات **(مضت)** مـرت **(لعمر سيد الأنام)** محمد r والأنام الخلق **(أسرى به)** أي ببدنه وروحـه r **(الله)** تعالى **(إليه)** فذهب إلى بيت المقدس ثم عرج به إلى السماوات العلـى **(في الظلـم)** أي في الليـل **(وفـرض)** أي أوجـب الله الصـلوات **(الخمـس عليـه)** وعلـى أمتـه **(وحـتم)** ذلك أي أكد إيجابه والصواب أن الإسراء كان قبـل الهجـرة بسـنة، وعليـه يكون عمره r اثنتين وخمسين سنة.

وعن أنس بن مالك t عن مالك بن صعصعة t قال: قال الـنبي r: «بينـا أنا عند البيت بين النائم واليقظان -وذكر رجلا بين الرجلين- فأتيت بطست من ذهب ملآن حكمة وإيمانا فشق من النحر إلى مراق البطن ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ حكمة وإيمانا وأتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار: البراق فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معـك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على آدم فسلمت عليه فقال: مرحبا بك من ابن ونبي. فأتينا السماء الثانية قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أرسل إليه؟ قـال: نعـم، قيـل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على عيسى ويحيى فقالا: مرحبا بك من أخ ونبي.

فأتينا السماء الثالثة قيل: من هذا؟ قيل: جبريل، قيل: من معـك؟ قـال: محمـد،

---

(1) البخاري (03) ومسلم (160).

(2) البخاري (3548) ومسلم (2347).

قيل: وقد أرسل إليه، قال: نعم، قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء، فأتيت يوسف فسلمت عليه، فقال: مرحبا بك من أخ ونبي. فأتينا السماء الرابعة قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمد ﷺ ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على إدريس فسلمت عليه فقال: مرحبا بك من أخ ونبي. فأتينا السماء الخامسة قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء، فأتينا على هارون فسلمت عليه فقال: مرحبا بك من أخ ونبي. فأتينا على السماء السادسة، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك، قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ مرحبا به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على موسى فسلمت عليه فقال: مرحبا بك من أخ ونبي، فلما جاوزته بكى فقيل: ما أبكاك؟ قال: يا رب هذا الغلام الذي بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي. فأتينا السماء السابعة قيل: من هذا؟ قال: جبريل؟ قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه مرحبا به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على إبراهيم فسلمت عليه فقال: مرحبا بك من ابن ونبي فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم، ورفعت لي سدرة المنتهى فإذا بنبقها كأنه قلال هجر وورقه كأنه آذان الفيول في أصلها أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران، فسألت جبريل، فقال: فأما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران: فالنيل والفرات.

ثم فرضت علي خمسون صلاة فأقبلت حتى جئت موسى فقال: ماذا صنعت؟ قلت: فرضت علي خمسون صلاة، قال: أنا أعلم بالناس منك عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة وإن أمتك لا تطيق، فارجع إلى ربك فسله، فرجعت فسألته فجعلها أربعين، ثم مثله، ثم ثلاثين، ثم مثله، فجعلها عشرين ثم مثله فجعلها عشرا فأتيت موسى فقال: مثله فجعلها خمسا فأتيت: موسى فقال: ما صنعت؟ قلت: جعلها خمسا، فقال: مثله قلت: فسلمت فنودي إني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي،

وأجزى الحسنى عشرا»[1].

واختلف في وقت الإسراء على أقوال[2]:

1- قبل الهجرة بسنة قاله الجمهور وبه جزم النووي وبالغ ابن حزم فنقل الإجماع عليه.

2- قبل الهجرة بثمانية أشهر.

3- قبل الهجرة بستة أشهر.

4- قبل الهجرة بأحد عشر شهرا جزم به إبراهيم الحربي ورجحه ابن المنير.

5- قبل الهجرة بسنة وشهرين.

6- قبل الهجرة بسنة وثلاثة أشهر حكاه ابن فارس.

7- قبل الهجرة بسنة وخمسة أشهر قاله السدي.

8- قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا.

9- قبل الهجرة بثلاث سنين حكاه ابن الأثير.

10- قبل الهجرة بخمس سنين قاله الزهري، ورجحه عياض في الشفا.

ثم تحدث عن الهجرة النبوية فقال: **(وبعد أعوام)** عددها **(ثلاثة)** على اعتبار أن الإسراء قبل الهجرة بثلاث أعوام وقد عرفت أن قول الجماهير أنه قبلها بسنة واحدة **(مضت)** انتهت **(من بعد)** إسراء و**(معراج النبي)** محمد r **(وانقضت)** مضت وانتهت **(أوذن)** أعطي الإذن **(بالهجرة)** أي الانتقال من بلد الخوف إلى بلد الأمن **(نحو)** تجاه **(يثربا)** هذا كان اسم المدينة النبوية قبل الإسلام وهي طيبة وطابة التي يأرز إليها الإسلام. **(مع)** مصاحبة **(كل مسلم)** يؤمن بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا **(له قد صحبا)** أي كل واحد من الصحابة.

وكانت الهجرة بعد ثلاث عشرة سنة من البعثة النبوية وهو ابن ثلاث وخمسين.

---

(1) البخاري (3207) واللفظ له ومسلم (164).

(2) فتح الباري 1733/2 والشفا للقاضي عياض ص: 235 والاستيعاب 31/1 والسيرة للذهبي ص 153.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله r لأربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين»[1].

ثم بين متى وجب عليه r الجهاد فقال:

وبعدها كلف بالقتال	لشيعة الكفران والضلال
حتى أتوا للدين منقادينا	ودخلوا في السلم مذعنينا

قوله **(وبعدها)** أي الهجرة إلى المدينة **(كلف)** أي أمر وألزم **(بالقتال)** جهادا في سبيل الله وإعلاء لكلمة الله وتبليغا لدين الله تعالى **(لشيعة)** أعوان وأنصار **(الكفران)** بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر **(والضلال)** على اختلاف طوائفهم الكثيرة. وكان الإذن بالجهاد في السنة الأولى وأول بعث هو سرية حمزة بن عبد المطلب في رمضان من السنة الأولى للهجرة[2].

(حتى) للغاية أي أن يكون الجهاد مستمرا إلى غاية أن **(أتوا)** جاؤوا مؤمنين تائبين **(للدين)** الإسلامي **(منقادين)** مطيعين مستسلمين **(ودخلوا)** كلهم **(في السلم)** الإسلام. **(مذعنينا)** طائعين خاضعين والألف في "منقادينا، ومذعنينا" للإطلاق. قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة 193].

واعلم أنه في أول الإسلام كان الجهاد بالحجة والبرهان فقط: ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [النساء 77]، ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان 52].

فلما تمت الهجرة وصار للمسلمين قوة ومنعة وصارت المدينة دار إسلام أذن لهم بالجهاد: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج 39]، ثم بعد ذلك أوجب الله الجهاد فقال: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة 36]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ

(1) صحيح البخاري (3902) واللفظ له ومسلم (2351).

(2) الاستيعاب 33/1

حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة 5].

ثم تكلم على وفاته r فقال:

وبعد أن قد بلغ الرساله — واستنقذ الخلق من الجهاله
وأكمل الله به الإسلاما — وقام دين الحق واستقاما
قبضه الله العلي الأعلى — سبحانه إلى الرفيق الأعلى

قوله: **(وبعد أن قد بلغ)** محمد r **(الرسالة)** التي أرسله الله بها وهي الدين الإسلامي **(واستنقذ)** وانتشل **(الخلق)** الموجود في عصره فمن بعدهم **(من الجهالة)** أي الكفر والتيه والضلال والفساد الخلقي والاجتماعي والاقتصادي وغير ذلك **(وأكمل الله)** فضلا منه **(له الإسلاما)** كما في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة 3].

قوله: **(وقام)** أي ظهر وهيمن على غيره **(دين الحق)** هو الإسلام: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران 19]، **(واستقاما)** اعتدل في حكمه للبشرية بحيث لم يبق له منازع معتبر **(قبضه)** أي محمد r **(الله العلي الأعلى)** بعد أن خير فاختار ذلك **(سبحانه)** المنزه عن كل نقص **(إلى الرفيق الأعلى)** في أعلى عليين: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء 69].

وتوفي r ضحى يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة[1]، ودفن يوم الثلاثاء حين زالت الشمس وقيل ليلة الأربعاء، وتوفي عليه أفضل الصلاة والسلام وله ثلاث وستون سنة على الصحيح المشهور ومن قال ستين فبإلغاء الكسر، ومن قال خمس وستون فقد عد سنة المولد وسنة الوفاة. قال النووي: "والصحيح ثلاث وستون"[2].

(1) البخاري (1273) ومسلم (941).
(2) تهذيب الأسماء واللغات 50/1.

وعن عائشة g أن النبي r توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة(1).

ثم تحدث عن تبليغه r فقال:

نشهد بالحق بلا ارتياب بأنه المرسل بالكتاب

وأنه بلغ ما قد أرسلا به وكل ما إليه أنزلا

قوله (**نشهد بالحق**) باليقين والصدق (**بلا ارتياب**) دون شك (**بأنه المرسل بالكتاب**) أي القرآن الكريم وبيانه وهي السنة إلى كافة الناس من الجن والإنس: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ 28]، والمقصود أنه r مبلغ عن الله عز وجل لم يأت بشيء من قبل نفسه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم 3-4].

(**و**) نشهد (**أنه بلغ**) r (**ما**) الذي (**قد أرسلا به**) من الله عز وجل، وبلغ (**كل ما إليه أنزلا**) من دين الله الإسلام.

والمعنى أنه r بلغ جميع ما أرسل به، لم يكتم منه حرفا واحدا، فهذا الذي بلغ هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله دينا سواه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة 67]، وقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء 79]، وهذا الدين الذي جاء به r شامل كامل مهيمن على غيره، قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام 38].

ثم ختم هذا الفصل ببيان كونه r خاتم الأنبياء فقال:

وكل من من بعده قد ادعى نبوة فكاذب فيما ادعى

فهو ختام الرسل باتفاق وأفضل الخلق على الإطلاق

قوله (**كل من**) الذي (**من بعده**) r (**قد ادعى نبوة**) صراحة أو ضمنا كأن يدعي نزول الوحي عليه بنسخ بعض الأحكام عن طريق نفث الروع، أو الإلقاء في

(1) البخاري (3536) ومسلم2349).

القلب أو نحو ذلك مما يقع لكثير من المتصوفة حتى قالوا: "أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا عن الحي الذي لا يموت"[1].

فكل من ادعى شيئا من ذلك **(فكاذب)** مفتر **(فيما ادعى)** من النبوة أو ما يختص بها. **(فهو)** r **(ختام الرسل)** أي آخرهم ومكملهم فلا نبي بعده **(باتفاق)** من كل نبي مرسل أو كتاب منزل أو مؤمن بالله واليوم الآخر قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب 40].

وعن أبي هريرة t أن رسول الله r قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيئين»[2].

عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه t قال: قال رسول الله r : «لي خمسة أسماء أنا محمد وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب»[3].

قال صاحب المراقي:

وبعد أن بعث خير العرب   دعوى النبوة انمها للكذب[4]

وقال شهاب الدين محمود الآلوسي: " وكونه r خاتم النبيين مما نطق به الكتاب وصدعت به السنة وأجمعت عليه الأمة فيكفر مدعي خلافه، ويقتل إن أصر"[5].

---

(1) أنظر بغية المستفيد ص 18.

(2) البخاري (3535) واللفظ له ومسلم (2286).

(3) البخاري (3532) واللفظ له ومسلم (2354).

(4) نثر الورود 378/1.

(5) روح المعاني للآلوسي41/22.

وقال الملا علي القاري:"ودعوى النبوة بعد نبينا محمد r كفر بالإجماع"[1].

وقال محمد عليش المالكي:" ويكفر بأن ادعى شركا ـ أي شخصا مشاركا ـ مع نبوة نبينا محمد r لمخالفته قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب (40)]، ويكفر إن جوز اكتساب النبوة بتصفية القلب وتهذيب النفس والجد في العبادة لاستلزامه جوازها بعد سيدنا محمد r وتوهين ما جاءت به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم"[2].

قوله (و) هو r بالإجماع **(أفضل الخلق)** كلهم **(على الإطلاق)** بلا استثناء قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة 253]، وفي حديث أبي هريرة t أنه r قال: «أنا سيد القوم يوم القيامة... »[3]، وفي رواية: «أنا سيد الناس يوم القيامة... »[4].

قال القاضي عياض: "قيل السيد الذي يفوق قومه والذي يفزع إليه في الشدائد، والنبي r سيدهم في الدنيا والآخرة وإنما خص يوم القيامة لارتفاع السؤدد فيها وتسليم جميعهم له ولكون آدم وجميع أولاده تحت لوائه r "[5].

---

(1) شرح الفقه الأكبر ص 244.

(2) منح الجليل شرح مختصر خليل464/4 بتصرف وانظرحاشية الدسوقي269/4.

(3) البخاري (3340).

(4) البخاري (4712) ومسلم (194).

(5) شرح النووي على مسلم 429/1.

الخلاصة:

1- نبينا هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ينتهي نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام.

2- ولد بمكة المكرمة ثم هاجر إلى المدينة النبوية.

3- نزل عليه الوحي وله أربعون سنة فبدأ الدعوة إلى الله سرا ثم صدع وجهر بالدعوة لكل الناس.

4- قبل نزول الوحي كان يخلو في غار حراء يتعبد فيه.

5- لما بلغ اثنين وخمسين سنة وقعت حادثة الإسراء والمعراج وفرضت عليه الصلوات الخمس.

6- ولما بلغ ثلاثا وخمسين سنة هاجر إلى المدينة.

7- وفي السنة الأولى من الهجرة أذن له r بالجهاد في سبيل الله.

8- وبعد أن بلغ الرسالة التحق بالرفيق الأعلى في 12 ربيع الأول سنة 11هـ وعمره ثلاث وستون سنة.

9- وهو خاتم الأنبياء فلا نبي بعده r .

الأسئلة:

1- ما هو نسب نبينا محمد r .

2- أين ولد ومتى؟ وإلى أين هاجر وما سنه حينئذ؟

3- أين كان يخلو قبل البعثة؟

4- ما سنه r عند نزول الوحي عليه؟

5- متى وقع الإسراء والمعراج؟

6- متى أذن له بالجهاد في سبيل الله؟

7- متى التحق بالرفيق الأعلى؟

8- ما حكم من ادعى النبوة بعده؟

فصل

فيمن هو أفضل الأمة بعد الرسول r وذكر الصحابة بمحاسنهم والكف عن مساوئهم وما شجر بينهم:

أهم المسائل:

1- معرفة أبي بكر الصديق t والإشارة إلى بعض مناقبه.

2- معرفة عمر بن الخطاب t وذكر بعض فضائله.

3- ترجمة عثمان بن عفان t وذكر بعض مناقبه.

4- ترجمة علي بن أبي طالب t والإشارة إلى بعض فضائله.

5- ذكر بقية العشرة وسائر الصحابة رضي الله عنهم وتابعيهم.

6- الإشارة إلى أهل البيت.

7- ذكر فضائل الصحابة.

8- وجوب السكوت عما جرى بين الصحابة.

النص:

وفيه واحد وعشرون بيتا (21):

256/1 وَبَعْـــدَهُ الْخَلِيفَـــةُ الشَّـــفِيقُ ... نِعْـمَ نَقِيـبُ الأُمَّـةِ الصِّـدِّيقُ

257/2 ذاكَ رَفِيقُ الْمُصْطَفَى فِـي الغـارِ ... شَـيْخِ الْمُهـاجِرِينَ والأَنْصـارِ

258/3 وَهْـوَ الـذِي بِنَفْسِـهِ تَـوَلَّى ... جِهـادَ مَـنْ عَـنِ الْهُـدَى تَـوَلَّى

259/4 ثانِيـهِ فِـي الفَضْـلِ بِـلاَ ارْتِيـابِ ... الصَّـادِعُ النَّـاطِقُ بِالصَّـوابِ

260/5 أَعْنِي بِهِ الشَّهْمَ أَبَا حَفْصٍ عُمَـرْ ... مَنْ ظاهَرَ الـدِّينَ القَـوِيمَ وَنَصَـرْ

261/6 الصَّـارِمُ الْمُنْكِـي عَلَـى الكُفَّـارِ ... وَمُوسِـعُ الفُتُـوحِ فِـي الأَمْصـارِ

262/7	ثــالِثُهُمْ عُثْمــانُ ذُو النُّــورَيْنِ	ذُو الْحِلْمِ والْحَيَا[1] بِـدُونِ مَـيْنِ
263/8	بَحْــرُ العُلُــومِ جــامِعُ القُــرْآنِ	مِنْـهُ اسْـتَحَتْ مَلائِـكُ الـرَّحْمَنِ
264/9	بَــايَعَ عَنْــهُ سَــيِّدُ الأَكْــوانِ	بِكَفِّــهِ فِــي بَيْعَــةِ الرِّضْــوانِ
265/10	والرَّابِعُ ابْـنُ عَـمِّ خَيْـرِ الرُّسُـلِ	أَعْنِي الإمامَ الْحَقَّ ذَا القَدْرِ العَلِـي
266/11	مُبِيــدِ كُــلِّ خــارِجِيٍّ مــارِقِ	وَكُــلِّ خِــبٍّ رافِضِــيٍّ فاسِــقِ
267/12	مَـنْ كـانَ لِلرَّسُـولِ فِـي مَكـانِ	هارُونَ مِـنْ مُوسَـى بِـلاَ نُكْـرانِ
268/13	لاَ فِـي نُبُـوَّةٍ فَقَـدْ قَـدَّمْتُ مَـا	يَكْفِي لِمَنْ مِنْ سُوءِ ظَـنٍّ سَـلِمَا
269/14	فالسِّــتَّةُ الْمُكَمِّلُــونَ العَشَــرَهْ	وَسائِرُ الصَّـحْبِ الكِـرامِ البَـرَرَهْ
270/15	وَأَهْلُ بَيْتِ الْمُصْـطَفَى الأَطْهـارُ	وَتــابِعُوهُ السَّــادَةُ الأَخْيــارُ
271/16	فَكُلُّهُــمْ فِــي مُحْكَــمِ القُــرْآنِ	أَثْنَــى عَلَـيْهِمْ خـالِقُ الأَكْـوانِ
272/17	فِـي الفَـتْحِ والْحَدِيـدِ والقِتـالِ	وَغَيْرِهَــا بِأَكْمَــلِ الْخِصــالِ
273/18	كَـذاكَ فِـي التَّـوْراةِ والإِنْجِيـلِ	صِــفاتُهُمْ مَعْلُومَــةُ التَّفْصِــيلِ
274/19	وَذِكْــرُهُمْ فِــي سُــنَّةِ الْمُخْتــارِ	قَدْ سارَ سَيْرَ الشَّمْسِ فِي الأَقْطارِ
275/20	ثُمَّ السُّكُوتُ واجِبٌ عَمَّـا جَـرَى	بَيْـنَهُمُ مِـنْ فِعْـلٍ مَـا قَـدْ قُـدِّرَا
276/21	فَكُلُّهُــــمْ مُجْتَهِــــدٌ مُثــــابُ	وَخَطَــؤُهُمْ يَغْفِــرُهُ الوَهَّــابُ

الشرح:

أبو بكر الصديق t :

(وبعده) أي نبينا محمد r **(الخليفة)** أي خليفة رسول الله r في أمته **(الشفيق)** الرؤوف الرحيم **(نعم)** فعل مدح **(نقيب الأمة)** أفضلها وأكثرهم سعيا في المصالح العامة للمسلمين، بويع بالخلافة بإجماع المسلمين، **(الصديق)** هو المخصوص بالمدح.

---

(1) بالقصر للوزن.

وهو أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي، وأمه أم الخير بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد التيمية.

أول الرجال إسلاما، وأفضل الأمة بعد نبيها إجماعا، وأول من جمع القرآن بين اللوحين وأحب الرجال إلى رسول الله r ، شهد المشاهد كلها وهو من المبشرين بالجنة، ولد بعد الفيل بسنتين وستة أشهر[1].

قوله **(ذاك)** إشارة إلى منزلته السامقة ومكانته العالية **(رفيق المصطفى)** المصاحب له **(في الغار)** يعني غار ثور الذي اختفيا فيه عن كفار قريش في الهجرة قال تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة 40]. وهو **(شيخ)** أي سيد وأفضل **(المهاجرين)** إلى الله ورسوله r **(والأنصار)** الذين نصروا دين الله وآووا رسوله r والمؤمنين.

عن علي بن أبي طالب t قال: كنت مع رسول الله r إذ طلع أبو بكر وعمر فقال رسول الله r : «هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيئين والمرسلين، يا علي لا تخبرهما»[2].

(وهو) أي أبو بكر الصديق **(الذي بنفسه)** مباشرة **(تولى)** أي باشر **(جهاد)** قتال **(من)** الذي **(عن الهدى تولى)** أبى وامتنع ممن ارتد عن الإسلام كمسيلمة وسجاح وأتباعهما، ومثل مانعي الزكاة.

عن أبي هريرة t قال: لما توفي رسول الله r وكان أبو بكر وكفر من كفر من العرب فقال عمر: كيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله r : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله، فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق

(1) الاستيعاب 577/1 وسير الخلفاء من سير أعلام النبلاء ص: 7 فما بعدها والإصابة 145/4.

(2)أحمد (602) بسند حسن والترمذي (3665) وحسنه وابن ماجه (95) وصححه ابن حبان (6904) والألباني في الصحيحة (822).

المال، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله r لقاتلتهم على منعها، فقال عمر t : فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر t فعرفت أنه الحق»[1].

عمر بن الخطاب t :

ثم ثنى بعمر بن الخطاب t فقال:

ثانيه في الفضل بلا ارتياب	الصادع الناطق بالصواب
أعني به الشهم أبا حفص عمر	من ظاهر الدين القويم ونصر
الصارم المنكي على الكفار	وموسع الفتوح في الأمصار

قوله (**ثانيه**) أي أبي بكر (**في الفضل**) والخلافة بإجماع الأمة الإسلامية (**بلا ارتياب**) ولا شك هو (**الصادع**) الجاهر بالحق الذي لا تأخذه في الله لومة لائم قال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر 94]. وهو (**الناطق بالصواب**) حيث وافق الوحي في مواطن كثيرة منها قوله: ألا نتخذ من مقام إبراهيم مصلى؟ فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة 125]. ومنها قوله له r : ألا تحجب نساءك، فنزلت آية الحجاب. ومنها قوله: عسى ربه أن يبدله أزواجا خيرا منكن، فنزلت قرآنا يتلى، وغيره كثير،

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله r قال: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه» وقال ابن عمر t : ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال فيه عمر أو قال ابن الخطاب فيه -شك خارجة- إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر[2].

قوله (**أعني**) أي أقصد (**به الشهم**) الذكي الفؤاد المتوقد قال الجوهري: شهم الرجل بالضم شهامة فهو شهم أي جلد ذكي الفؤاد[3]، (**أبا حفص**) كنيته والحفص

(1) البخاري (1399) (1400) واللفظ له ومسلم (20).

(2) أحمد (5145) وإسناده صحيح رجال ثقات غير نافع بن أبي نعيم وهو صدوق، ورواه أبوداود (2961) والترمذي (3682) وقال حسن صحيح وابن ماجه (108) وصححه الألباني وانظر تحقيق المسند ط: الرسالة.

(3) الصحاح للجوهري 1449/2 وانظر القاموس ص: 1017.

الأسد واسمه (**عمر**) بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي أمير المؤمنين القرشي العدوي الفاروق، وأمه حنتمة بنت هشام المخزومية قال الذهبي: هي أخت أبي جهل، أسلم في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة، وولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، قاله ابن عبد البر والذهبي وغيرهما.

قال ابن عبد البر: "فكان إسلامه عزا ظهر به الإسلام بدعوة النبي r وهاجر، فهو من المهاجرين الأولين، وشهد بدرا وبيعة الرضوان وكل مشهد شهده رسول الله r، وتوفي رسول الله r وهو عنه راض"[1].

بويع بالخلافة بعد أبي بكر الصديق بإجماع المسلمين، فأرسى دعائم الدولة الإسلامية، حيث دون الدواوين، ومصر الأمصار، واتخذ التاريخ الهجري، وصلى التراويح بالناس جماعة، وفتح الشام والعراق ومصر وغير ذلك، واستشهد في أواخر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين[2].

قوله (**من**) الذي (**ظاهر الدين**) أي أيده ونصره (**القويم**) السوي المستقيم (**نصر**) أي نصر الدين وأعزه قال ابن مسعود، ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر[3]، وهو (**الصارم**) السيف القاطع (**المنكي على الكفار**) أي المنكل بهم قتلا وتشريدا من النكاية[4].

وفي حديث سعد t أنه r قال: «إيها يابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط إلا سلك فجا غير فجك»[5].

(**وموسع الفتوح**) أي موسعها ومكثرها (**في الأمصار**) الأقاليم، حيث فتح العراق كلها، ومزق ملك المجوس وفتح الشام ومصر وكثيرا من أرض الترك ونهاوند

(1) الاستيعاب 75/2.
(2) الاستيعاب 74/2-83، وجزء الخلفاء من السير ص: 71-145 والإصابة 484/4-486.
(3) البخاري (3684).
(4) انظر القاموس ص: 1206.
(5) البخاري (3683) ومسلم (2396).

وأذربيجان والأهواز ورامهرمز وتستر وأصبهان وبرقة وطرابلس المغرب و أنطاكية وملقية وهمذان وجرجان وكرمان وسجستان وغير ذلك.

عن عبد الله بن عمر t أن النبي r قال: «أريت في المنام أني أنزع بدلو بَكْرَةٍ على قليب فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين نزعا ضعيفا، والله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربا، فلم أر عبقريا يفري فريه حتى روى الناس وضربوا بعطن»[1].

عثمان بن عفان t :

ثم ثلث بالحديث عن عثمان بن عفان t فقال:

ثالثهم عثمان ذو النورين ذو الحلم والحيا بدون مين

بحر العلوم جامع القرآن منه استحت ملائك الرحمن

بايع عنه سيد الأكوان بكفه في بيعة الرضوان

قوله (**ثالثهم**) في الفضل والخلافة (**عثمان**) بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس أمير المؤمنين أبو عمرو وأبو عبد الله القرشي الأموي ولد في السنة السادسة بعد الفيل وأمه أروى بنت كريز بن حبيب بن عبد شمس وأمها البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم أحد السابقين الأولين وذو النورين وصاحب الهجرتين وزوج الابنتين رقية وأم كلثوم بنتا رسول الله r [2].

قوله (**ذو النورين**) لقب بذلك لتزوجه بنتي النبي r رقية وأم كلثوم، ولا تعلم هذه الخصلة لأحد سواه. (**ذو**) صاحب (**الحلم**) بالكسر الأناة والعقل والرزانة، وقيل الحلم هو الطمأنينة عند سورة الغضب، وقيل تأخير مكافأة الظالم، وجمعه أحلام وحلوم، وفي التنزيل: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَـٰذَا﴾ [الطور 32]، وقال الفرزدق:

أحلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جنا إذا ما نجهل

(1) البخاري (3682) واللفظ له ومسلم (2393).

(2) انظر الاستيعاب لابن عبد البر 11/2 وجزء الخلفاء من السير ص: 149 - 222.

وقال جرير:

هــل مــن حلــوم لأقــوام فتنــذرهم ما جرب الناس من عضـي وتضريسـي[1]

(و) الموصوف بـ**(الحيا)** بالقصر لضرورة الشعر والحياء هو الحشمة أو هو انقباض النفس عن شيء وتركه حذرا عن اللوم فيه[2] **(بغير مين)** أي دون كذب، لأن هذا مما أخبر به الصادق المصدوق، ففي حديث أنس t أنه r قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر الصديق، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان...»[3].

وعن عائشة g قالت: كان النبي r مضطجعا في بيتي كاشفا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله r وسوى ثيابه، قال محمد - يعني ابن أبي حرملة -: ولا أقول ذلك في يوم واحد فدخل فتحدث فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال: ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة»[4]. وفي رواية: «إن عثمان رجل حيي، وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إلي في حاجته»[5].

قوله **(بحر العلوم)** أي أنه متبحر في كل العلوم الشرعية مع الفهم التام والخشية من الله **(جامع القرآن)** لما خشي الافتراق على المسلمين جمعهم هذا المصحف الذي بين أيدينا، ولهذا يسمى المصحف العثماني الذي كتب على القراءة الأخيرة التي درسها جبريل عليه السلام لنبينا محمد r في آخر حياته.

قوله **(منه)** أي عثمان و"من" هنا سببية **(استحت ملائك)** لغة في الملائكة

(1) انظر لسان العرب 146/12 والتعريفات للجرجاني ص: 82.

(2) لسان العرب 217/15 والصحاح 1693/2 والتعريفات للجرجاني ص: 83.

(3) أحمد (13990) وإسناده على شرط الشيخين، ورواه الترمذي (3791) وقال حسن صحيح وابن ماجه (154) والنسائي في الكبرى (8242) والطيالسي (2096) وانظر تحقيق المسند ط: الرسالة.

(4) صحيح مسلم (2401).

(5) صحيح مسلم (2402).

(الرحمن) سبحانه وتعالى، وقد تقدم قوله r : «ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة».

ومن مناقبه الكثيرة أنه **(بايع)** نيابة **(عنه)** أي عن عثمان **(سيد الأكوان)** جمع كون وهو محمد r **(بكفه)** اليسرى **(في بيعة الرضوان)** تحت الشجرة، لأن النبي r أرسله إلى قريش عام الحديبية فلما تأخر وأشيع قتله بايع الصحابة كلهم وقال هذه عن عثمان وضرب بيده على الأخرى[1].

علي بن أبي طالب t :

ثم ربع بعلي بن أبي طالب t فقال:

والرابـع ابـن عـم خـير الرسـل	أعني الإمـام الحـق ذا القـدر العلـي
مبيــد كــل خــارجي مــارق	وكــل خــب رافضــي فاســق
مــن كــان للرســول في مكــان	هــارون مــن موســى بــلا نكــران
لا في نبــوة فقــد قــدمت مــا	يكفــي لمـن مـن سـوء ظـن سـلما

قوله **(والرابع)** في الخلافة إجماعا وفي الفضل عند عامة أهـل السـنة والجماعـة **(ابن عم)** محمد r **(خير الرسل)** وأفضلهم **(أعني)** أقصد **(الإمام الحق)** بالإجماع بلا مدافعة ولا ممانعة **(ذا)** صاحب **(القدر علي)** الرفيع السامق وهو أمـير المـؤمنين أبو السبطين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشـي الهـاشمي، أمـه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية.

أول من أسلم من الصبيان ونام على فراشه r ليلـة الهجـرة، وشـهد المشـاهد كلها إلا تبوك، وفتح خيبر وبارز فيها وفي يومي بدر والخندق فقتل مبارزه[2].

قوله **(مبيد)** مهلك ومدمر **(كل)** إنسان **(خارجي)** نسبة إلى الخوارج[3] وهـي الفرقة التي خرجت على طاعة علي t بعد حادثة التحكيم وقالـت: لا حكـم إلا

(1) سيرة ابن هشام ص: 431.

(2) انظر سير أعلام النبلاء جزء الخلفاء ص: 225-290 والاستيعاب 42/2-68.

(3) انظر الملل والنحل للشهرستاني ص 92 والفرق بين الفرق للبغدادي ص 24.

حكم الله. **(مارق)** خارج عن حكم الله وشرعه وطاعة أمير المؤمنين، وقد جاء في صفة الخوارج أنه r قال : «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»[1]. **(و)** مبيد ومهلك **(كل)** شخص **(خب)** بالفتح والكسر المخادع الماكر الخائن. **(رافضي)** نسبة إلى الرفض وهو الترك بازدراء واستهانة لرفضهم لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وزعموا أنهما ظلما عليا واغتصبا الخلافة هما ومن معهم من الصحابة[2]. **(فاسق)** عاص خارج عن أمر الله تعالى.

ومن مناقبه الكثيرة أنه **(من كان للرسول)** r **(في مكان)** أي منزلة، **(هارون)** عليه السلام **(من موسى)** عليه السلام **(بلا نكران)** لأن هذا ثابت من رسول الله r **(لا في نبوة)** فقد كان هارون عليه السلام نبيا وأما علي t فليس نبيا لأنه r هو خاتم الأنبياء فلا نبي بعده **(فقد قدمت)** في فصل النبوة من هذا الكتاب **(ما)** الذي **(يكفي لمن)** أي الذي **(من سوء ظن)** وفساد معتقد **(سلما)** وهو قوله:

وكل من من بعده قد ادعى ... نبوة فكاذب فيما ادعى

فعن سعد t أن رسول الله r خرج إلى تبوك واستخلف عليا فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي»[3].

ثم تكلم عن بقية العشرة المشهود لهم بالجنة في الحديث وبقية الصحابة فقال:

فالستة المكملون العشره ... وسائر الصحب الكرام البرره

(ف) يليهم في الفضل **(الستة المكملون)** عدد **(العشرة)** المشهود لهم بالجنة هم رسول الله r وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد وطلحة والزبير رضي الله عنهم .

فعن عبد الرحمن بن الأخنس أنه كان في المسجد فذكر رجل عليا عليه السلام

(1) البخاري (6931) ومسلم (1064).

(2) الملل والنحل للشهرستاني ص: 125 والفرق بين الفرق ص21.

(3) البخاري (4416) واللفظ له ومسلم (2404).

فقام سعيد بن زيد t فقال: أشهد على رسول الله r أني سمعته وهو يقول: «عشرة في الجنة: النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة» ولو شئت لسميت العاشر، فقالوا: من هو، فسكت قال: فقالوا: من هو، قال: هو سعيد بن زيد[1].

واعلم أن المشهود له بالجنة من الصحابة غير محصور في هؤلاء بل قد ثبت ذلك في حق غيرهم كبلال وخديجة بنت خويلد والمرأة التي كانت تصرع وغيرهم كثير.

قوله **(وسائر)** أي باقي **(الصحب)** اسم جمع للصحابي وهو من لقي النبي r مسلما ومات على الإسلام. **(الكرام البرره)** أي الأخيار الذين هم خير القرون، فعن عبد الله بن مسعود t أنه r قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»[2].

أهل بيته r :

ثم تحدث عن أهل بيته r والتابعين فقال:

وأهل بيت المصطفى الأطهار وتابعيه السادة الأخيار

قوله **(وأهل بيت)** الرسول محمد r **(المصطفى المختار)** أي المفضل على غيره، والمقصود بأهل بيته أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب 33]، وقال تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب 6]، وزوجاته هن[3]:

1- خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية g .

---

(1) أحمد (1629) بسند صحيح ورواه أبو داود (4649) واللفظ له وابن ماجه (133) والنسائي في الكبرى (8193) والحلية 95/1 وصححه الألباني.

(2) البخاري (3651) واللفظ له ومسلم (2533).

(3) انظر تهذيب الأسماء واللغات 53/1 وزاد المعاد 66/1-72 والسيرة النبوية للذهبي ص 414 والاستيعاب 34/1.

2- عائشة بنت أبي بكر الصديق التيمية g .
3- أم سلمة هند بنت أمية بن المغيرة المخزومية g .
4- سودة بنت زمعة بن قيس من بني عامر بن لؤي g .
5- زينب بنت جحش من بني أسد بن خزيمة g .
6- صفية بنت حيي بن أخطب النضرية g .
7- جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية المصطلقية g .
8- أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب الأموية g .
9- ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية g .
10- حفصة بنت عمر بن الخطاب العدوية g .
11- زينب بنت خزيمة أم المساكين من بني عامر بن صعصعة g وقد توفيت في حياته r .

ويشمل أهل بيته كل من تحرم عليه الصدقة، وهم بنو هاشم وبنو المطلب ويدخل فيهم دخولا أوليا: أولاده r وما تفرع عنهم.

عن عائشة g قالت: خرج النبي r غداة وعليه مرط مرحل من شعر فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب 33][1].

قوله (**وتابعيه**) أي الرسول r وصحبه الذين اتبعوهم بإحسان (**السادة**) الفضلاء (**الأخيار**) المصطفون، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ [التوبة 100].

والتابعي اصطلاحا هو من لقي صحابيا وهو مسلم ومات على الإسلام.

---

(1) مسلم [(6261) /(2424)].

فضائل الصحابة:

ثم بين فضائل ومناقب هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم فقال:

فكلهم في محكم القرآن أثنى عليهم خالق الأكوان

في الفتح والحديد والقتال وغيرها بأكمل الخصال

كذاك في التوراة والإنجيل صفاتهم معلومة التفصيل

وذكرهم في سنة المختار قد سار سير الشمس في الأقطار

قوله: (**فكلهم**) أي الصحابة رضوان الله عليهم (**في محكم القرآن**) ما أحكم المراد به عن التخصيص والتأويل والنسخ، مأخوذ من قولهم بناء محكم أي متقن مأمون الانتقاض(1).

(**أثنى عليهم**) أي مدحهم (**خالق الأكوان**) سبحانه وتعالى (**في**) عدة سور من القرآن الكريم، مثل سورة (**الفتح**) كلها نحو: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح 18].

(**و**) كذلك في سورة (**الحديد**) كقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد 10]، (**و**) سورة (**القتال**) وهي سورة محمد ﷺ كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد 2].

(**و**) في سور (**غيرها**) أثنى عليهم الله ومدحهم (**بأكمل**) وأفضل (**الخصال**) أي الصفات مثل قوله تعالى في سورة الحشر: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا

(1) تعريفات الجرجاني ص: 172.

يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آَمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر 8-10]، وكذلك في سورة التوبة كلها مثل: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة 88-89]، وكذلك في سورة الأنفال كلها مثل: ﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال 74].

قوله **(كذاك)** ثبت **(في التوراة)** المنزلة على موسى عليه السلام **(والإنجيل)** المنزل على عيسى عليه السلام وغيرهما من الكتب المقدسة **(صفاتهم)** وأخلاقهم وخصالهم **(معلومة التفصيل)** لوضوحها قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الحديد 29].

قوله **(وذكرهم)** أي الصحابة رضوان الله عليهم **(في سنة المختار)** محمد r **(قد)** ذاع وانتشر و**(سار سير الشمس)** في رابعة النهار **(في الأقطار)** والأمصار كلها.

فعن أبي سعيد الخدري t قال: قال النبي r : «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»(1).

وعن ابن مسعود t أنه r قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم يجيء

(1) البخاري (3673) واللفظ له ومسلم (2541).

قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»[1].

السكوت عما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم:

ثم ختم هذا الفصل ببيان حكم ما جرى بين الصحابة من الفتن فقال:

ثم السكوت واجب عما جرى بينهم من فعل ما قد قدرا

فكلهم مجتهد مثاب وخطؤهم يغفره الوهاب

قوله (**ثم السكوت**) والكف (**واجب**) شرعا (**عما**) أي عن الذي (**جرى**) أي وقع (**بينهم**) من الفتن (**من فعل ما**) أي الذي (**قد قدرا**) في الأزل قبل خلق الكون كله والألف للإطلاق. (**فكلهم**) أي الصحابة (**مجتهد مثاب**) أي مأجور فمن أصاب منهم فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد. (**وخطؤهم**) بسكون الطاء للوزن وهي لغة فصيحة[2] (**يغفره الوهاب**) سبحانه وتعالى، فعن عمرو بن العاصي t أنه r قال: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»[3].

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي وقعت بين الصحابة.

قال صديق حسن خان: " وقريب من هذا ـ يعني الردة ـ : من جعل سب الصحابة شعاره ودثاره؛ فإنه لا مقتضى لسبهم قط، ولا حامل عليه أصلا؛ إلا غش الدين في قلب فاعله، وكراهة الإسلام وأهله، فإن هؤلاء هم أهله على الحقيقة؛ أقاموه بسيوفهم، وحفظوا هذه الشريعة المطهرة، ونقلوها إلينا كما هي. فرضي الله عنهم وأرضاهم، وأقمأ المشتغلين بثلبهم وتمزيق أعراضهم المصونة. وقد رأينا في التواريخ ما صار يفعله أهل مصر والشام والمغرب؛ من قتل من كان كذلك؛ بعد مرافعته إلى حكام الشريعة، وحكمهم بسفك دمائهم".[4]

---

(1) البخاري (3651) ومسلم (2533).

(2) القاموس ص 38

(3) البخاري (7352) واللفظ له ومسلم (1716).

(4) الروضة الندية شرح الدر البهية 2/ 223.

الخلاصة:

1- أفضل الأمة بعد نبيها هو أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان التيمي بويع بالخلافة بالإجماع وهو رفيقه r في الغار.

2- يليه في الفضل والخلافة عمر بن الخطاب أبو حفص العدوي الفاروق الذي كان إسلامه عزا وهجرته فتحا، وهو من أرسى قواعد الدولة الإسلامية، وفتح الشام والعراق ومصر وغيرها.

3- والثالث في الخلافة والفضل عثمان بن عفان الأموي الذي جمع القرآن، وبايعت عنه يد المصطفى r بيعة الرضوان واستحت منه ملائكة الرحمن.

4- والرابع في الفضل والخلافة علي بن أبي طالب الهاشمي الذي هو أول من أسلم من الصبيان وبات على فراشه r ليلة الهجرة وهو مبيد الخوارج والروافض.

5- بقية العشرة بعد النبي r هم سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد وطلحة والزبير رضي الله عنهم.

6- الصحابي هو كل من لقي النبي r مسلما ومات على الإسلام، وقد أثنى الله عليهم جميعا في محكم القرآن.

7- يجب السكوت عما جرى بين الصحابة.

8- فضل أهل البيت الأطهار.

الأسئلة:

1- من أفضل الأمة بعد نبيها r ؟

2- اذكر ترجمة له موضحا مناقبه وفضائله.

3- من هو ثاني الخلفاء؟ وضح بعض مناقبه.

4- من هو جامع القرآن من الخلفاء؟ أعط نبذة عن حياته.

5- تحدث عن رابع الخلفاء الراشدين.

6- أكمل بقية العشر.

7- من هم أهل البيت؟

8- من هو الصحابي؟

9- اذكر بعض الآيات التي فيها الثناء على الصحابة؟.

10- ما حكم الكلام على الفتن التي وقعت بين الصحابة؟

خاتمة
في وجوب التمسك بالكتاب والسنة والرجوع عند الاختلاف إليهما فما خالفهما فهو رد

أهم المسائل:

1- بيان شروط قبول العمل.
2- شرح الإخلاص لله.
3- إيضاح معنى الإصابة.
4- رد ما خالف الكتاب والسنة.
5- الرجوع عند التنازع إلى الله ورسوله r .
6- الدين هو ما ثبت في الكتاب والسنة فقط.

النص:

وفيه خمسة أبيات (5):

278/1 شَرْطُ قَبُولِ السَّعْيِ أَنْ يَجْتَمِعَا فِيهِ إِصابَةٌ وإِخْلاصٌ مَعَا
279/2 للهِ رَبِّ العَرْشِ لاَ سِواهُ مُوافِقِ الشَّرْعِ الذِي ارْتَضاهُ
280/3 فَكُلُّ مَا خالَفَ لِلوَحْيَيْنِ فَإِنَّهُ رَدٌّ بِغَيْرِ مَيْنِ
281/4 وَكُلُّ مَا فِيهِ الْخِلافُ نُصِبَا فَرَدُّهُ إِلَيْهِمَا قَدْ وَجَبَا
282/5 فالدِّينُ إِنَّمَا أَتَى بالنَّقْلِ لَيْسَ بِالأَوْهامِ وَحَدْسِ العَقْلِ

قوله (**شرط قبول**) أي صحة وإجزاء (**السعي**) أي العمل من العبد المؤمن هو (**أن يجتمعا**) الألف للإطلاق (**فيه**) شيئان لا بد منهما، أحدهما: (**إصابة**) بأن يوافق شرع الله كتابا وسنة، (**و**) الثاني (**إخلاص**) بأن يفعل العمل ابتغاء مرضاة الله لا غير. (**معا**) أي مجتمعين فلا يغني أحدهما عن الآخر. ثم فسر الإخلاص بأن يكون العمل (**لله**) وهو (**رب العرش**) خاصا به وخالصا له (**لا**) لـ(**سواه**) فيه أي شرك أو حظ.

وشرح كون العمل صوابا بقوله **(موافق الشرع)** كتابا وسنة **(الذي ارتضاه)** الله تعالى وهو الإسلام. وقد جمع الله هذين الشرطين في قوله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف 110].

ولا يكون ذلك إلا بعرض العبد كل أعماله على كتاب الله وسنة نبيه فما وافقهما عمل به وما خالفهما تركه.لذلك قال : **(وكل ما)** أي عمل قولي أو فعلي أو اعتقادي **(خالف)** أي فهو معارض ومضاد **(للوحيين)** أي الكتاب والسنة **(فإنه رد)** مصدر بمعنى اسم المفعول أي مردود على صاحبه وغير مقبول منه **(بغير مين)** دون كذب أو شك قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران 85].

وعن عائشة g أنه r قال: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»، وفي لفظ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[1].

قوله **(وكل)** شيء **(ما)** الذي **(فيه)** وقع **(الخلاف)** من أمور الدين **(نصبا)** أي ظهر والألف للإطلاق **(فرده إليهما)** أي الكتاب والسنة **(قد)** للتحقيق **(وجبا)** أي لزم فلا بد منه.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء 59]. **(فالدين)** الإسلامي **(إنما)** للحصر **(أتى)** جاء **(بالنقل)** من كتاب وسنة صحيحة **إذ(ليس)** الدين **(بالأوهام)** من فراسة وإلهام ومقامات صوفية. **(و)** ليس الدين بـ**(حدس)** تخمين وظن[2]، **(العقل)** كما وقع لأهل الكلام بل المرجع هو شرع الله تعالى كتابا وسنة فقط قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء 105].

---

(1) صحيح البخاري (2697) ومسلم (1718) .

(2) انظر المصباح المنير ص: 78.

الخلاصة:

1- شروط قبول العمل ثلاثة:

أ- أن يكون من مؤمن.

ب- الإخلاص لوجه الله.

ج- الموافقة لشرع الله.

2- كل ما خالف الكتاب والسنة فهو مردود على صاحبه.

3- الدين إنما يقوم على النقل (كتابا وسنة) لا على العقول والأوهام.

الأسئلة:

1- ما هي شروط قبول العمل؟

2- ما حكم ما خالف الكتاب والسنة؟

3- هل الدين هو العقل أم النقل؟

الخاتمة

أهم المسائل:

1- بيان اسم هذا النظم
2- حمد الله واستغفاره في ختام النظم
3- صلاته على النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.
4- وصيته للقراء أن يدعو الله له بخير.
5- بيان عدد أبيات النظم.
6- بيان تاريخ إكمال هذا النظم.

النص:

وفيه تسعة أبيات (9):

283/1 ثُـمَّ إِلَـى هُنَـا قَـدِ انْتَهَيْـتُ ... وَتَـمَّ مَـا بِجَمْعِـهُ عُنِيـتُ
284/2 سَـمَّيْتُهُ بِسُـلَّمِ الوَصُـولِ ... إِلَـى سَـمَا مَباحِـثِ الأُصُـولِ
285/3 والْحَمْـدُ للهِ عَلَـى انْتِهـائِي ... كَمَـا حَمِـدْتُ اللهَ فِـي ابْتِـدائِي
286/4 أَسْـأَلُهُ مَغْفِـرَةَ الـذُّنُوبِ ... جَمِيعِهَـا والسِّـتْرَ لِلعُيُـوبِ
287/5 ثُـمَّ الصَّـلاةُ والسَّـلامُ أَبَـدَا ... تَغْشَى الرَّسُولَ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدَا
288/6 ثُـمَّ جَمِيـعَ صَـحْبِهِ والآلِ ... السَّـادَةِ الأئِمَّـةِ الأَبْـدالِ
289/7 تَـدُومُ سَـرْمَدًا بِـلاَ نَفَـادِ ... مَـا جَـرَتِ الأَقْـلامُ بِالْمِـدادِ
290/8 ثُـمَّ الـدُّعَا وَصِـيَّةُ القُـرَّاءِ ... جَمِـيعِهِمْ مِـنْ غَيْـرِ مَـا اسْـتِثْناءِ
291/9 أَبْياتُهَـا "يُسْـرٌ" بِعَـدِّ الْجُمَـلِ[1] ... تارِيخُهَا "الغُفْرانُ" فافْهَمْ وادْعُ لِي

قوله (**ثم إلى هنا**) الإشارة إلى آخر فصل الاعتصام الذي هو آخر فصول هذا الكتاب (**قد انتهيت**) من هذا النظم الذي جمعت فيه مسائل العقيدة متوسطا بين الإيجاز والإطناب، (**وتم**) كمل (**ما**) موصولة بمعنى الذي (**بجمعه**) في نظمي

(1) وفي نسخة :"أبياتها المقصود يسر فاعقل".

(عنيت) قصدت **(سميته)** أي هذا النظم **(بسلم)** والسلم المرقاة التي يصعد عليها إلى الشيء المرتفع **(الوصول)** البلوغ **(إلى سما مباحث)** علم **(الأصول)** أي أصول الدين وهي العقائد.

وفي هذا إشارة إلى سمو وعلو منزلة هذا العلم على غيره من أنواع العلوم فالطالب يتدرج في مراقي هذا العلم حتى يصل إلى سمائه العالية.

(والحمد) أي غاية الثناء والمدح **(لله)** خاص به **(على انتهائه)** أي على أن وفقني لإنهاء هذا النظم فضلا منه وتكرما فله الحمد حمدا يليق بجلاله وعظمته **(كما)** أي مثلما قد **(حمدت الله)** تعالى **(في)** عند **(ابتدائي)** لهذا النظم.

(أسأله) أي أسأل الله وأطلبه **(مغفرة الذنوب)** أي تكفيرها وسترها في الدنيا والآخرة والعفو وعدم المؤاخذة عليها **(جميعها)** من صغائر وكبائر مني ومن جميع المسلمين **(و)** أسأله **(الستر)** منه تعالى **(للعيوب)** كلها مني ومن جميع المؤمنين **(ثم)** أسأله **(الصلاة)** وهي ثناؤه تعالى في الملإ الأعلى **(والسلام)** أي التحية والسلامة من كل عيب **(أبدا)** سرمدا **(تغشى)** تعم **(الرسول المصطفى)** المختار **(محمدا)** بن عبد الله ﷺ **(ثم)** تغشى **(جميع)** كل **(صحبه)** وهم كل من لقيه ﷺ مسلما ومات على ذلك **(و)** تغشى جميع **(الآل)** والمقصود بآله هنا جميع المؤمنين به ﷺ **(السادة)** المقدمون على غيرهم في الفضل والطاعة **(الأئمة)** المتبعون المقتدى بهم **(الأبدال)** هم العلماء العباد الزهاد، فعن الحارث بن أسامة قال سئل يزيد بن هارون عن الأبدال فقال: "أهل العلم[1]"

وقال الجوهري: "والأبدال قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم إذا مات واحد أبدل الله مكانه بآخر"[2].

فالأبدال هم العلماء الصالحون، لا كما تظن الصوفية أنهم هم المتصرفون في الكون وبهم تقوم الأرض والسماء، فجعلوهم آلهة من دون الله، وشاعت هذه المصيبة وانتشرت حتى وصلت إلى كتب اللغة كالقاموس ولسان العرب وغيرهما[3].

---

(1) المجالسة وجواهر العلم 182/2 لأبي بكر الدينوري المالكي.

(2) الصحاح 1229/2.

(3) انظر لسان العرب 49/11 والقاموس ص: 868.

وقد وردت في الأبدال أحاديث لايصح منها شيء بل قال ابن القيم :" كلها باطلة على رسول الله r [(1)]" وقال أحمد وابن كثير ـ عن حديث أبدال ـ "حديث منكر" وقال السخاوي و ابن الدِّيبع : "له طرق عن أنس وغيره كلها ضعيفة[(2)]" وذكره ابن الجوزي والذهبي والشوكاني والملا علي القاري في موضوعاتهم [(3)]

قوله (**تدوم**) تستمر وتتصل (**سرمدا**) أبدا (**بلا نفاد**) دون انتهاء أو انقطاع (**ما جرت الأقلام بالمداد**) أي عدد مداد الأقلام، ولو كانت بحار الأرض مدادا (**ثم الدعا**) بكل خير لي وللمسلمين (**وصية**) مني ألتمس من (**القراء**) أن يدعو لي بخيري الدنيا والآخرة (**جميعهم**) كلهم في كل زمان ومكان (**من غير**) أي من دون (**ما استثناء**) أي إخراج لأحد منهم.

قوله (**أبياتها**) أي عددها برمز الحروف هو (**يسر**) فالياء عشر والسين ستون والراء مئتان فالمجموع مائتان وسبعون 270 بيتا والمقصود صلب النظم دون المقدمة والخاتمة، وإلا فالنظم كله 291 بيتا، ولذلك في بعض النسخ: "أبياتها المقصود يسر فاعقل".

(**بعد الجمل**) الحروف الأبجدية المعروفة عند عامة العرب، (**تاريخها**) أي وقت إكمالها رمزه (**الغفران**) وهو 1362 لأن الألف لواحد واللام ثلاثون والغين ألف والفاء ثمانون والراء مئتان والألف الثانية واحد والنون خمسون، فالمجموع اثنان وستون وثلاث مائة وألف (**فافهم**) هذا كله (**وادع لي**) بخير ولجميع المسلمين.

كتبه الشيخ أبو محمد

أحمد بن الكوري الشنقيطي

1431/07/19هـ الموافق 2010/07/1م

---

(1) المنار المنيف ص 103.

(2) انظر المقاصد الحسنة ص 26 و تمييز الطيب ص11 و كشف الخفاء 24/1-27.

(3) انظر الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص 245-248 وترتيب الموضوعات للذهبي ص 272 والأسرار المرفوعة (472)

فهارس المراجع:

1. الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ط:الجامعة الإسلامية 1405هـ.
2. مصنف ابن أبي شيبة تحقيق اللحام دار الفكر، لبنان: 1414هـ.
3. اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ط: دار الفكر1415هـ.
4. أحكام القرآن لابن العربي : دار الفكر، بيروت، لبنان1425هـ.
5. أحكام القرآن لأبي بكرالجصاص الحنفي، دار الكتب العلمية ط: الثانية 1424هـ .
6. الآداب الشرعية لابن مفلح مؤسسة الرسالة ط:الثالثة 1418هـ.
7. إرشاد الفحول للشوكاني: مؤسسة الكتب الثقافية 1417هـ.
8. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد صالح بن فوزان الفوزان : مكتبة دار المنهاج ط: 1429هـ.
9. إرواء الغليل للألباني: المكتب الإسلامي، 1407هـ .
10. الاستيعاب لابن عبد البر دار الفكر ط: الأولى 1423هـ.
11. الإسلام يتحدى لوحيد الدين خان : المختار الإسلامي 1984م.
12. الأسماء والصفات للبيهقي تحقيق عبد الله بن عامر ط: دار الحديث1423هـ.
13. الإشراف لابن المنذر دار الفكر تحقيق البارودي 1414هـ.
14. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني دار الكتب العلمية ط:1415هـ.
15. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي : دار المعارف.
16. الإعجاز العلمي لزغلول النجار مكتبة الشروق الدولية 1423هـ.
17. أعلام السنة المنشورة لحافظ حكمي تحقيق حازم القاضي ط: الثانية

1422هـ.

18. إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم تحقيق محيي الدين عبد الحميد: المكتبة العصرية 1424هـ.
19. الإيمان للحافظ محمد بن إسحاق بن منده الأصبهاني دار الكتب العلمية ط: الأولى 1422هـ.
20. البحر المحيط للزركشي : وزارة الأوقاف في الكويت 1413هـ.
21. البداية والنهاية لابن كثير: مكتبة الصفا 1423هـ.
22. البدور السافرة للسيوطي دار الكتب العلمية ط:الثانية 1423هـ.
23. البعث والنشور للحافظ البيهقي تحقيق الشيخ عامر ط:مؤسسة الكتب الثقافية 1406هـ.
24. بغية المستفيد شرح منية المريد لمحمد العربي التيجاني ط:دار الجيل.
25. تبيين المسالك لتدريب السالك لمحمد الشيباني : دار الغرب الإسلامي 1991م.
26. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي ط: مكتبة الصفا1422هـ،
27. ترتيب الموضوعات للذهبي دار الكتب العلمية ط: الأولى 1415هـ.
28. التعريفات، للجرجاني، دار الفضيلة، تحقيق المنشاوي.
29. تعظيم قدر الصلاة، للإمام المروزي دار الكتب العلمية، لبنان.
30. تفسير الطبري دار الكتب العلمية ط:الثالثة 1420هـ.
31. تفسير القرطبي : دار الكتب العلمية ط: الخامسة 1417هـ.
32. تفسير محيي السنة البغوي دار ابن حزم ط: الأولى1423هـ.
33. تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني مؤسسة الرسالة.
34. تلبيس إبليس لجمال الدين ابن الجوزي.

35. تلخيص الحبير لابن حجرالعسقلاني: مكتبة مصطفى الباز 1417هـ.
36. التمهيد لابن عبد البر القرطبي دار الكتب العلمية ط: الأولى1419هـ.
37. تمييز الطيب من الخبيث لابن الديبع دار الكتب العلمية ط الثالثة 1409هـ.
38. تنبيه الخلف الحاضر على أن تفويض السلف لاينافي الإجراء على الظواهر للعلامة بداه بن البصيري الشنقيطي. تقديم د:محمد بن عبد الرحمن الخميس دار ابن حزم 1421هـ.
39. تهذيب الأسماء واللغات لمحيي الدين النووي دار الفكر ط: الأولى 1416هـ.
40. تهذيب التهذيب لابن حجر مؤسسة الرسالة .
41. توحيد الخالق للزنداني دار الفكر 1421هـ.
42. التوحيد لإمام الأئمة ابن خزيمة دار الحديث 1423هـ.
43. جامع العلوم والحكم لابن رجب تحقيق طارق بن عوض الله : دار ابن الجوزي 1422هـ.
44. جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: دار الكتب العلمية1421هـ.
45. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي : دار الكتب العلمية 1424هـ.
46. جلاء الأفهام لابن القيم دار الكتب العلمية .
47. حاشية الدسوقي على الدردير دار الفكر1424هـ.
48. حياة الحيوان الكبرى للدميري دار الفكر ط: الأولى 1425هـ.
49. خلق أفعال العباد للإمام البخاري دار الكتب العلمية تخريج أبي

عبيدة أسامة الجمال 1424هـ.
50. الدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم ط مكتبة التراث ـ مكة المكرمة 1408 هـ.
51. دلائل التوحيد لجمال الدين القاسمي دار الفكر ط: الأولى 1417هـ.
52. روح المعاني للآلوسي دار الكتب العلمية ضبطه علي عبد الباري.
53. روضة الطالبين للنووي ط المكتب الإسلامي - بيروت 1405هـ.
54. الروضة الندية لصديق حسن خان القنوجي دار الكتب العلمية ط: الأولى 1410هـ.
55. زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم مؤسسة الرسالة.
56. السلسلة الصحيحة للألباني : المكتب الإسلامي .
57. السلسلة الضعيفة للألباني المكتب الإسلامي.
58. سنن ابن ماجه: مكتبة المعارف تحقيق مشهور ط: الأولى.
59. سنن أبي داوود: مكتبة المعارف تحقيق مشهور ط: الأولى.
60. سنن الترمذي: مكتبة المعارف تحقيق مشهور ط: الأولى.
61. سنن الدارقطني: دار الكتب العلمية ط:الثانية 1424هـ.
62. السنن الكبرى للبيهقي: دار الكتب العلمية ط: الأولى 1415هـ.
63. السنن الكبرى للنسائي: دار الكتب العلمية تحقيق أحمد شمس ط:1413هـ.
64. سنن النسائي الصغرى: مكتبة المعارف تحقيق مشهور ط: الأولى.
65. سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي : مؤسسة الرسالة.
66. سيرة ابن هشام ط: اليمامة للطباعة والنشر ط: الأولى 1420هـ.
67. السيرة النبوية للذهبي تحقيق حسام الدين دار الكتب العلمية 1409هـ.

68. شأن الدعاء للخطابي ط:دار المأمون ـ دمشق.1404 هـ.
69. شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي : دار الفكر1414هـ.
70. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي دار الكتب العلمية ط: الأولى1423هـ.
71. شرح الصدور بتحريم رفع القبور ط: رئاسة الإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية.
72. شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي : الدار الإسلامي، الأردن، عمان، بتحقيق الألباني ط: الأولى 1419هـ.
73. شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري تحقيق هبود المكتبة العصرية 1424هـ.
74. شرح النووي على مسلم المكتبة العصرية ط: الأولى1422هـ.
75. شرح الواسطية لابن العثيمين مؤسسة الرسالة ط: الأولى1419هـ.
76. شرح كشف الشبهات للشيخ محمد بن صالح العثيمين : دار الثريا للنشر .
77. الشرح والإبانة عن أصول السنة والديانة لأبي عبد الله عبيد الله بن بطة العكبري : مكتبة العلوم تحقيق د: رضا بن نعسان 1423هـ.
78. الشريعة للآجري دار الكتب العلمية
79. الشفا بتعريف حقوق المصطفى دار الفكر ط: الأولى1424هـ.
80. شفاء العليل لابن القيم دار الفكر1409هـ.
81. الصارم المسلول لابن تيمية : دار الكتب العلمية ط: الأولى1419هـ.
82. الصحاح للجوهري: دار الفكر تحقيق شهاب الدين ط:الأولى 1418هـ.

83. صحيح ابن حبان: دار الفكر ط: الأولى 1417هـ .
84. صحيح ابن خزيمة: المكتب الإسلامي تحقيق الأعظمي ط: الثالثة 1424هـ.
85. صحيح البخاري: دار السلام ط: الأولى 1417هـ.
86. صحيح مسلم: دار السلام ط: الأولى1419هـ.
87. صيانة الإنسان من وسوسة دحلان لمحمد بشير السهسواني الهندي مكتبة ابن تيمية ط: الرابعة 1410هـ.
88. الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق للشيخ سليمان بن سحمان :دار العاصمة 1412هـ.
89. طريق الهجرتين لابن القيم المكتبة العصرية 1420هـ.
90. ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي سفر بن عبد الرحمن الحوالي : دار الكلمة ط: الأولى 1420هـ.
91. عارضة الأحوذي بشرح سنن الترمذي لابن العربي : دار الفكر 1415هـ.
92. عقيدة الموحدين للشيخ عبدالله بن سعدي الغامدي دار الطرفين ط: الأولى1419هـ.
93. العقيدة في الله لسليمان الأشقر : مكتبة الفلاح 1409هـ.
94. عمدة التفسير لأحمد محمد شاكر دار الوفاء ط: الأولى 1424هـ.
95. عمدة الفقه لابن قدامة تحقيق عبد المنعم إبراهيم :المكتبة العصرية.
96. غاية المرام في تخريج الحلال والحرام للألباني : المكتب الإسلامي.
97. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني : بيت الأفكار الدولية.
98. فتح القدير للشوكاني : شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي.
99. الفرق بين الفرق للبغدادي المكتبة العصرية تحقيق محيي الدين عبد

الحميد 1411هـ.
100. الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم دار الكتب العلمية ط: الثانية 1420هـ.
101. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني تحقيق المعلمي دار الكتب العلمية 1416هـ.
102. في ظلال القرآن لسيد قطب دار الشروق.
103. القاموس المحيط للفيروزآبادي ضبط وتوثيق البقاعي: دار الفكر1420هـ.
104. القدر لأبي بكر الفريابي تحقيق محمد حسن إسماعيل دار الكتب العلمية ط: الأولى 1424هـ.
105. الكاشف للذهبي تحقيق العطار دار الفكر ط:الأولى 1418هـ.
106. السنة الإمام عبد الله بن أحمد : رمادي للنشر1416هـ.
107. كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني مكتبة التراث تحقيق أحمد القلاش.
108. اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة دار الكتب العلمية ط:الأولى 1423هـ.
109. لسان العرب لجمال الدين ابن منظور الإفريقي: دار الفكر. بدون ذكر تاريخ.
110. لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي بشرح العثيمين : مكتبة دار طبرية 1415هـ.
111. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي دار الكتب العلمية ط:الأولى 1422هـ.
112. مجمل اللغة لابن فارس الرازي تحقيق أبوعمرو دار الفكر1414هـ.

113. مجموع الفتاوى لابن تيمية ط: مكتبة المعارف بالمغرب ط:الأولى بإشراف المكتب التعليمي السعودي بالمغرب.
114. مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم: دار الفكر تحقيق رضوان 1418هـ.
115. مختصر العلو للذهبي :المكتب الإسلامي تحقيق الألباني 1412هـ.
116. مختصر معارج القبول لسعيد القحطاني : دار أشبيليا1419 هـ.
117. مدارج السالكين لابن القيم: دار طيبة تحقيق عبد العزيز ناصر الجليل 1423هـ.
118. مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب : دار الشروق.
119. المذكرة في أصول الفقه لمحمد الأمين الشنقيطي ـ بدون ذكر الناشرـ
120. مراقي السعود لسيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم : دار الآثار.
121. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري تحقيق العطار 1414هـ.
122. مستدرك الحاكم النيسابوري: دار الفكر، بيروت لبنان، ط1: 1422هـ .
123. مسند أبي يعلى الموصلي: دار الفكر ظهيرالدين ط: الأولى 1422هـ.
124. مسند الإمام أحمد: مؤسسة الرسالة ط: الأولى 1419هـ .
125. مسند الحميدي تحقيق الأعظمي المكتبة السلفية .
126. مسند أبي داود الطيالسي: دار المعرفة (د، ت).
127. المصباح المنير للفيومي: دار الحديث ط: الأولى 1421هـ.
128. معارج القبول شرح سلم الوصول لحافظ حكمي :مكتبة الصفا 1424هـ.
129. معجم مقاييس اللغة لابن فارس: دار الفكر تحقيق شهاب الدين

ط: الثانية 1418هـ .

130. مغني اللبيب لابن هشام راجعه سعيد الأفغاني دار الفكر ط: الأولى1425هـ.
131. المغني لابن قدامة المقدسي: دار عالم الكتب تحقيق التركي 1428هـ.
132. مفردات القرآن للراغب الأصبهاني ضبط هيثم طعيمي دار إحياء التراث العربي ط: الأولى 1423هـ.
133. المقاصد الحسنة للسخاوي دار الكتب العلمية تحقيق عبد الله بن الصديق2003هـ.
134. الملل والنحل للشهرستاني تحقيق العطار دار الفكر 1422هـ.
135. المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم : دار العاصمة تحقيق المعلمي ط: الثانية 1419هـ.
136. منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق محمد رشاد الطبعة الثانية بالمغرب1419هـ.
137. موطأ الإمام مالك دار الحديث تحقيق فؤاد عبد الباقي.
138. ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي ط: دار الفكر: 1999م.
139. نثر الورود على مراقي السعود لمحمد الأمين: دار المنارة ط: الأولى 1415هـ.
140. النجوم الطوالع على الدرر اللوامع لإبراهيم المارغيني ط: دار الفكر.
141. نشر البنود على مراقي السعود لسيد عبد الله العلوي تحقيق ولد محمد بيب 1426هـ.
142. النشر في القرءات العشر لابن الجزري / دار الفكر تصحيح علي محمد الضباع.

143. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: دار الفكر 1421هـ.
144. نواقض الإيمان القولية والعملية لعبد العزيز بن محمدبن علي عبد اللطيف، دار الوطن، الرياض، ط الثانية 1415هـ.
145. نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكاني: مكتبة الصفا ط: الأولى 1426هـ.

فهرست الموضوعات